

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190791

UNIVERSAL
LIBRARY

حَبِيبُ اللَّهِ وَشَيْخُهُ

دكتور في الآداب

دكتور في الآداب

« يَا ابْنِي أَخِي :

أفقد كنت موكلاً بالجمال أتبعه ،
وإني رأيتكما فراقاً حسماً وجمالاً ،
فأستمعنا بشبابكما قبل أن تندما عليه »
نموت أنى به المحرومى

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة للأولاد

يطلب من المكتبة البخارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المنشأة الزمانية بعصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الاهداء

إلى الوالد الكريم

الشيخ عبد السلام مبارك

مازلتُ أُمَرِّحُ في نُعْمَى وعافِيَةٍ
 من نَيْلِكَ الْجَزَلِ أومن رأيكَ الْحَسَنِ
 وأسهرُ اللَّيْلَ في عِلْمٍ وفي أدبٍ
 أبغى رِضَاءَكَ عن قِصْدِي وعن سُنِّي
 وأستقلُّ لأجلِ الْفَضْلِ مَا سَمَحْتُ
 به اللَّيْسَالِي لأهلِ الْفَضْلِ من مِجَنِّ
 حتَّى بلغتُ بِجِدِّي بَعْضَ مَا طَمَحْتُ
 إِلَيْهِ نَفْسِي كما يَرْجُوهُ لِي وَطَنِي
 فَالْيَوْمَ أَهْدِيكَ مَا أَبْدَعْتُ منْ أَثَرٍ
 أَتَقَى عَلَى الزَّمَنِ الْبَاقِي منِ الزَّمَنِ

ولدكم

زكى مبارك

٢٧ فبراير سنة ١٩١٩

كَلِمَةٌ

الشيخ مصطفى القاياتي^(١)

من كان بطبعه ميّالاً إلى الحرية في الفكر ، والاستقلال في الرأي ، وكان مع ذلك محباً للانصاف ، راغباً في الاعتدال : فليقرأ هذا الكتاب . فانه ينمّي فكرته ، ويقوّي شخصيته ، ويزيده بصراً بالنقد ، وعاماً بالشعر ، ويهديه السبيل إلى فهم الأدب ، والحكم على الشعراء .

وجدير بمن نظرفيه أن يكمل علمه ، ويكبر عقله ، لما عرف به الأستاذ زكي مبارك من سلامة الذوق ، وأصالة الرأي ، وما امتاز به من بعد النظر ، ودقة الملاحظة ، مع ما به من رشاقة الأسلوب ، ومثانة التركيب ، إلى غير ذلك من الميزات التي تجعلنا نأمل كثيراً أن يكون هذا الابن البار اماماً من أئمة الأدب ، وعظيماً من عطاء الأئمة .

جعله الله قدوة لشباننا العاملين ، وأبنائنا الناهضين ، والسلام

مصطفى القاياتي

٢٥ فبراير سنة ١٩١٩

(١) بفضل المرحوم الأستاذ الشيخ مصطفى القاياتي بكتابه هذه الكلمة لنوضع على صدر الكتاب فحلت بها الطبعة الأولى والثانية . وكان في الية رفعها من هذه الطبعة فراراً من الاعتماد على التقرّظ . ولكن انتقال الاسناد إلى جوار ربه فرص علينا في سبيل الوفاء له والبر به ابقاء هذه الكلمة الطيبة مشموعة بالاعتراف بما كان له من الفضل والابتهاال الى الله أن يسكنه فراديس الجنان .

كلمة نقد

لحضرة الباحث الكبير

الدكتور طه حسين

« أقول هذا كله بعد أن فرغت من قراءة رسالة صغيرة ، ولكنها قيّمة مُمتعة ، للدكتور زكي مبارك خريج الجامعة المصرية ، تناول فيها شعر عمر بن أبي ربيعة فدرسه من بعض نواحيه درساً حسناً يسرني أن أهنته به ، ويسرني أيضاً أن أنتهز هذه الفرصة لتسجيل ما للجامعة المصرية من فضل على عقول الشباب . ولكن الدكتور زكي مبارك وهو شابٌ حادّ الشباب عفيفه ، أسرف في نقد مصعب ابن عبد الله اسرافاً جعله إلى الظلم أقرب منه إلى الانصاف . وليس مصدر هذا الاسراف إلا أنه لم يقدر كما ينبغي اختلاف المثل الأدبية باختلاف العصور والأجيال . وما أحسب إلا أنه عائد إلى هذا النقد فلطّف ما فيه من حدّة ومزِيل ما فيه من جور »

كلمة المؤلف

في الطبعة الأولى

هذه المحاضرات أُلقيت في فبراير سنة ١٩١٩ في الجامعة المصرية على أنها دروس تمرين ، وكنت لقيت من إعجاب الاستاذ الدكتور احمد ضيف والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار والاستاذ الشيخ مصطفى القاياتي ماجبب إلى ظهورها في كتاب يتناوله عشاق الآداب . ثم لم أكد أشرع في طبعها حتى كانت النهضة المصرية فكتب الله لنا أن نمت بسبب إلى الذائدين عن مصر والسودان ، ثم اعتقلت مدة غير قليلة أنكرت فيها كل ما يوحى به الشباب ! ثم عدت من المعتقل ، ونظرت ثانية في تلك الصحائف المطوية ، فرأيت فيها أثراً من آثار الثقة بالنفس ، وعزاً على أن لا يجد نسيم الشباب فضاءً يماؤه بالعزيزية والثبات

واني لموقن أن في الناس من لا يظرب لهذا النحو من البيان ، ولكني لم أكتبه إلا لمن قدّر له أن يدرك أسرار الجمال ، وهدى الله من يحسب أن التأليف لا يصح إلا في الأبحاث التي تشبه بعض الأذهان في الجمود !! ولعلّي أجد من الشجاعة الأدبية ما أعيد به طبع

هذا الكتاب مع ما سيقال فيه من مدح وهجاء ! واني لأرحب
 بكل كلمة فيها نفحة من النقد المبني على فهم وإدراك . فمن شاء أن
 يُنشر له شيء من ذلك في الطبعة الثانية فليبحث به إلىَّ لأعرض على
 الناس طائفة من العقول ! وكل امرئ بما كسب رهين !



وإني أقدم الشكر الخالص من شوائب العقوق لأساتذتي
 في اللغة والأدب : الشيخ سيد المرصفي ، ومحمد بك المهدي ، والشيخ
 علي عبد الرازق ، والشيخ مصطفى القاياتي ، والدكتور أحمد ضيف^(١)

(١) كان ذلك قبل أن يعود حضره الاستاد الدكتور طه حسين من فرنسا
 واليوم يتشرف المؤلف بأن يضيف إلى أساتذته في اللغة والأدب اسم هذا الباحث
 العظيم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس . وطع الأدب في هذا العصر بطابع القوة والحياة

من النفس الى النفس

[في كتاب « البدائع » كلمة للمؤلف في نقد هذا الكتاب ، رأينا إنياتها هنا ليرى القارئ كيف تعز سيئات الكاتب عليه فلا يحوها ، وإنما يعتذر عنها برفق ليسوع لها البقاء]

في فبراير سنة ١٩١٩ ألقى ثلاث محاضرات في الجامعة المصرية عن حب ابن أبي ربيعة وشعره ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد ضيف وقد طبعت هذه المحاضرات بعد إلقتها بقليل . ويرى الناظر في تقدمة الكتاب هذه الكلمة الجريئة :

« وإني أوقن أن في الناس من لا يطرِب لهذا النحو من البيان . ولكني لم أكتبه إلا لمن قدّر له أن يدرك أسرار الجمال ، وهدى الله من يحسب أن التأليف لا يصح إلا في الأبحاث التي تشبه بعض الأذهان في الجمود !! »

وقد نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وستظهر الطبعة الثانية عما قريب . من أجل هذا أسبقُ النقد إلى بعض المآخذ التي أراها مضطرا إلى إبقائها ، إجلالاً للثقة بالنفس ، وإكباراً لنزق الشباب :

أنظر قول ابن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهابة تهادى بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تمير منها فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب
أتدرى كيف علقت على هذه الأبيات الحسان ؟ اقرأ الكلمة الآتية :
« ووجه الحسن فى تحيير ماء الشباب أنك تنظر الى الحدود الموردة ،
فترأها كالشفق تتنقل من تحته الشمس ، أو كالمشكاة يتموج فى قلبها المصباح
فى سبيل الحب تلك النظرة ! يوم رأيت وقد أبل من حمى أضرعت ،
فأريت ماء الشباب يدب فى تلك الحدود وهى صفراء كالورس ، فيعيدها
حمراء كالورد ، وإذا الأنس يتمشى فى فؤادى لشفائه ، تمشى البرء فى
أعضائه »

وهذا استطراد لا يشك القارىء فى أنه غير محمود ، ولكنى
أستغفر الله !

وفى موطن آخر يجد القارىء هذه الكلمة :

« لم يكن ابن أبى ربيعة ممن اذا غاب عنه حبيب أخذ فى البكاء
عليه ، والحنين اليه . تلك سبيل الشمرء المفجعين ، الذين كانت قلوبهم
أعواناً للدهر عليهم ، وكانت نفوسهم أخصاماً لهم . أولئك هم المعوزون
فى عالم المحبة ، والمحرومون فى دولة الصباية . أولئك الذين يرون الجمال

ظالاً ظالماً ، ثم لا يستطيعون أن يتفثوا ما لهم وارث الظلال ، أولئك الذين يحسدون الغلائل على الاعطاف ، والعقود في النحور ، وكيف يكون ابن أبي ربيعة مثلهم مسكيناً في شعره ، وما كان مسكيناً في حبه ؟ أم كيف يصف البكاء والمدامع ، وما أَلَمَتْ نفسه ، ولا دَمَعَتْ عينه ؟ بعداً للذلة حتى في الحب ؛ وتباً للمسكنة حتى في الغرام ! »

وهذه صورة نفسية قد لا يقتضيها موضوع الحديث . ولكن هذا الذي كان !

ويرى القاري في هامش الصفحة الثانية عن ترجمة الشيخ حسين الحكيم مانصه :

« وكان رحمه الله آية الآيات في حُسن الخلق ، وصَبَاحَةِ الوجه ، وأَصَالَةِ الرأى ، وحلاوة الحديث ، وكان لا يعدله عندي غير شقيقى (سيد مبارك) الذى فقدته معه فى أسبوع واحد . وكان موتهما ممّا بالحمى الاسبانية . لا رد الله لها غربة ، ولا قدر لها رجعة . وكان أخى سيد من أقوى الفتيان بأساً وأمضاهم عزيمه ، ولو عاش لضربت بشجاعته الأمثال »

وقد سألتى بعضهم عما يعنى القارىء من هذا التفصيل ، فأجبت : إنه يعنى مؤلف الكتاب !

ويرى القارئ هذه الكلمة عن عواطف أهل الحضر :

« وقلمًا يصدق للحضرين حب ، أوتبق لهم صباية . إذ يرون من
متمات الظرف ، ومكملات الأدب ، أن يحبي الرجل بعين باكية ، وقلب
خفاق ، فلا يزالون يتلمسون الهوى ويتحسسون الصباية ، حتى تُتاح
لهم أسبابها ، وتساق إليهم همومها

وأنا الذي اجتناب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل »

وهذه مسألة فيها نظر كما يقولون

*
* *

ولا أستطيع أن أعد ما في كتاب (حب ابن ربيعة وشعره) من
الهنوات ، ولكني أحمد الله على أن وفقت إلى تصوير ابن أبي ربيعة
وتمثيل حياته ، حتى كأنك تراه .

مقدمة الطبعة الثالثة

صارَ جِدًّا مامزحًا بِهِ رُبَّ رَجِدٍ جَرَّهُ اللَّعِبُ

إي والله ! فقد كنت ألهو وألعب يوم كتبت ما كتبت عن ابن أبي ربيعة منذ تسع سنين وأنا طالب بالجامعة المصرية ، وليس معنى هذا أنني كنت أتخذ الحب والجمال سبيلا الى العبث والمجون ، كلا ! فقد كان الجمال كما فهمته في ذلك الحين محرّبا تخشع في مُصَلَّاهُ القلوب ، ولكن معناه اني كنت أقبل على الحب والجُسن إقبال الغافل الذي لا يدري ما تكن خمائل الازهار من عاديات الافاعي وقاتلات الصّلال

ولقد أذكر - والنفس تأكلها الحسرة على سذاجة تلك الايام الاخالية - انني قلت في أول محاضرة ألقيتها عن ابن أبي ربيعة : « إن الحب نفحة من نفحات النبوة » ثم أخذت أقيم على ذلك الأدلة والبراهين ، فعارضني جماعة من المستمعين على رأسهم صديقي الاستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان ، فلما كانت المحاضرة الثانية كنت قد أخذت الأهبة للدفاع عن تلك النظرية ، وكان صديقي قد استقدم طائفة من زملائه علماء الازهر لمعاونته إذا جدّ الجد واحتدم النضال ، فها هي إلا أن قلت : « أيها السادة !

لقد أسلفنا في المحاضرة الماضية أن الحب نفحة من نفحات النبوة « حتى انفجر الاشيخ دفعة واحدة مطالبين بوقف هذا الهراء ، فتدخل الاستاذ الدكتور أحمد ضيف وأبان لهم في رفق ودعابة أن الحب « كلام فارغ » واننى على خطأ فيما أقول مبين ، وأشار إلىّ بتخطي هذه الفكرة ، وطىّ كل حديث فيه نبوة وأنبياء ، حتى لا يثور القوم من جديد !

وكذلك عرفت لأول مرة بفضل تلك المعارضة العنيفة ، ان الحب مها سمت أغراضه لا يجمد من القوة ما يدفع به عدوان الجامدين الذين يحسبون الفضل كل الفضل أن يحيا الرجل بقلب مغلق مُتَبَايِد ، لا يفقه معنى الحب ، ولا يدرك أسرار الجمال ، فعدت الى ما كتبتة عن الحب والنبوة فحوته كما يمجى الضوء من تجاليد الليل ، وأقبلت على نفسى أعدها للجد الصراح الذى يكبح غمزات اللامزين ، ويردع لمزات اللامئين

ولكن كيف وقد صار الحب فى نفسى أخطر أنواع الجد ، وعدت أرى الجمال الانسانى أروع ما فى الوجود ، واستطعت أن أقول فى مقدمة « مدام العشاق » وأنا أقيم الدليل على أن الانسان لُبَاب الطبيعة وسرها المكنون :

« وما قيمة الليل إن لم تُظاني فى الحب ظمأؤه ؟ وما قيمة البدر إن لم يذكرنى بالثرى لآلاؤه ؟ وما جمال الاغصان إن لم تهزنى الى ضم القدود ؟

وما حُسْنُ الازهار إن لم تَشْقَى الى اثم الحدود ؛ وكيف أميل إلى الطباء
لو لم تُشَبِّه بميونها وأجيادها مالهحسان من أعناق وعيون ؛ وكيف أصبو
الى غُنة الغزال لولا ذكرى تلك الثبرات العذاب التي يسمونها السحر
الحلال ؟ »

وما أنسَ لا أنسَ أن كتاب مدامع العشاق أثار على رجلاً هو منذ
سنين على رأس الحياة العقلية في مصر والشرق ، وأن أستاذي الدكتور
طه حسين كتب عنه فصلاً في جريدة السياسة فغالبني بلام غفيف ، وكنت
جديراً بالانصراف عن هذا النحو من البحث ترضيةً لتلك النفوس
النبيلة التي تشفق على من ظلمات الإفك وحنادس البهتان
ولكن كيف وقد صار الحب مرضه عضالاً لا يُرجى له بُرء
ولا شفاء ، وأصبحت وأصدق ما أحدثت به عن نفسي كلمتي إلى صديقي
الاستاذ أنيس ميخائيل حين أقول :

« أرجو أن تعلم أن إدماني على الاغتياق بما أودع الله الليل من سحر
يتمثل في بدره المشرق أو ظلامه المسدول ، والاصطباح بمطالعة ذلك
الكتاب الخالد كتاب الوجود ، ودرس ما فيه من غرائب الملاحظة وبدائع
الجمال ، أحب أن تعلم أن هذه الحياة الوجدانية ، التي يحياها رجال الأدب
طائعين أو كارهين ، توقد الحسَّ وتُلَبُّ الخيال ، حتى ليصبح القلب في

سعير من الظمأ وهو يسبح في كوثر من النعيم ، ومن هنا تجدد من لا يزال
يشكو ويعتب وهو في ظل من النعمة ظليل . وكذلك أحسب أن الطبيعة
مَدِينَةٌ لا عَجَاجِي واحساسى بما فيها من زهرة تتفتح أو غصن يميد ، وأراني
صاحب الفضل على كل عين ترنو وكل قد يمس . وقد يلحُّ الاسراف ويلجُّ
الطفيان فأنكر أن يكون غذائي في هذه الدنيا من الخبز والماء ، وتمتد
عيناي إلى انتهاب ماعزٍّ واستعصم من أسالة الحدود ، ورشاقة القدود ،
وتسمو نفسى الى اقتناص ما ندَّ من شوارد المنى وأوابد الآمال ،
ويتمرّد قلبي كلما أحسّ سائحة تتمنّع ، أو قناة لا تلين . ولو شاء الحسن
لبطش بمن لا يؤمنون بأن له وحده العزة والجلال ، وصعق من لا يسبحون
له في الغدوّ والآصال ، ولكن حاشاه أن ينفرّني من رياضه وأنا شاعره
ومجنون ليلاده ، أو يذودني عن حياضه وأنا حارسه والساھر على حمّاه .



إذَنْ لا مفرّ من العودة الى ابن أبي ربيعة، أو صف الشعراء لربّات

الحجال !

ولكن كيف نعود إليه ؟

الامر يسير ! ألم توفد الطبعة الثانية من كتاب (حب ابن أبي ربيعة
وشعره) ؟ فلنطبعه من جديد ، وفي هذا كفاية لمصاحفة شاعر الحب والجمال

ولنتهز هذه الفرصة لنتكلم جادّين أو مازحين عن المشق والصباية والحسن والصباحة ، ولنقلب هذه الكلمات على جميع وجوهها ولنطال فيما تتصل به من جدّ القول وهزله ، وحلوه ومره ، ولنجلّ صدأ النفس بتصرّيف هذه البضاعة التي سمعت غير مرة أنها نوع من اللغو ، وضرب من الهراء وأنها شغل من لا شغل له من كل فارغ الرأس دقيق الاحساس :

حسن ! فلنكتب على بركة الله ، أو على وجه الحب مقدمة للطبعة

الثالثة !

ولكن ماذا نقول : لا بدّ من جديد ، فإن قراء اليوم لهم نياتٌ أشدّ تعقيداً من ضمائر الوشاة ، ولهم أبصارٌ أحدهُ من عين الرقيب ! وبيننا أنا أعد نفسي لكتابة هذه المقدمة مرتبى حوادث خطيرة زادتني ثقةً بأن بنى آدم كأنما خلّقوا ليبنى بعضهم على بعض ، وليكون أشرارهم حرباً لأخيارهم ، ولتكون كرائم الإخلال من المودة والوفاء والاخلاص براقع يلبسونها ليخفوا ما فطر عليه لئامهم من الغل والحقد ، وما درجوا عليه من الاثم والبغى والعدوان

وكذلك أمضيت ثلاثة أسابيع أفكر فى أناسٍ سقيتهم الشهد فسقوني العلقم ، وأصفيتهم الود فأصلّوني نار الجحود !

والآن أستطيع أن أقدم اليك أيها القارىء بشيء جديد !

أندري ما هو؟

أستطيع أن أقول لك : ان هذه الحياة أغلى وأثمن من أن تضع
في معاشرة حاسدٍ لئيم العم والخال ، أو محاورذ غبيٍّ قُدَّ رأسه من الظُّلْمة ،
ورصيفَ عقله من الهباء ، أو مصاحفة صديق يتجننى عليك وهو يعلم أنك
في طُهر الملائكة ، ونُبل الأنبياء

وستقول : أهذا جديد؟ ألم يقل به فريق من الفلاسفة قبل اليوم؟
وأجيبك بأن ابن أبي ربيعة نفسه جهر بما يشبه هذه الدعوة ،
والمتنبى زاد عابها حين قال في الشَّخَر من مَلاحَةِ الملاح :

مِمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعَشَقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَلَا فُطْنُوا
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنٌ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ فَكُلَّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مَهْجَتِي عَوْضٌ إِنْ مِتَّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنٌ
فَلْيَكُنْ هَذَا جَدِيدًا عَلَىَّ وَحْدَى أَيُّهَا الْقَارِئُ ، وَلَا كُتِفَ بِالْإِهْثَالِ
إِلَى اللَّهِ أَنْ يَهْبِكَ مِنَ الْبَصَرِ بِالطَّبَائِعِ وَالْخِلَائِقِ مَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
السَّكُونِ إِلَى وَرْدٍ يَحُلُو يَوْمًا لَيَمُرُّ أَعْوَامًا ، وَالْإِخْلَادِ إِلَى نَفْسٍ
تَصِفُو لَحْظَةً لَتَكْدُرُ دَهْرًا ، وَالرِّضَا عَنْ حَظْوِظِ هِيَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ مَطَامِعُ
وَأَهْوَاءُ ، وَفِي نَظَرِ الْعَيْنِ مَصَائِبُ وَأَرْزَاءُ ۥ

إِذْنٌ لَمْ يَكُنْ إِدْمَانِي عَلَى كَأْسِ الْحَبِّ شَرًّا كُلَّهُ ، وَلَا إِسْرَافِي
فِي رِعَايَةِ الْحَسَنِ إِنَّمَا كُلُّهُ ، بَلْ أَسْتَطِيعُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ أَعِدَ غَوَايَتِي هَدًى ،
وَأَنْ أَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى أَنْ جَعَلَ لِي فِي ظِلَالِ الْحَسَنِ مَقِيلًا أُنْسَى فِيهِ لَفَحَاتِ
الْأُنْسَى وَلَذَعَاتِ الْأَشْجَانِ

وَلَكِنْ أَيْنَ مَوَاسِمِ ابْنِ أَبِي رَيْبَعَةٍ ؟ أَيْنَ مَنَاسِكِ الْحَبِجِ حَيْثُ
تُعْرَضُ نَفَائِسُ الْجَمَالِ ، وَرَوَائِعُ الْحَسَنِ ، وَغَرَائِبُ الْمَلَاخَةِ ، مِنْ
الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ؟
اللَّهُ كَرِيمٌ ، كَمَا يَقُولُ الْأَتْرَافُ !

فَإِنَّهُ حِينَ خَلَقَ الطَّرْفَ الْجَامِحَ ، وَالْقَلْبَ الْخَافِقَ ، أَنْشَأَ بِجَانِبِهِمَا
فِي كُلِّ بَقْعَةٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ ، مَلَاعِبَ لِلْغَيْدِ وَمَرَائِعَ لِلْظُّبَاءِ !!
هُوَ إِذْنٌ رَأَى أَدِينَ بِهِ ، وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَوَالَهُ سَيِّئَةُ الْقَصْدِ ،
وَلَا أَسْوَدَ الْفَرَضِ ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَمِثُّونَ فِي الْأَرْضِ وَهَيْهَتُكَوْنُ
الْحَرَمَاتِ ، فَلْيَطْمَئِنَّ أَسَانِي الْمَشْفِقُونَ عَلَى مَنْ تَقُولُ الْمَفْتَرِينَ ، وَتَزَيِّدُ
الْمُعْتَدِينَ ، فَقَدْ صَمَّمْتُ مِنْذُ زَمَانٍ عَلَى أَنْ أُسَارِيَ الْفَطْرَةَ ، وَأُجَارِيَ
الطَّبِيعَةَ ، وَأَنْ أَقِفَ حَيْثُ يَقْفُنِي وَحْيُ الْوَاجِبِ ، وَصَوْتُ الضَّمِيرِ .
وَإِنْ الْمَوْتُ لَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ !
فَإِنْ عَشْتُ صَاحِفَتِ الثَّرِيًّا وَإِنْ أَمْتُ فَانْ كَرِيمًا مِنْ تَضَمُّنِ الصَّفَائِحِ



وبعد فقد رأيت أن أضيف إلى هذه الطبعة فصولاً عن حب ابن أبي ربيعة وشعره أفصل بها بعض ما أجملت في تلك المحاضرات الثلاث فأثبت رأيتته التي أعجب بها ابن عباس مصحوبة بالشرح والتفسير ، وأترجم مصعب بن عبد الله الذي انفرد بين القدماء بتقديم مزايا شعره إلى الجمهور ، وأتحدث عن معشوقاته اللاتي أضرنَّ في قلبه نار الحب ، وهدينه إلى سواء النسيب ، وأذكر بعض الفكاهات التي اتصلت به وجرت مجرى الأمثال

غير أني أحب أن انتهز هذه الفرصة لأعرض لك رأيي في إشار الأدب المكشوف ، إذ كنت واثقاً من أنك ستري في جملة هذا الكتاب ما أخشى أن تتحرج منه ، أو تتنكر له ، مع أن الأدب كالفن يجب أن يسمو عن الأوضاع والتقاليد ، حتى لا يفتروا ويضوئوا بوضعه تحت رحمة المتزمّتين من رجال الدين ، ورعاية المتحرّجين من دعاة الأخلاق

ألا ترى أنك لو عمدت إلى امرأة جميلة فصورتها وهي في لباس المصرية أو الفارسية أو التركية أو الانجليزية أو الألمانية لكان لذلك

اللباس أثر سيء في وضع تلك الصورة في حدود ضيقة تحبسها حيث يليق ذلك الزئ ويُقبل ذلك المهندام ؟ ولكنك لو صورتها عريانة حيث صاغها الحسن ورسمها الدلال لبقيت « انسانية » تروق الانسانية في جميع البقاع

ولأمر مّا وضع الأقدمون « ثينوس » عارية الجسم ، غانية عن الحليّ واللباس ! إنهم وضعوها كذلك لتبقى مُنية الأفتدة ، ونُهبة العيون ، في جميع الممالك وعلى اختلاف الأجيال

وكذلك الأدب يسمو بقدر ما يتحرر من قيود الزمان والمكان ، فالقصيدة أو الرسالة التي تعبر عن معنى من المعاني الانسانية أبقى على الدهر من التي تعبر عن نزعة مصرية أو إنجليزية ، فان النزعات الموضوعية عرضة للتغير والزوال ، ولكن الميول الانسانية جديرة بالخلود ، والأدب المستور انما يُغشّى بالحُجب المحلية التي لا ندري أتبقي سائغة مقبولة ، أم يعدو عليها البدعُ المستطرف فياق بها في مهاوى الخمول ! ولقد ظن الناس ، حين شاهدوا المناظرة التي قامت بين الأستاذ سلامة موسى والأستاذ توفيق دياب ، أن هذه أول مرة يختلف فيها أدباء اللغة العربية في المفاضلة بين الأدب المستور والأدب المكشوف ، ولكن الواقع أن هذه المسألة بعينها كانت مثار الجدل عند المتقدمين

تحت اسم آخر هو المصومة بين من يوجبون أن يكون الكلام جداً
كله ، وبين من يؤثرون أن يمزج حيث يقتضى الحال بشيء من
الدعابة والمجون

ولو عدنا إلى رجال الأدب في تلك العصور التي نهضت فيها اللغة
العربية ، ولفتت أنظار العالم في الشرق والغرب إلى مافيه من عناصر
القوة وأصول الحياة ، لوجدنا أكثرهم من أنصار الأدب المكشوف ،
فهذا أبو الفرج الاصبهاني يودع كتاب الأغاني كل ما عرض له من
أخبار الخلفاء والشعراء والكتاب بعبارة حرة صريحة مكشوفة لا يثقلها
قيد ولا يحجبها قناع ، وهذا النويري يكتب نهاية الأرب بحرية
خالصة لا يشوبها تحرج ولا يحدّثها تنسك ، وهذا الجاحظ يأنى أن
يحرم القارئ من ثمار اطلاعه التي جمعت ما تفرق من شهوات العقول ،
وهذا الثعالبي يُفِرط في تصيّد ما شرد من روائع المُلح والفكاهات
ونوادر الساسة والملوك ، ولا ننس ابن منظور الذي أشعر الناس بأنه
جبار أهل الجدّ حين وضع لسان العرب ، ثم رجع فراعهم بدعابته حين
وضع أخبار أبي نواس

على أنه من الخير أن نقدم للقارئ بعض ما يقوله هؤلاء الأفاضل
في إيثار الأدب المكشوف ، ولنكتف بقول ابن قتيبة في مقدمة
عيون الأخبار :

« وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما ، فإذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به

» واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتسككك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه ، وأن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فهيأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائيه وشر مائه ، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل عليه معك

» وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختاف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين . وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو فاحشة فلا يحمانك الخشوع أو التخاشع على أن تصغر خدك وتمرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المآثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب وأكل حوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعزى بعزاء أهل الجاهلية فأعضوه بهن آبيه ولا تكنوا » وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبديل بن ورقاء — حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ان هؤلاء لو قد مسهم حز السلاح لأساموك — : « اعضض يبظر اللات ،

أُنْحَنُ نُسَامَهُ ؟ » وقال على بن أبي طالب صلوات الله عليه : « من يطل
 أير أبيه ينتطق به » وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه :
 فلو شاء ربى كان أير أبيكم طويلاً كأير الحارث بن سدوس
 قال الأصمعي : كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكراً .
 وقيل للشعبي : ان هذا لا يجيئ في القياس ، فقال : أير في القياس ، الولد ذكر
 « وليس هذا من شكل ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك
 تعيير وابتهار في الأخوات والأمهات وقذف للمحصنات الغافلات ،
 ففتنهم الأمرين وافرقت بين الجنسين . ولم أترخص لك في إرسال اللسان
 بالرفث على أن تجعله هجيراً على كل حال ، وديدنك في كل مقال ، بل
 الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها ، تنقصها الكناية
 ويذهب بحلاوتها التعريض ، وأحببت أن تجرى في القليل من هذا على عادة
 السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء
 والتصنع ، ولا تستشعر ان القوم قارفوا وتنزهت ، وثاموا أديانهم
 وتورعت »

ومن هذه الكلمة نرى ابن قتيبة يقيد الأدب المكشوف بقيد واحد
 هو أن لا يكون « تعييراً وابتهاراً في الأخوات والأمهات وقذفاً
 للمحصنات الغافلات » ونراه ينهى عن أن يكون ذلك النوع ديدن

الكاتب وهجيره ، ويحصره فى المواطن التى تنقصها الكناية ويذهب
بحلاوتها التعريض ، وكذلك يرى اليوم أنصار الأدب المكشوف ،
فهم لا يريدون أن يفرغوا للهزل والعبث ، وإنما يريدون أن يعطوا كل
مقام حقه من الحلاوة والمرارة ، أو الشدة واللين



أشرت إلى أن من رجال الأدب من عمل وهو كاره على إثارة
الأدب المكشوف ، ذلك بأن الجذ المطلق يناهى طبيعة الحياة ، فلا
يحسب أنصار الأدب المستور أنهم يستطيعون المضى الى النهاية فى ذلك
الطريق ، فقد أراد صاحب زهر الآداب أن يصون كتابه عن ذكر
طائفة من الشعر الصريح ، ولكنه غلب على أمره فى مواطن كثيرة
فأباح ما لم يكن يبيح من فنون اللهو والمجون

خطر له مرة أن يتكلم عن التضمين ف ضرب المثل بمن قلب قول
النابغة « كالأقحوان غداة غب سمائه » فقال فى الهجاء (١)

ياسائلى عن جعفر عهدى به رطب العجان وكفه كالجامد
كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه واسفله ندى

ومع اننا لانسيغ هذا الضرب من الكلام فقد وصفه بأنه « جاء مليحاً في الطبع ، مقبولاً في السمع »
وأراد مرة أخرى ان يتكلم عن محاسن الجوارى السود فساق قصيدة ابن الرومي في جارية عبد الملك ابن صالح وفيها هذه الأبيات في وصف محاسنها الباطنة ^(١)

لها حرٌّ يستعير وقْدتهُ من قلب صبٍّ وصدر ذى حَنْقٍ
كأنما حرُّه خابره ما ألْهبت في حشاه من حُرِّ
يزداد ضيقاً على المِراس كما تزداد ضيقاً أنشودة الوهق ^(٢)
وفي موطن آخر ذكر قول ابن الرومي يصف هن امرأة ^(٣)

يسع السبعة الأقاليم طراً وهو في اصبعين من اقليم
كضمير الفؤاد ياتهم الدنيا وتحويه دفئا حيزوم
وساقه الكلام عن تأصل الشاعرية في صدور العرب إلى الفكاهة الآتية ^(٤)
« قال اعرابي لشاعر من بني الفُرس : الشعر للعرب ، فكل من
يقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا . فقال الفارسي : وكذلك من
لا يقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا ! »

(١) ٢٠٩ ج ١ (٢) الوهق : الحبل يرمى في انسرطه فتؤخذ به الدابة والانسان

والانشودة عقدة بسهل انحلالها كعقدة التكة (٣) ص ٩٣ ج ٢ (٤) ص ١٠ ج ٣

وأراد أن يذكر ألفاظ أهل عصره في محاسن النساء ، فرأى من
تتمة البحث أن يورد أيضا ألفاظهم في محاسن الغلمان ، وأتى في هذا
الباب بطائفة من التعابير المختارة التي تهيج الحواس وتوقظ ماخذه من
نزوات الرؤوس ^(١) وقد أخذ يبدى ويميد في هذه المعاني كلما سنحت له
الفرصة وساقه الحديث ، حتى لنعمد من أتعف مارواه قول أبي نواس :
ومنْتَظِرٍ رَجَعَ الحديثَ بطرفه إذا ما انتنى من لينه فضح النفسنا
إذا جعل اللحظ الخفي كلامه جمعت له عيني لتفهمه أذنا
وانما قدمت للقارئ هذه الشواهد من زهر الآداب ليرى كيف
فعل أحد المؤلفين المتحرجين الذين يفرقون بين ما يباح وما لا يباح ،
وها نحن أولاء نرى ذلك المؤلف لا يستطيع الصبر على تقييد الأدب بما
تتأثر به الأذواق من الأوضاع والتقاليد . ولقد ذكرنى ذلك
باللوحات التي يراها الناظرون في حديقة لكسمبور وغابة بولونيا في
باريس ، ففي كل ركن لوحة فيها انذار بالطرْد لكل من يخرج على
حدود الأدب والاحتشام ، وفي كل مكان من تلك الملاعب قد يُضْم ،
ونفرٌ يُرْشَف ، وحمى يُباح !!



وقد جاء في خطبة الأستاذ توفيق دياب ان الأدب لا يراد لذاته وانما هو وسيلة إلى الأخلاق ، وأذكر انه قال في شيء من الاتعمال : فليست الأدب ان أضر بالأخلاق . ويغلب على ظني ان الأستاذ دياب لم يقل العبارة الأخيرة الا مبالغة في الدفاع عن رأيه والدعوة اليه ، لذلك أرجو أن يرى معنا انه لاغنى للأمم الحية عن الآداب والفنون ، بغض النظر عن قربها أو بعدها من الأخلاق . فلننظر معاً برفق وبإخلاص إلى تأثير الدين والأخلاق في اتحاد الآداب والفنون :

لا ينكر أحد ، ولو أسرف في التكاف ، ان تحريم الاسلام للتصوير جنى على الشعوب الاسلامية جنایة عظيمة ، وعطل مواهبها الفنية ، وحشرها في زمرة المتخلفين عن فهم أسرار الجمال . ولا ينكر أحد ، ولو أمعن في التعصب ، ان تحطيم العرب للأنصاب والتماثيل التي كانت تفصح وتبين عن أساطير الأولين انما كان أثراً للتحرج الذي دعاهم اليه الدين . ولولا بقية من سلامة الذوق وصُبابية من صدق الحس لما رأينا في الشعوب الاسلامية ميلاً إلى روعة الفن ولا كلفاً بآثار المبدعين .

وسيسأل القارئ : وما الذي خسرناه بانصراف المسلمين عن النحت والتصوير ؟ ونجيبه بأننا حرّمنا بذلك من الوقوف على ميولهم وغرائزهم وسجايامهم . فلو تركهم الدين أحراراً في شرح ألوان حياتهم

لرأينا كيف كانوا ياعبون وكيف كانوا يحدّون ، وكيف كانت تبيش
بصدورهم هواجس المنى ونوازع الآمال . ولكنه قيدهم فلم يتركوا لنا
إلا آثاراً ضئيلة لا تكفي في كشف ما كانوا يضمرّون

ولقد أيسح لهم في سبيل الترغيب والترهيب أن « يتكلموا » عن
نعيم الجنة وعذاب السعير ، فتركوا لنا طائفة من الأمنى والخاوف
تمثل ما كانوا يرجون ويرهبون ، فعرّفنا مثلاً أنهم بحكم مركزهم الجغرافى
الأول قبل أن يخرجوا من جزيرة العرب كانوا من آلام الظأ والجوع
فى كرب عظيم ، ألا ترى كيف يذكرون أن أول ما ينعم به أهل الجنة
هو الكوثر ، والكوثر نهر عذب ينهل منه الوارد نهلة فلا يظأ بعدها
أبداً ، وعبارة « لا يظأ بعدها أبداً » تمثل أقصى ما يتمناه البدوى فى
الصحراء وقد لفحته السموم وصهرته الرمضاء . ولك أن تقول مثل
ذلك فيما تحدّثوا به عن عذاب القبر إذ تراهم يتصورون المذب وقد
أحدقت به الحيات والثعابين ، وأنه لدليل على ما كانوا يقاسون فى البادية
من عنت الأفاعى والصّلال .

افهم هذا أيها القارئ واستغفر الله لى ولك ، فان مناهج البحث
الحديث لا تسمح بالوقوف عند معانى الحروف كما كان يفعل
المتقدمون !!

ولو عدنا إلى الشعر لرأينا أثر المتزمتين في اخماده كان غاية في الشناعة والقبح ، فقد عرّض النبي بالشعر وهاجم الشعراء متأثراً بعداوة من عاداه من شعراء قريش وشعراء اليهود ، فكان من ذلك أن أسرف جمهور المسلمين في بغض الشعر والغيل من الشعراء ، وقد سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أتقول الشعر في فتهك وورعك ؟ فأجاب : لا بد للمصدر أن ينفث ! وهذا الفقيه هو صاحب هذه الايات الرائعة :

شقت القلب ثم ذررت فيه هوائك فليمَ فالتأم الفطورُ
تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
وقد زعموا أن الامام الشافعي قال :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد
وكذلك زعموا قاتاهم الله أن النبي لم يكن يقرأ بيتاً من الشعر إلا كسره ، وذلك غاية الإفك والبهتان ، ولا يزال شيوخ الأزهر مختلفين في بدء الشعر بالبسملة لأنه فيما يرون ليس من الأمور ذوات البال !

وهذا الاتجاه الذي تورط فيه الجمهور الاسلامي ضد الشعر أتاح

لنا طائفة من الفكاهات ، فقد قيل لابن سيرين : ان قوماً يزعمون
أن انشاد الشعر ينقض الوضوء ، فأنشد :
لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً

ولورضيت رشح أسته لاستقرتِ
وقام يصلى ! وقيل بل أنشد :
أنبتت أن عجوزاً جئت أخطبها

عرقوبها مثل شهر الصوم في الطولِ
وسئل ابن عباس : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد :
وهنَّ يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نيك لميسا
وقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة !
وقيل لابي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسب ؟
فقال : أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

ولولا خوف الإطالة لأريت القارىء كيف أثر التخرج في قتل
سائر الفنون . فلا كتف بما أسلفت ، ولا أثر فقط إلى أن جنابة
التخرج لم تقف عند الأدب والفن ، بل طفت على العلم أيضاً ،

فقد كان الغزالي يكره التشريح لأنه يذهب بفريق من العلماء
إلى أن النفس تموت !!!

ولو أن الدين والخلق وقفا عند حدود العقل خفف الأمر
وهان ، ولكنهما صارا سناداً لكل ضعيف الحجة سقيم البرهان
فلنعلن حرية الآداب والفنون ، وليرض من شاء بالجهالة يجرسها
الدين وتحوطها الأخلاق !

زكى مبارك

مصر الجديدة / ٣ رمضان سنة ١٣٤٦
٢٤ فبراير سنة ١٩٢٨



المحاضرة الاولى

أيها السادة

في ضواحي سنتريس ، حيث يحلو السَّمَر ، في ليالى القَمَر ،
وعلى شاطئ النيل هناك ، حيث النجم والشجر ، والماء والزهر :
في تلك البقعة المشتبهة الأزاهر ، المشتبكة الجداول ، حيث السواقى
الشاديات ، والطيور المصادحات ، وتحت تلك الشجرة المعطّفة العصور ،
المهدّلة الشعور ، حيث أجاس في الضحى والظهيرة ، مع الصحب
والعشيرة ، بجانب ذاك الطريق الجميل : حيث تعدو السيارات
الفاخرة ، من القاهرة إلى الاسكندرية ومن الاسكندرية إلى
القاهرة ، وحيث يمشى فضلاء سنتريس في الأصائل والعشيات ،
جماعات جماعات ، يتناشدون الأشعار ، ويتناقلون الأخبار .

هناك : حيث أستظرف الجلوس مع أولئك الأبحاد ، شجعان
البلاد . أولئك الذين لم تخالط نفوسهم أضرار الحضارة ، ولا سموم
المدنية ، ولم تفارق طباعهم أخلاق البداوة ، ولا رسوم العصبيّة ،
أولئك الذين أجاس اليهم فيعود إلى ضلالى القديم ، وعُدوانى

الموروث ، فأتمدح بأجدادى الشجمان ، وآبائى الأبطال ، وأذكر
ماشئوا من الفارات ، فى العصور الخاليات

هناك حيث أفضى شطراً من الصيف ، وجزءاً من الخريف ،
بين خطاب أكتبه ، أو جواب أقرؤه ، وحيب أساهره ، أو أنيس
أسامره ، وعهد أحنُّ إليه ، أو عيش أبكى عليه

ليالى النيل واللذات ذاهبةٌ وجدى عليكن أشجاني فأضناني
لو يرجع الدهر لى منكنَّ واحدةً فى سنتريسَ ويُدنى بعض خلانى
إذا تبين دهرى كيف يرحمنى من ظلم همي ومن عدوان أحزاني^(١)
هناك ، هناك جلست فى بعض الأصائل مع الصديق الحميم :
الشيخ حسين الحكيم^(٢) يحدثنى وأحدثه عن الشاعر الغزل :
عمر بن أبى ربيعة المخزومى

(١) هدد الأبيات من قصيده للمؤلف

(٢) ولد السبح حسين الحكيم فى سنتر بس ثم سكن القاهرة والتحق بمدرسة عثمان باشا
ماهر فمدرسه القضاء الشرعى ، ثم نال منها شهادة العالمية ، وعين مدرسا للغة العربية
بمدارس الجمعيه اخبره الاسلاميه ، فمضى سنة فى المدرسة الواصفية ببور سعيد ، وبضعة
أشهر فى مدرسه دسوق الثانوية ، ثم قضى نخبه هناك يوم الجمعة ٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ —
١٣ ديسمبر سنة ١٩١٨ ثم نقل الى القاهرة مساء السبت فدفن بها مساء الأحد

وكان رحمه الله آية فى حسن الخلق ، وصباحة الوجه ، وحلاوة
الحديث ، وأصالة الرأى ، وكان لا يعدله عندى غير شقيقى سيد مبارك الذى فقدته

وكذلك يميل الشباب الى شعر الشباب ، كما يرغب الكهول
 في أدب الكهول . فان للشيبية شعراً ، وللكهولة شعراً . ولأدب
 الصبا في استطرافه أشياع وأتباع ، كما لحكمة الشيخوخة في رزانتها
 أنصار وأعوان

فلما قضينا بعض مآرب الشباب ، من الجرى في ميدان الخيال
 الساحر ، وشرحنا بعض أهوائنا وميولنا في شخص ابن أبي ربيعة ،
 وكانت الشمس قد جنحت الى الغروب ، ونسلمات الأصيل قد مالت
 الى الهدوء ، وبدت لنا سنتريس وكأنها بَسْمَةٌ في فم الكون يضمها
 اذا جن الظلام ، فما تبتين منها غير المصاييح الزاهرة ، في المغاني
 الساهرة ، والأندية السامرة ، لم نجد بداً من العودة اليها ومساهرة
 السامرين فيها

ولأمر مما أراد صديق الشيخ حسين أن يذهب الى منزله في شمال
 البلدة . وأردت العودة الى منزلي في جنوبها الشرقي . بيد أنا لم نكد
 نبتعد كثيراً حتى سمعته يقول : اذا عدت غداً فأحضر معك ديوان ابن

معه في أسبوع واحد . وكان موتهما معا الخمي الاسبانية لارد الله لها عربة ولا قدر
 لها رجعة . وكان أخى سيد من أقوى الفتيان نأساً وامعاهم عرته ولو عس احسرت
 بسحاغته الامثال

أبي ربيعة . فقلت له مازحا : ومن ابن أبي ربيعة ؟ فأجاب مسرعاً :
فتى قريش وشاعرها

فأعجبت بجوابه ، وسررت من بداهته ، إذ علمت ان ابن أبي ربيعة
مهما درسنا شعره ، وحللنا شخصيته ، فان نجدد إلا فتى قريش وشاعرها
وكذلك أريد أن أحدثكم عنه من هذه الناحية : فأشرح لكم فتوته
وشعره . أوحبه ونسيبه



أيها السادة

ان الغرض من هذه المحاضرات انما هو البحث العلمي قبل كل
شئ ، والوصول الى الحقيقة من أى سبيل ، وهنا ألفت نظركم الى
ان العلم لا يكون دائماً جافاً ، بل قد يكون أحلى من المنى ، وأشهى من
ثغور الحسان ، فإنك اذا احتجت الى شئ من الزهادة في العيش ،
والرغبة عن الحياء ، لتفهم الجزء الثالث من كتاب الاحياء لانغزالي ،
والى قسط من الارتياب ، لتفهم حديث الملحد تيموكليس مع الراهب
بافنيس ، للفياسوف اناطول فرانس ، فانك أيضاً في حاجة الى شئ من
الخلاعة ، ونصيب من المجون ، لتفهم الشاعر الفتى عمر بن أبي ربيعة

وكذلك أدعوكم الى استقدام هواكم : قديمه وحديثه ، واستنهاض
صبا بكم : طريفها وتليدها ، حتى تفهموا هذا الشاعر الغزل ، وتدرکوا
غرض هذا الما جن الخليع

ولن تكونوا اذا فعلتم ذلك الا باحثين عن الحقيقة ، سائرین
اليها عن طريق العلم ، فان أنواع العلوم تطالب ألواناً من النفوس ،
بل الفن الواحد يتطلب أرواحاً مختلفة ، لفهم أدواره المختلفة ، فليس
الذى يفهم نسيب الأمراء ويطرب له ، لأنه يساكن من يهوى ،
ويختلف الى من يحب ، بقادر على أن يفهم نسيب المشردين فى الآفاق :
من أهدرت دماؤهم ، وصودرت ميو لهم
وليس الذى يعجب بقول كثير :

يكلفها الغيران شتمى وما بها هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئاً مريثاً غير داء مخامرٍ لعزة من أعراضنا ما استحلت
فلا يحسب الواشون ان صبا بتي بعزة كانت غمرة فتجلت^(١)
بمستطيع أن يعجب بقول الآخر :

صفا ودليلي ما صفائهم لم نطع عدوا ولم نسمع به قيل صاحب

(١) هذه الابيات من تائية كثير وهى غرة من غرر الشعر العربى يجدها القارىء
كاملة فى كتاب مدامع العناق

فلما تولّى ود ليلي لجانبٍ وقومٍ تولّينا لقومٍ وجانبٍ
وكلُّ خليلٍ بعد ليلي يخافى من الغدر أو يرضى بوْدٍ مقاربٍ

فإذا رأيتموني أكثر من الأمثلة ، وأغنى بانشاد الشعر ، فليس
ذلك لا متاع افتدتكم ، وإشباع أسماعكم ، فحسب ، بل لا ثبت في أذهانكم
وأمكن من قلوبكم صورة ذلكم الشاعر الشاب ، الذي قضت أيامه بأن
لا تمتد إليه أيدي الرسامين والمصورين ، فلم يبق لنا من معالم جماله ، ومعاهد
شبابه ، إلا ما تركه في شعره ، وخلاّه في نسيبه ، والشعر صورة الشعراء



وبعد فهل كان ابن أبي ربيعة محباً صادق الحب ، متين الصبابة ؟ أم
كان فتى مغروراً بشبابه ، مفتونا بجماله ، لا يأبه بالحب ، ولا يخضع
للغرام ؟ وإذا لم يكن عاشقاً ولا محباً ، فكيف أجاد النسيب ، وأبدع
في التشبيب ، وما هي ميزة شعره ، التي بدّ بها اخوانه ، وفاق بها
أقرانه ؟ ؟

فأمامنا إذاً مسألتان : الأولى حقيقة حبه ، والثانية حقيقة شعره ،
وسنوفى الكلام عن أولاهما في هذه المحاضرة ، وزجىء الكلام عن
آخرهما الى المحاضرتين القادمتين ، إن شاء الله

أما حبه ، فأنا أتهمه فيه ، وأنكره عليه . وذلك لأمر :
 أولا — لأنه حَضَرى لبدوى ، وقاما يصدق للحضرين حب ،
 أو تبقى لهم صباية : إذ يرون من متمات الظرف ، ومكملات الأدب ،
 أن يحيا الرجل لعين باكية ، وقلب خفاق : فلا يزالون يتلمسون الهوى
 ويتحسسون الصباية ، حتى تناح لهم أسبابها ، وتساق اليهم همومها
 وأنا الذى اجتلب المنية طرفه ، فمن المطالب والقتيل القتال
 اذا رهب البدوى الحب ، فقال يتخوف عواقبه ، ويتهيب
 جانبه :

فيارب خذلى رحمةً من فؤادها وحل بين عينها وبين فؤادى
 رأيت الحضرى شَرِهًا طماعا ، يودلو حشر الله اليه أهل الجمال أجمع
 فنال من الصباية أقصاها ، ومن المحبة أسماها . وينشد قول ابن الاحنف
 إن الهوى لو كان يَنْدُ فُذفيه حكى أو قضائى
 لطلبته وجمعه من كل أرض أو سماء
 فقسمته بينى وبين حبيب نفسى بالسواء
 فدميش ما عشنا على محض المودة والصفاء
 حتى اذا متنا جميعاً والامور الى فناء
 مات الهوى من بعدنا أو عاش فى أهل الوفاء

كأنّ حتماً على البدوى أن يُخلد الى القناعة فى كل شىء ، وعلى الحضرى أن يُعرف بالجمع فى كل شىء .

ومن هنا تعرف كيف غابت العفة على أولئك ، وتطرق الفسق الى هؤلاء ، فاذا قات للبدوى انشدنى شيئاً من الشعر ، فقلما يروقه غير قول جَعْدَرٍ وقد زُجَّ فى السجن

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان

نعم وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علانى

واذا استنشدت الحضرى شيئاً من مختاره فى الذيب ، فقلما ينفدك غير قول ابن الفارض

واذا اكتفى غيرى بطيف خياله فانا الذى بوصاله لا اُكتفى

وذلك لما يختلف الفريقان فى فهم معنى السعادة فى الحب ، فهى

عند الاعراب لاتعدو مسامرة الامانى ، ومسامرة الاحبة ، وعند أهل

الحضر : كل ما أمتع العين وال... الى غير ذلك مما يشتهون

واذا كان المال - وهو من معبودات الحضريين - يطلب بمضه للادخار

وبعضه للانفاق ، فان الجمال عندهم كذلك - إلا من عصم الله - فهم

يُعجبون بالعيون السكجيلة ، والشعور المرسلّة ، ليمتعوا عيونهم بالنظر

اليها وأفئدتهم بالتفكير فيها ، ثم لا تسأل بعد ذلك عن رأيهم فى بقیة

الحاسن ، فعهدي بهم يرجون الخد للتقيل ، والريق للارتشاف ، وهكذا حتى يصل بهم الطمع : الى ما ترغب النفس عن ذكره ، والتأمل في جدواه .

الحسن عند الحضريين ، أشبه شيء بجنة وردها جنيّ ، وزهرها نديّ ، يَدْخاها الزائر : فلا يعجب منها بزهرة ذات بهجة ، أو وردة ذات نضرة ، إلا دعتة أخرى أنضر منها وأصبح .

فاذا ذهب اليها يجتلي حسنها ، ويتأمل شكلها ، لفقت نظره ثالثة ورابعة ، حتى يتصفح الحديقة بأكملها ، ويقتلها نظراً وشما ، والمرء يكلف بالحسن ، ويُغرم بالجمال

فاذا عاد الى قلبه ، ورجع الى نفسه ، ليعرف أيها أعلق بخاطره ، وأملك لوجدانه ، حسبها هذه بل تلك ، ثم يختاط عليه الأمر ، فلا يدري أيها أحق بالرعاية ، وأولى بالاحتفاظ : فينصرف وقلبه مسرور من البستان في جملة ، غير مغرم بزهرة معينة من زهوره الحسان

وكذلك يمشي الحضري في متنزهات الحواضر ، فيرى من شتى الأنوان في الحسن ، ومختلف الاشكال في الملاحظة ، ما يملأ عينه ، ويبهز قلبه ، ثم يأوى الى بيته خلياً من الهوى بريثاً من الصباية ، كأن لم يسمع وسواس الحليّ ، ولم ير لألاء الجبين .

وهب أن بين أولئك الفائنات ، من غابت على قلبه ، وأستولت
على لبه ، أترأه يسلم في أيامه البواقى ، من غادة أملح شكلا ، وأحلى
دلا ، فتملك من بعدها قلبه ، وتفرد من دونها بهواه ، وهو للحسن
تبوع ؟

ألا إن الحضرى فى حبه كمدمن الخمر ، يُصرع كل يوم مرة :
فينسى بكاسه الأخرى كاسه الأولى

والمرء مادام ذا عين يقلبها فى عين الغيد موقوف على الخطر
ولقد ذكروا أن كثيراً مشت أمامه امرأ ذو ظريفة المشية ، فتبعها
عينه ، فالتفتت إليه ، فعرض عليها حبه ، فقالت : كيف ذلك وقد ضاع
شعرك فى عزة ؟ فقال : يا سيدتى ! قد كان ذلك تصنعاً ورياء . ولئن
أبحتنى حبك ، ومنحتنى حسنك ، لأسيرن فى ذكرك الشعر ، ولأضربن
بحسنك الأمثال : فكشفت عن وجهها فأذا هى عزة . ثم قالت له :
حسبك يا غادر ! فبهت كثير وانصرف : وهو خزيان نادم !

وكذلك كان ابن أبى ربيعة : فما قصر نفسه على امرأة ، ولا وقف
حبه على فتاة . وإنما كان يتلمس الجمال بين مناسك الحج ، ويتلقط
الحسن فى مسارح الأطباء : فيغشى الرياض الزاهرة ، عله يظفر بزهرة
لا كالزهور ، ويقصد الأندية السامرة ، عساه يسمع حديثاً عن بعض

الآنسات الحور ، بل ربما صدَّ عن تجزيه بالحُب حباً ، ورام من مجزيه
بالقرب الصدود .

ولقد مر به فتَيَانٍ وهو بالحِجْرِ يصلى ، بعد أن صَوَّحَ زهره ،
وتأوَّدَ غصنه ، وبعد أن سَمَّ الغواية والفساد ، وجنح الى الهداية
والرشاد ، وبعد أن خَلَّى الغرام جانباً ، وأقبل على نفسه يحاسبها ، وعلى ربه
يستغفره ، فلم يكده يقضى صلاته حتى هرع إليهما يتعرف خبرهما
ويعرف أهلهما . فلما عرفهما وكانا أخوين قال :

يا ابْنَى أَخَى : لقد كنت موَكِّلاً بالجمال أتبعه ، وانى رأيتكما
فراقنى حسنكما وجمالكما فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه !

وليس بمعجيب أيها السادة أن لا يصدق فى حبه من يقول :

سلامٌ عليها ما أحببت سلامنا فان كرهته فالسلام على الأخرى
ولا نريد بهذه الكلمة الغضَّ من عواطف الحصريين ولا الطعن
فى كرامتهم ، فقد يكون من بينهم من هو أصدق حباً ، وأتقى عرضاً ،
ولكننا نرى الشره فى الحب ، والطمع فى الصباية ، من علامِّ التلون ،
ودلائل التقلب ^(١)

(١) يرى الأستاذ الدكتور احمد ضيف ان العلم والفلسفة قد يهذبان النفس . ويلطفان
الطبع . فلا تكون الحضارة من أسباب الفسق . ولا موجبات الفجور . ثم لا يكون

ليس في القلب موضع حبيب - ين ولا أحدث الأمور ثنائ
فكما العقل واحدٌ ليس يدرى خالقاً غير واحدٍ رحمن
فكذا القلب واحدٌ ليس يهوى غير فرد مباحد أو مدان
وكذا الدين واحدٌ مستقيمٌ وكفورٌ من عنده دينان
هو في شرعة المودة ذو شرٍ لئِ بعيدٌ عن صحة الإيمان
وكذلك كان الحضريون مكذّبين في عشقهم ، متهمين في حبهم

*
* *

ثانياً — كثير غروره بشبابه ، وفتونه بجماله . وتحدثه بحب النساء
له ، وإقبالهن عليه . وقاما يكون الممشوق عاشقا ، والمحبوب محبا ،
وقد رأيت في شعره عزة الممشوق ، لاذلة العاشق . وتيه المحبوب ،
لاخضوع المحب

فتارة يذكّر أنه أمنية محبوبته ، وأمل ممشوقته ، كقوله :

البدوى أصدق من الحضري في الحب . ولا أنأت منه في العرام
وهي فكرة جميلة عبر أنها لا تنطبق على ابن أبي ربيعة وأمثاله من الحضريين .
فإن كثيراً منهم يساركون الفلاسفة في سعة العلم . وبعد النظر ، ثم لا يرون رأيهم في القسف
والرهد : واليهما يرجع الفضل في كبح الهوى ورجز النفس .
على أن المذاهب الفلسفية لا تدعو كلها إلى الطهر . ولا ترعب في "عذوب"
ولا تنتفع المرء بأحسنها أثراً ما لم يعصر من أربابها . والداعين إليها . في سرد وجهه .
وشبابه ومسيبه . والا فلماذا تجمع الخواضر بين العلم والفساد :

ألمِمْ بزَيْنَبِ إنَّ الركبَ قد أَفِدا قلَّ الثَّواءُ لئنْ كانَ الرِّحيلُ غدا^(١)
 قد حلفت ليلة الصَّوَّرينَ جاهدةً وما على المرءِ إلَّا الحلفُ مجتهداً^(٢)
 لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدنا^(٣)
 لو مُجِّعَ النَّاسِ ثم اختير صفوتهم شخصاً من النَّاسِ لم أعدل به أحداً
 وقوله

وانها حلفت بالله جاهدةً وما أهلَّ له الحجاجُ واعتمروا
 ما وافق النفس من شئٍ تسرُّ به وأعجب العينُ إلَّا فوقه عمرُ

وأخرى يتمدح بعفتها عليه ، وتوددها إليه ، كقولهِ

فما أنس من ودٍ تقادم عهدُهُ فاست بناسٍ ماهدت قدى نعلِي
 عشيَّةً قالت والدموعُ بعينها هغيتُ لِقَابِ عَنكِ لم يُسلِّه مُسلِ
 لقد كان في إقراضك الودَّ غيرنا وفعلك ناهٍ لِي لو أنْ معي عقلِي
 فهذا الذي في غير ذنبٍ علمتهُ صنيعك بي حتَّى كأنَّكَ ذو ذَحَلِ^(٤)
 هل الصَّرمُ إلَّا مُسلمِي إنْ صرمتني إلى سَقَمٍ ماعشت أو بالغتُ قتلِي^(٥)

(١) أفد الركب : اسرع (٢) الصوران : منى الصور وهو موضع النقيع (٣) المناصف
 الخدم جمع منصف ومنصفه . وهى هما الوصائف اللاتى يفهم بخدمة الحسن

(٤) الدحل : الثَّأر . أو هو العداوة والخفد

(٥) ولقد ذكروا أن كيراً غاب ابن أبى ربيعة في قوله

قالت انز لها نخدشها لمسدس الطواف في عمر

وحينا يفخر بدموعها المرفضة لبعده ، المهلة لهجرده ، كقوله
 تقول وعينها تدرى دموعاً لها نسق على الخدين تجرى
 ألسنت أقرّ من يمشى لعيني وأنت الهم في الدنيا وذكري
 أمن سخط على صدت عني حملت جنازتي وشهدت قبري
 وآخر يصف نفسه بالجمال اليوسفي فيقول
 قلن هذا الذي نلومك فيه لا تحجى من قولنا بفتيل

فومي بعدى له ليصبرنا ثم اعجزيه بأخف في حفر
 قال لها قد عمره فاني ثم اسطرت سعي على أثرى
 وقال له : انما نفس نفسك . ولو أنك وصفت بهذا الشعر هرة أهلك . لكنك
 قبح وقلب الهجر . انما بوصف الحرة بالحياء والاباء ، والبخل والامتناع . كما قال
 هذا . وأشار الى الاحوص

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياسكم ما درت حيث أدور
 وما كنت روارا لكب دالهي ادا لم تر لابد أن سيرور
 لقد معنت معروفها أم جعفر وإني الى معروفها الفقير

وقد لاحظ عليه ذلك ابن أبي عنيق أيضا في قوله

بينما ينعني أعصرني دون قيد الميل بعدو بني الاعر
 قالت الكبرى أما يعرفه قال الوسطى بلى هذا عمر
 قالت الصغرى وقد بينها قد عرفناه وهل يخفى القمر :

وعدى أن هذا خطأ من كثير وصلال من ابن أبي عنيق . وليس لابن أبي ربيعة في
 صباحته ان يبيع رأى كبر في دمايته فان لجمال الشاعر أثرأ في سيبه وصيبا من تشبيه
 وقد اوضحت ذلك في المحاضرة الثانية فانظره هناك

فصليهِ فلن تلامي عليه فهو أهل الصفاء والتنويل
وانه ليُغَرَّب أحياناً في الصَّلَف . ويُعْمَن في التيه : فيقول مثلاً :

قالت على رِقْبَةٍ يوماً لجارتها ماتا مَرِين ؟ فان القلب قد تُبِلَا^(١)
وهل لي اليوم من أخت مُواسية منكنَّ أشكو اليها بعض ماعملا
فراجعتها حَصَانٌ غير فاحشةٍ برجع قول ولبَّ لم يكن خطِلا^(٢)
لا تذكري حبه حتى أراجعه انى سأ كفميكِه ان لم أمت عَجلا
فاقننى حياءك في سترٍ وفي كرمٍ فاستِ أول أنى عُلقَت رجلا^(٣)
صدت بعداً وقالت لآتى معها بالله لوميه فى بعض الذى فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعى ماذا يقول ولا تعي به جدلاً
حتى يرى ان ما قال الوشاة له فينا . لديه الينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظى فى غير معتبة ان تغضبى الرجال
فان عهدى به والله يحفظه وان آتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا اغتیبَ أو نيات تقيصته ما آب مغتابه من عندنا جدلاً
ويقول أيضاً فى الحديث عن بعض الواجدات به :

(١) تبيل القاب : اسقمه الحب (٢) الحصان والحاصن المرأة العقيمة . وساء حواصن

(٣) اقنى حياءك : الزميه

لقد حَلَيْتِكَ العَيْنَ أَوَّلَ نَظَرَةٍ وَأَعْطَيْتَ مِنِّي يَا بَنَ عَمٍّ قَبُولًا
فَأَصْبَحْتَ هُمًّا لِلْفُؤَادِ وَمُنِيَّةً وَظِلًّا مِنَ النُّعْمِيِّ عَلَى ظَلِيلًا
فهذا كله دليل على أن ابن أبي ربيعة كان معشوقًا لا عاشقًا،
ومطلوبًا لا طالبًا، وأن النساء كانت تقع عليه كما يقع النحل على الزَّهَرِ،
والطير على الشجر.



ثالثًا — كثرت دعوى ابن أبي ربيعة توحيد حبه ، وإفراد غرامه ،
فيقول في ليلى :

لقد أرسات في السر ليلي تلومني وترعمني ذا ملة طرِفًا جلدًا^(١)
تقول لقد أخلفتنا ما وعدتنا ووالله ما أخلفتها طائعًا وعدا
فقلت مَرُوعًا للرسول الذي أتى تراد لك الويلات من أمرها جدا
إذا جثتها فافر السلام وقل لها

ذري الجور ليلي واسلكي منهجًا قصدا
تعدّين ذنبًا أنت ليلي جنيته على ولا أحصى ذنوبكم عدا
أفي غيبتى عنكم ليالٍ مرضتها تريدنني ليلي على مرضى جهدا

(١) الطرف : هو المنقلب الذي لا يثبت على امرأة ولا صاحب

فلا تحسبى أنى تمكّثُ عنكمُ ونفسى ترى من مكثها عنكمُ بُدا
ألا فاعلمى أنا أشد صباية وأصدق عند البين من غيرنا عهدا
غداً يكثر الباكون منا ومنكمُ وتزداد دارى من دياركمُ بُعدا
فان تصرمينى لا أرى الدهرَ قرّة لعينى ولا ألقى سروراً ولا سعداً
فان شئت حرمت النساء سواكمُ

وإن شئت لم أطعم نقأخاً ولا برّداً^(١)

ويقول فى الرباب :

أرسلت تعتب الرباب وقالت قد أتانا ما قالت فى الانشاد
قات لا تغضبى فداؤك نفسى ثم أهلى وطارفى وتلادى
إن تعودى تكن تهامة دارى وبنجدٍ إذا حلت مامدى
أنت أهوى إلى من سائر النا رس ذرى من كثرة التعداد

ويقول فى عبدة :

أعبدة ما ينسى مودتك القابُ ولا هو يُسايه رخاء ولا كربُ
ولا قول واش كاشح ذى عداوةٍ ولا بُعد دار إن نأيت ولا قربُ
وما ذاك من نعى لديك أصابها ولكن حبّاً ما يُقاربه حبُ
فان تقبلى يا عبد توبة تائب يتب ثم لا يوجد له أبداً ذنبُ

أَذَلُّكُمْ يَاعَبِدُ فِيمَا هُوَ يَتَمُّ وَإِنِّي إِذَا مَا رَأَيْتُكُمْ صَعَبُ
وَأَعَذَلُ نَفْسِي فِي الْهَوَى فَمَعَتِي وَيَأْصِرُنِي قَابَ بَكْمِ كَلَفُ صَبُ
وَفِي الصَّبْرِ عَمَّنْ لَا يَوَاتِيكَ رَاحَةٌ وَلَكِنَّهُ لَا صَبْرَ عِنْدِي وَلَا أَبُ
وَعَبْدَةٌ بِيضَاءِ الْحَاجِرِ طَفَلَةٌ مَنَعَمَةٌ تَصْبِي الْحَايِمِ وَلَا تَصْبُو
وَلَسْتُ بِنَاسٍ يَوْمَ قَالَتْ لِأَرْبَعِ نَوَاعِمِ غُرٍّ كُلَّهَا لَهَا تَرْبُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي فِيمَ كَانَ صَدُودُهُ أَعْلَقْتُ أُخْرَى أُمِّ عَلَىَّ بِهِ عَقَبُ
وَيَقُولُ فِي زَيْنَبٍ (١) :

أُحَدِّثُ نَفْسِي وَالْأَحَادِيثُ جَمَّةٌ وَأَكْبَرُ هَمِّي وَالْأَحَادِيثُ زَيْنَبُ
إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ذَكَرْتُهَا وَأُحَدِّثُ ذَكَرَهَا إِذَا الشَّمْسُ تَغْرَبُ

(١) هي زينب بنت جحش . وكان سبب تسمية بها أن ابن أبي عتيق ذكرها
عنده يوماً فأخبرها . ووصف من عفاها وأدبها وجعلها ماشعلاً قابلاً عمر . وأما إلى
وقال فيها الشعر وشاب بها . فلما بلغ ذلك ابن أبي عتيق لأمه وسخط عليه . وقال له :
أقول الشعر في أمي . فقال ابن أبي ربيعة وقد عطف عليه النساء :

لَا لَهْمِي عَتِيقُ حَسْبِيَ الَّذِي أَنْ بِي نَاعِبِي مَا قَدْ كَفَانِي
لَا لَهْمِي وَأَنْتَ رِزْقِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
لَوْ أَنَّكَ دَعَبْتُ أَطْرَبَنَا لَيْلَةُ السَّفْحِ قَرَّتْ الْعَيْنَانِ

وقد رُغم في هذه القصيدة أنه اسمي من أجابها النساء إذ يقول :

لَمْ يَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيأً عَيْرَ مَا قُلْتَ مَا رَحاً بِلِسَانِي
وَقُلِّي قَابِي النِّسَاءِ سِوَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ مَغْرَمًا بِالْغَوَانِي

ويقول في أسماء

لم يحب القلب شيئاً مثل حبكم ولم تر العين شيئاً بعدكم حسناً
ما إن نبألى إذا ما الله قريبكم

من كان شط من الاحباب أوقطنا^(١)

فإن نأيتم أصاب القلب نأيتكم وإن دنت داركم كنتم لنا سكناً
إن تبخلى لا يسلى القلب بخاكم ويقول في هند:

ولقد فات إذ تطاول هجرى رب لا صبر لي على هجر هند
رب قد شفني وأوهن عظمي وبراني وزادني فوق جهدي
ليس حب لها ببدعة أمر قد أحب الرجال قبلي وبعدي
جعل الله من أحب سواكم من جميع الأنام نفسك يفدي
ويقول في النوار:

لأبألى إذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا
والليالى إذا نأيت طوالاً وأراها إذا دنوت قصارا
ويقول في عمرة:

أحدى بنى أود كلفت بها حمات بلا تره لنا وترا

(١) شط: بعد - قطن: أقام

والله ما أحببت حِكْمُ لا ثَبِيًّا مُخَلِّقٌ ولا بَكْرًا
وأظهر من كل ما تقدم قوله في عِشْمَة
ما خُذْتُ عَهْدَكَ يَا عِثْمُ ولا هُنَا قَابِي إِلَى وَصْلِ لَغَيْرِكَ فاعلمي
ولا يُمْكِنُ أَيْهَا السَّادَةُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ هَذِهِ الدَّعَاوِي صَحِيحَةً . فَإِنْ
كَذَّبَ بَعْضُهَا كَانَ دَلِيلًا عَلَى كَذِبِ الْبَوَاقِي ، فَهُوَ إِذَا مُحْتَالٌ مَاهِرٌ
يُقَسِّمُ لِكُلِّ غَانِيَةٍ يَمِينًا . وَالْغَوَانِي سَرِيعَةُ التَّصْدِيقِ ^(١)

(١) قد وافقنا على هذا الرأي كثير من شيوخ الأدب . وأساتذة البيان . وفي مقدمتهم
الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتي والاستاذ الدكتور أحمد ضيف وخالصا في ذلك الاستاذ
الشيخ عبد الوهاب النجار : فهو يرى أن بعدد المعسوقات لا يدل على الكذب في
الحب . وقد يخاص المحب في يومه إلى إحدى الغايات ، ثم يعصى غيرها الود في
الغد . ولا يكون كاذبا في حبه الأول . ولا متهما في وده الثاني . بل قد يفنى في حبه
لبعض الغواني ثم ينصرف عنها ثم يعود إليها ، كما قيل :

هَجَرْتِكَ حَتَّى قَبْلَ لَا يَعْرِفُ الْهُوَى وَزَرْنِكَ حَتَّى قِيلَ لَسَ لَهُ صَبْرٌ
وَأَكُنْ أَلَا بَرَى فَضْلُهُ الْإِسْتَادُ السَّيْخُ النَّجَّارُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَيْ رُبِيْعَةٍ وَأَمْثَالُهُ
بِقَلْبٍ فِي الْحُبِّ . وَبَلَوْنِ فِي الْوَدِّ . وَانْهَ إِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الْكُذْبِ فَهُوَ نَعَضُ الْكُذْبِ ؟
أَعَدَّ وَفَاءَ مِنْ قَلْبِهِ كُلِّ يَوْمٍ فِي حُبِّ جَدِيدٍ . أَوْ يَحْسِبُ صَادِقًا مَنْ لَمْ يَكُنْ دَا وَفَاءً ؟
إِنْ هَذَا لَبَعْدُ

هذا . وقد عرَّضَ أَسَاذُنَا الدُّكْتُور طَه حُسَيْنُ حُبَّابِنِ أَبِي رُبِيْعَةٍ فِي كِتَابِهِ حَدِيثُ
الْأَرْبَعَاءِ ج ٢ ص ١٤٣ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحِبُّ بِعَقْلِهِ وَلَا بِقَلْبِهِ وَأَتَمَّا كَانَ يَحِبُّ بِحُجْسِهِ ،
وَنَحْسِهِ لَيْسَ غَيْرَ . ثُمَّ قَرَّرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُ الْمَرْأَةَ إِلَّا عَلَى أَنَّهَا مُكَمَّلَةٌ لِلرَّجُلِ لَا اسْتَطِيعَ
أَنْ يَعِيشَ بِدُونِهِ وَانْهَ لَمْ يَكُنْ يَقْصُرُ هَذِهِ الصَّلَةُ الْجَنَسِيَّةُ عَلَى مَعْنَاهَا الْمُنَادَى وَحْدَهُ
وَأَتَمَّا كَانَ يَرِيدُهَا وَاسِعَةً مُتَاوَلَةً جَمِيعَ أَطْرَافِ الْحَيَاةِ

رابعا — قد جاء في شعره ما يدل على أن النساء عرفن فيه التلوّن ،
وعهدن منه التقلب . فمن ذلك قوله :

عجبا ما عجبتُ مما لو أبصر	ت خليلي ما دونه لمعجبتا
لمقال الصفيّ فيم التجني	ولما قد جفوتني وهجرتا ؟
في بكاء ، فقلت ماذا الذي أب	كأك قالت فئاتها : ما فعلتا
ولوت رأسها ضاراً وقالت	إذ رأتنى : اخترت ذلك أتنا
حين آثرت بالمودة غيرى	وتناسيت وصلنا ومللتنا
قات لي قولَ مازح تستبينى	بلسان مصدّق إذ حلفتنا
عاشري فاخبري فمن شؤم جدّي	وشقائي عوّشرت ثم أخبرتا
فوجدناك إذ خبرنا ملولاً	طريقاً لم تكن كما كنت قلنا
وتجلّدت لي لتصرم حبلى	بعد ما كنت رثّة قد وصلنا
فاذكر العهد بالمحبّ والودّ	الذي كان بيننا ثم خفّتنا (١)
ولعمري ماذا بأول ماعا	هدتنى يابن عمّ ثم غدرتا
فحرامٌ عليّ أن لاتنال الد	هر مني غير الذي كنت نلتنا (٢)
قلت مهلا عفوا جميلا فقلت	لاوعيشي ولو رأيتك ميتا

(١) المحصب : موضع رمى الجمار بنى (٢) الظاهر أن « لا » زائدة في قوله :
فحرام عليّ أن لاتنال

ويقول في الحديث عن بعض معشوقاته :

قالت وقد جدّ رحيل بها والعين ان تطرف بها تسجم
ان ينسنا الموت ويؤذن لنا نلّقتك ان عمرت بالموسم
إنك والله لذو ملة يصرفك الأذنى عن الأقدم

ويقول أيضا في الحديث عن بعضهن

قالت لآنسة رداح عندها كالرئم في عقد الكثيب الأيهم
هذا الذى منح الحسان فؤاده وشركمه فى نخه والأعظم
علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدالى ذو هوى متقسم
طَرفٍ ينازعه الى الادنى الهوى ويبت خلة ذى الوصال الأقدم
وقد كثر شعره فى هذا المعنى ، حتى لقد يذكر شتمهن له ، وعتبن
عليه ، كقوله :

وقالت حات عن عهدى وودى جديد ما حيت لكم يسير
وطاوعت الوشاة وزرت من لم يزرك وقد تبين لى الختور
ولم ترع الوداد كما رعينا وبانت منك لى عمداً أمورُ
ولم تجزِ القروض ولم تُتبها وأنت لكل صالحةٍ كفورُ
وقد أقر نفسه بالتلوّن ، وصرّح بالتقلّب ، فى قوله

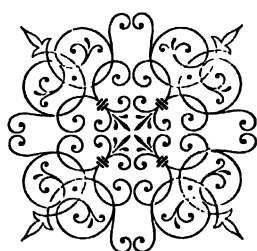
لمعرى لقد كان الفؤاد مسلماً صحيحاً فأمسى لا يطيق لها هجرا

فجازى ودوداً كان قبلك فى الهوى دءولاً فقد أورثته السُّقْم والضُّرا
أفى الحق أنْ 'حُكِّمْتُمْ' فـ'حُكِّمْتُمْ' صواباً فما أخطأتم الظلم والكفرا
وأين هذا أيها السادة من قول مضر بن قرط المازنى :

ولو تعلمين العلم أيقنتِ أنى وربّ الهدايا المشعرات صدوقُ
أذود سَوَامَ الطرف عنك وماله إلى أحدٍ إلا عليكِ طريق
فإن كنت لما تخبرينى فاسألى وبمض الرجال للرجال رموقُ
سلى هل قلانى من خايل صحبتهُ وهل ذمّ رحلى فى الرحال رفيقُ
وهل يجتوى القوم الكرام صحابى اذا اغبرَّ فخشى الفِجَاج عميقُ

* *

فياليت شعرى — وقد بينت لكم كذبه فى الحب — ماهى الميزة
التي سما بها شعره ، وسار بها ذكره ؟ وما هو السر فى أن سَحَرَ شعره
النساء ، وآمن به الشعراء :



المحاضرة الثانية

أيها السادة

بيننا في المحاضرة السالفة : أن ابن أبي ربيعة لم يكن صادق الحب ، ولا متين الصبابة . وأنه كان هتما كاللحرائر ، فتناكأ بالأنس . ساعده على ذلك شبابه الرائع ، وجماله الفاتن ، وثروة طائلة : كان من شأنها أن يتسّع وقته لمداعبة الغيد ، وملاعبة الحور .

وما كان بما أن نطيل القول في ذلك ، لولا ما نعرفه ونؤمن به من أنه لا يصح الحكم على شعر شاعر ، أو نثر ناثر ، إلا بعد الوقوف على دقائق قابله ، وخطرات فؤاده . وقد علمنا مما سلف مبالغ ابن أبي ربيعة من الحب ، ونصيبه من الصبابة ، ولم يبق إلا أن نذكر ما يجب أن يكون لشعره من ميزة ، ولأسلوبه من طابع ، وفقاً لحالته النفسية ، وميوله الشخصية ، وأن نبين أثر تلونه في حبه ، وتلاعبه في عشقه ، وكيف كان ذلك داعياً إلى أن يكون لشعره صفة تميزه عن غيره ، وتفضله عما عداه .

غير أنني لم أشأ أن أكشف الغطاء عن ذلك ، وأميط اللثام

عنه ، إلا بعد أن أئين لكم كيف فهمه الناس من قبلنا وكيف كان حكمهم على شعره وتقديرهم لأدبه ، فاني إذا فعلت ذلك فبينت بعدهم من الصواب ، وانحرفهم عن الجادة ، كنت جديراً بأن أقول : اني عملت عملاً جديداً ، وأحدثت أثراً جميلاً ، وابتدعت بدعة حسنة ، وسألت في فهم ابن أبي ربيعة سيلاً لم يسلكه الناس من قبل . نعم وكنت جديراً بأن أخطيء من يقول : لا جديد تحت الشمس . وأن أكون نصيراً للداعين إلى الجديد تنميماً للقديم

أعمل ذلك وأسمى إليه ، وأنا أحترم أدب الأسلاف وفكرهم ، مع اعتقادي أن كل شيء في الكون قابل للتهديب ، مفتقر إلى التكميل وأن السبعين صحيفة التي كتبها صاحب الأغاني عن ابن أبي ربيعة لم تكن لتفهمنا حقيقة ، وتعرفنا شخصه . إذ كانت موضوعة على غير نظام مبنية على غير أساس ، وأن بنوتنا لأسلافنا وتبعيتنا لهم لا يحولان بيننا وبين تكميل ما لم يكملوه ، وتهذيب ما لم يهذبوه ، فان للولد - وان يكن ميراً أبيه - قلباً يفقه به ، وعيناً يبصر بها ، غير قلب أبيه وعينه ، وليس للوالد مهما عظم أمره ، وجل قدره ، أن يضطر ابنه إلى الحكم على الأشياء كما يحكم هو عليها . كما لا ينبغي

للولد مهما أخلص في بنوته ، وصدق في بره ، أن يعق الطبيعة
فيما أهده من نظر ومنحته من تدبير

*
* *

أيها السادة :

علمت أن ابن عباس سمع شعر ابن أبي ربيعة واستحسنه ،
وأن قائلاً قال له : الله الله يا ابن عباس فأننا نضرب اليك أكباد الإبل
من أقاصى البلاد نسألك عن الدين فتعرض ؛ ويأتيك غلامٌ من قریش
فيُنشدك سفيها فتسمعه ؛ فقال تالله ما سمعت سفيها ! فعلمت من ذلك
أن ابن أبي ربيعة شاعرٌ مُستجاد الشعر ، غير أن الشعراء كثير :
فمن هو من بينهم ؛ وما سبيله التي سلكها ؟ وما هو الابداع
الذي عرف به ؛

وباغنى أن الفرزدق سمع شيئاً من تشبيب ابن أبي ربيعة فقال :
هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فلخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه .
فلم أفهم من هذا شيئاً ، ولم أدر ما الذي يدل عليه اسم الإشارة في قوله :
هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ؟

وبلغنى أيضاً أنه كان بالكوفة رجل من الفقهاء يجتمع الناس إليه

فيتذاكرون العلم ، وأنه ذكر يوماً شعر ابن أبي ربيعة في مجلسه فهجّنه فقالوا له : بمن ترضى حكماً - ومرّ بهم حماد الراوية - فقال قدرضيت هذا . فقالوا لحماّد : ما تقول فيمن يزعم أن عمر ابن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً ؟ فقال أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا نصنع به ماذا ؟ فقال : ننزو على أمه لعلّها تأتي بمن هو أمثل من عمر ! ! فعلمت أن ابن أبي ربيعة شاعر اختاف الناس في تقديره ، وأن بعض أعدائه اعتمدوا في النيل منه على الفحش والسباب

وسمعت أيضاً أن العرب كانت تُقرّ اقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر : فانها كانت لا تقرّها بها ، حتى كان عمر ابن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، فلم أفهم من هذا أيضاً إلا أنه شاعر مجيد ، رفع من شأن قومه ، وأكمل مجد آبائه .

وربما سمعت من طريق آخر أنه محب ، فأقول ومن هو في المحبين ، فإن الحب درجات ؟ أو ناسب متغزل ، فأقول : ومن هو في المشيبين فإن للنسيب مذاهب ؟



وكذلك ما زلت أسمع من أخبار ابن أبي ربيعة ، وأقرأ من وصف

الناس له ، ما يبعدنى عن فهمه ، والحكم على شعره ، حتى رأيت حديثا مسهبا لبعض العلماء المتقدمين فيما ابتكره ابن ابى ربيعة من نادر المعانى وابتدعه من جديد الاغراض ، حديث علمى ، أراد به كاتبه — عفا الله عنه — أن يعلم الناس كيف يعتسفون فى فهم الأدب ، ويضلون فى تقدير الشعراء : حديث طويل بيد أنه كسر اب ببيعة بحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاء لم يجده شيئا : حديث خادع ، ظن صاحب الاغانى أنه يكرم الأدب بذكره ، ويمتتع الأدباء بنقله ، فلم يغفل منه كلمة ، ولم يغادر منه حرفا .

وقد رأيت أن أنقل لكم ذلك الحديث وأناقشه ، حتى تعلموا أئى ضرر يعود على قارئ تلك الكتب . إن لم يكن من أهل الحكم ، ومن يميز الخبيث من الطيب ، وحتى تعرفوا خطأ أولئك الذين يدرسون الأدب فى بيوتهم ، وبعد الفراغ من أعمالهم ، ظلما . منهم أنه علم كالى بسىط ، يكفى فى فهمه ودركه أن يكون للمرء مكتبة يرجع اليها ويروض الفكر فيها ، ثم يبيحون لأنفسهم بعد ذلك أن يؤلفوا فى الأدب ، وأن يفقدوا الكتاب والشعراء !!

نعم وحتى يعلم الناس جميعا أن لاهياة للأدب ، ولا بقاء للغة . إن لم ننظر فى حياة غيرنا الأديبة ، فنعرف الفرق بين أدبنا وأدبهم ، وكيف

نبهوا بعد خمولهم ، ونشطوا بعد فتورهم . وما هى السبل التى أوصلتهم إلى ما وصلوا إليه . حتى نصل نحن كذلك ، فانا لا نريد أن نفخر بأجدادنا ونحن دونهم ، ولا أن نعيش فى ظلمهم كما عاش آباؤنا فى ظلمهم ، بل نريد أن تكون لنا ثروة أدبية ، وراث فكرى ، وأن نحيا فى أنفسنا ، وبأنفسنا ، حياة طيبة خالدة ، يتغنى بها الأبناء والاحفاد .

نقل صاحب الأغانى — وهو يترجم ابن أبى ربيعة — عن الزبير ابن بكار عن عمه مصعب انه قال :

« راق عمر بن أبى ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم : بسهولة الشعر ، وشدة الأسر ^(١) . وحسن الوصف . ودقة المعنى وصواب المصدر ، والقصد للحاجة . واشتقاق الربع ، وانطاق القلب ، وحسن العزاء . ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجة ، وترجيح الشك فى موضع اليقين . وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العال ، وعطف المساءة على المذال ، وأحسن التفجع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصفاء . إن قدح أورى ، وإن اعتذر أبرأ ، وإن تشكى أشجى . وأقدم عن خبره ، ولم يعتذر بغيره

(١) الأسر يسكون السين : الحلق . قال تعالى « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » ويراد بسدة الأسر فى وصف الشعر إحكام السجع ومنانة التركيب

وأسر النوم ، وغمَّ الطير ، وأغذَّ السير ، وحيرَ ماء الشباب ، وسهل
وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وعصى وأخلى ، وحالف بسمعه وطره وأبرم
نعت الرسل . وحذر . وأعلن الحب وأسره ، وبطن به وأظهره . وألحَّ
وأسفَّ ، وأنتج النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، وأذل
صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلن قاتله ، واستبكي عاذله ، ونفض
النوم ، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه . وكان بعد هذا كله فصيحاً «
فهل رأيتم أغمض من هذا الكلام ، وأقل وضوحاً منه ؟
وهل يحسن أن يجيب المرء بمثل هذا إذا سئل عن شعراين أبي ربيعة ؟
اللهم إنك تعلم انى لا أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وانى
لقيت عنتاً فى فهم هذا الحديث المبهم الغامض ، وأنى أخشى أن يتورط
فيه من يشق عليه فهمه ، ويصعب عليه دركه ، فان المؤلف نفسه قد
شعر بغموضه . وأحس باهمامه : فأطال فى شرحه بالمثال

ولنفرض أن هذا كلامٌ واضحٌ بين ، فمن ذا الذى يستطيع أن
يحمل ذاكرته ستاً وأربعين صفة لشاعر واحد ؟ وما كانت تكون
الطامة لو ألّفنا هذا النحو من الفهم فى تقدير كتابنا وشعرائنا
وحكائنا ؟ أكانت تتسع اللغة لهذه الألقاب العديدة ، والمصطلحات

الكثيرة ؛ أم كان يتسع وقتنا لدراسة الفنون على هذا النحو في اختلاف أنواعها ، وتباين أشكالها ؟؟ هيئات هيئات ! ولشد ما تورط الكاتب في الخطأ ، وأمعن في الضلال !



ولكن فلنترك تأنيبه جانبا ، ولنعد إلى النظر في تلك الكلمة ، ولنفهمها فهما يخول لنا الحكم عليها ، حكما صارما لا يرد
أليس معنى كلامه قبل كل شيء ان ابن أبي ربيعة انفرد بتلك الصفات كلها لم يشاركه فيها مشارك ، ولم يزاحمه عليها مزاحم ؛ وإلا فكيف بهربها الناس ، وفاق من أجلها النظراء ؟ لا بد أن يكون غرضه ذلك وإلا كان خاطئاً في حكمه ، وإهما في فهمه — نعم يجب أن لا يريد من تلك الصفات إلا أنها من خواص ابن أبي ربيعة فان ذلك هو موضوع الحديث ، وما سأل من أجله القلم . وإذا فلننظر أصدق أم كان من الكاذبين ؟

وإني ألاحظ أولاً أيها السادة : أن ذلكم المؤلف لم يدرس شعر ابن أبي ربيعة دراسة تمكنه من الحكم الصحيح وتجمله قادراً على وضع الحكم في مواضعه ، وأن يكون الشاهد وفقاً

لما يزعمه ، وطبقاً لما يدعيه : فقد رأيناه يمثل لدقة معناد وصواب
مصدره بقوله :

عوجاً نُحَىّ الطلل المَحُولَا والرَّبعَ من أسماءِ وَنَزَلَا^(١)

بجانب البوابة لم يعدهُ تقادم العهد بأن يؤهلاً^(٢)

وليس هذا بالكلام الرائع ذى المعنى الدقيق ؛ وإنما هو شعر كان
من أمره فى التعقيد أن اختلف الناس فى فهمه وتأويله : فقال إسحق
ابن ابراهيم : يعنى أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وهو فهم سقيم ،
فإن المنزل الذى لم يؤهل حتى لا يخشى عليه تقادم العهد ، ليس أهلاً
للتحية ، ولا لتذراف الدموع . وقال بعض المدنيين : يحییّه بأن يؤهل
أى يدعو له بذلك ، وهو أنسب ، وكان أولى لو مثل الكاتب لدقة المعنى
وصواب المصدر بقوله

أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المغيرى الذى كان يُذكر^(٣)

لئن كان إياهُ لقد حال بمدنا عن العهد والانسان قد يتغيرُ

قال ابو الحارث جُمَيِّز : امرأته طالق ان كانت أشارت اليه بمدراها

(١) الطلل المحول والمحيل هو الذى أتت عليه أحوال فطمس معالمه وأخفى رسومه

(٢) البوابة الغلاة واسم لصحراء بأرض تهامة (٣) المندرى والمندرة : حديدة

ينحك بها الرأس

الا لتفقاً بهأعينه ، هلاً أشارت إليه بنفاق مُطرف بالخرذل ، أو
سَنَبُوسَجَة ^(١) مغموسة في الخل . أو لَوَزِينَجَة ^(٢) شَرِقة بالدهن ، فإن
ذاك أنفع له ، واطيب لنفسه ، وادل على مودة صاحبه ا

ونحن بالرغم من نقد هذا الا كول الشره ، نرى ابن أبي ربيعة
أبصر بمواقع الكلم : فانه هنا لا يتحدث عن فتوَّته وشبابه ، حتى يصف
هدايا النساء له ، واقبالهن عليه . وانما يذكر مانالت من حسنه الايام ،
وهدت من قواه الايامى . ألا ترونه يقول بعد ذلك :

فقلت نعم لاشك غير لونه سُرى الليل يُحي نصه والتهجر ^(٣)
رأت رجلاً أماً اذا الشمس عارضت

فيضجى وأما بالعشى فيخصرُ

قايلاً على ظهر المطية ظله سوى مانقى عنه الرداء المحبر
أخاسفر جوارب ارض تقاذفت به فلوات فهو أشعث أغبر
وهذا ولا شك أدق معنى وأصوب مصدراً مما ذكره صاحبنا
من قبل في بيان رأيه ، وتأيد مذهبه .

(١) السدوسج : ماخشى قطع اللحم والخور ونحوه من الرقق المعجون بالسمن أو الشيرج

(٢) النوربيج : نوع من الحلواء يسبه القطائف يؤدم بالجوز (٣) نص السرى :

اسراعه والتهجر : السير في الهاجرة وهي شدة الحر

ثم مثل لصدقه الصفاء بقوله :

كل وصلٍ أُمسى لديك لأنى غيرها وصاها إليها أداء
كل أنى وإن دنت لوصالٍ أو نأتُ فهي للربّ باب الفداء

وعندى أن هذا الشعر يدل على الكذب أكثر مما ينمُّ على الصدق، وما قيمة الصدق في حبه، والحب في قلبه. وهو بعرف غيرها ويصل سواها ؟ ولو أنه نظر نظرة عميقة في شعر ابن أبي ربيعة لاهتدى إلى المثال الواضح والشاهد البين في الدلالة على صدقه في الحب، وثباته في الغرام. واليكم ما قال ابن أبي ربيعة في هذا المعنى. وقد وقف في بعض المناسك فاقبل النساء جماعات جماعات كأسراب الحمام، وكنَّ بالحج عابثات، وفي النسك لآعبات :

من اللاء لم يحججن يبعين حسبةً ولكن ليقتان البرىء المغفلا
فأخذ الرجال يرشقونهم بالنظرات، ويصلونهم بالأمانى: فيطيعون الهوى ويعصون الله، ويجيبون داعى الحسن ويعتقون داعى النسك. كل ذلك وابن أبي ربيعة عفيف الطرف والقلب، لآخشية من الله، أو إجلالاً لآمنسك، ولكن طاعة للهوى، ونزولاً عند حكم الصباية، احتفاظاً بود من هوى، ورعيًا لعهد من يحب. وفي ذلك يقول :

يقولون أنى لستُ أصدُقُك الهوى وأنى لأرعاكِ حين اغيبُ

فما بال طرفي عفا عما تساقطت له أعين من معشر وقلوب
 عشية لا يستنكف القوم أن يروا سفاه امرئ ممن يقال لبيب
 ولا فتنة من ناسك أو مضت له بعين الصبا كسلى القيام لعوب^(١)
 تروّح يرجو أن تحط ذنوبه قآب وقد زبدت عليه ذنوب
 وما النسك أسلاني ولكن للهوى على العين منى والفؤاد رقيب^(٢)

ومثل لحسن عزائه بقوله

أالحق إن دار الرباب تباعدت أو انبت حبل أن قلبك طائر
 أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الهوى واستمرت بالرجال المرائر^(٣)
 زع النفس واستبق الحياء فأنما تباعد أو تُدنى الرباب المقادر^(٤)
 أميت حبها واجعل قديم وصلها وعشمتها كمثل من لا تعاشر
 وهبها كشيء لم يكن أو كمنزح

به الدار أو من غيبتة المقابر

(١) أومضت له : - رقه الطير (٢) يلاحظ القارىء رفع اسم « لكن » وقد
 ظن بعضهم أن هذا خبر م . غير أنه يجب أن يقرر أن مثل هذه المخالفة لقواعد
 العربية بكثير في الشعر الذي سق وضع القواعد والحرص على مراعاتها . ولولا ضيق
 المقام لذكر . شواهد ذلك من الشعر القديم ومن القرآن

(٣) استمرت بهم المرائر . قويت عزائمهم فأقلعوا عن عوائدهم

(٤) زع النفس : أخرجها عن الهوى

وكالناس عُلِّقَت الرِّبَابُ فلا تكن

(١) أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

وليس في هذا الشعر شيء من حسن العزاء ، إنما هو تناس لمن يهوى ، وتفاضٍ عَمَّنْ يحب ، فكيف يُحسب من الحسنات أو يعدُّ من المبتدعات ؟

ولعل خيراً منه في معناه ، وأدل منه على الصبابة ، قول شبيب
 ابن البرصاء

ألم تر أن الحَيَّ فرق بينهم نوًى يوم صحراء الغميم لجوج^(٢)

نوًى شطنتهم عن نوانا وهيجت لنا خزاناً ان الخطوب تهيج^(٣)

فلم تذرف العيغان حتى تحمّلت مع الصبح أحفاض لهم وحدوج^(٤)

وحتى رأيت الحَيَّ تذرى عراصهم

يمانية تذرى الرّغام دروج^(٥)

(١) من يبدو ومن هو حاضر : يريد من يقيم في الدو والحضر

(٢) الغميم كأمير واد بين الحرمين على مرحلتين من مكة (٣) شطيم : أمدتهم والموى الثانية هي القرب (٤) الأحفاض جمع حفص بالتحريك وهو مانع البيت إدا هيء للحمل والعيير الذى بحمله — والحدوج جمع حدج بالكسر وهو الحمل ومركب للنساء كالخفة (٥) العراص جمع عرصة بفتح العين وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء — والرغام : راب لين أو رمل مختلط تراب

فأصبح مسرورٌ ببينك معجبٌ وباكٍ له عند الديار نشيج^(١)
 فان تك هند جنةً حيل دونها فقد يعرف اليأسَ الفتي فيعيج^(٢)

*
* *

والأحظ أيضاً أيها السادة أنه كرر بعض الصفات : فانه قال : إن
 اعتذر أبرأ ، وأنشد في ذلك قوله :

فالتقينا فرحبت حين سلم ت وكفت دمعاً من العين ثارا
 ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجلداً وازورارا
 قلت كلا لامِ ابن عمك بل خف ما أموراً كنا بها أغمارا
 فجعلنا الصدود لما خشينا قالة الناس للهوى أستارا

ثم قال : وطلاوة الاعتذار ، وأنشد فيها قوله

أرسلت إذ رأت بعاذى ألا يقبلن بي محرّشاً إن أتاهُ
 دون أن يسمع المقالة منا وليطعنى فان عندى رضاه
 لا تطع بي فدتك نفسى عدوا لحديثٍ على هواه افتراه
 لا تطع بي من لو رآني وإيا لك أسيرى ضرورة ما عناه

(١) السيج : هو العصف بالبكاء وتردده بالصدر في عبر انتخاب

(٢) يعيج : يعود إلى رشد

ولا فرق بين هذين الشعرين إلا أنه في أولهما يحدث عن نفسه
وفي ثانيهما عن حبيبته .

وكذلك ألاحظ أن قوله (وقلة الانتقال ، وإثبات الحجة ، إن
قدح أوري ، وإن اعتذر أبرأ . وإن تشكى أشجى) كل هذه الصفات
تؤدي إلى غرض واحد : هو استيفاء الموضوع ، وإقناع المخاطب .
فإنك تنظر إلى ما أنشده في قبة الانتقال ، فلا تجد غير ما أنشده في
إثبات الحجة : فكلاهما في محاورة اللأم ومراجعة العاذل

على أن إسباغ الكلام ، وتتميم الموضوع ، يُعدّان من الميزات
الأولية في الشعر العربي ، فقد يتكلم الشاعر عن عدة أشياء في قصيدة
واحدة ، وهو مع ذلك يوفي كل موضوع حقه ، ويعطى كل وصف
قسطه . وهذا سويد ابن أبي كاهل اليشكري ، جعل قصيدته العينية
صحيفة لتاريخه ، وشرحاً لأغراضه ، حتى ليحسب القارئ أن ليس
في استطاعة شاعر غيره ، أن يبسط القول في مسألة واحدة بسطه فيها
ولا أن يبلغ غرضه من شيء ما بلغ منه . فلو أن شاعراً شاء أن يصف
عدوّاً حسنَ الظاهر سيئ الباطن ، لما زاد على قوله

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غِيظًا قَابَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي شَرًّا لَمْ يُطَعْ
وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَاقِهِ عَسِيراً مَخْرُجَهُ مَا يُنْتَزَعُ

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي فَذَا أَسْمَعْتَهُ صَوْتِي انْقَمَعُ ^(١)
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفُ شَيْئًا لَا يَضِيعُ
 بَشْمًا يَجْمَعُ أَنْ يَفْتَابِنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌ وَدَاءٌ يُدَّرَعُ ^(٢)
 لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسَدَنِي فَهُوَ يَزْقُو مِثْلَ مَا يَزْقُو الضَّوْعُ ^(٣)
 مُسْتَقْسِرُ الشَّنَاءِ لَوْ يَفْقَدُنِي لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَنَبَعُ ^(٤)
 صَاحِبُ الْمِثْرَةِ لَا يَسْأَمُهَا يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَعَ ^(٥)
 ذَرَعَ الدَّاءَ وَلَمْ يُدْرِكْ بِهِ تِرَةً فَاتَتْ وَلَا وَهْيًا رَفَعَ ^(٦)

وهذا من النعمت الشامل ، والوصف السابغ ، وهو جزء من
 قصيدة كثرت أغراضها ، وتشعبت فنونها . ولو كان بي أيها السادة أن
 أشرح لكم طريقة العرب في الوصف وسبيلهم في البيان ، لكان لي
 مضطرب واسع ، وميدان فسيح ، ولكني أريد الآن أن أفهمكم فقط :
 أن ابن أبي ربيعة ليس أول شاعر بسط القول ، وهلهل الشعر . فليست
 آيياته التي يقول فيها

(١) مراد بـيخطر : لسمه بالمحل الهائج ، يقال : أريد الفحل إذا هدر . وخطر بدبه
 ضرب به ميا وسبلا (٢) طعام وخم ووخيم : غير موافق وإدراع الداء كسابة
 عن الابتلاء (٣) يزقو : يصيح - والضوع كصرد وعنب ذكر اليوم . وأطائر
 أسود كالغراب (٤) الشنء : البغض والدناء في هذا البيت الشر (٥) المثرة : هي
 العداوة والتميمة (٦) الترة : النار

- خليليَّ بعضَ اللوم لا ترحلا به رقيقكما حتى تقولاً على علم^(١)
 خليليَّ من يكلفَ بآخر كالذي كلفت به يدملُ فؤاداً على سُقم^(٢)
 خليليَّ ما كانت تصاب مقاتلي ولا غرتي حتى وقعت على نعم^(٣)
 خليلي حتى أف حبلِي بخادع موقى اذا ير مى صيود اذا ير مى^(٤)
 خليليَّ لو يُرقى خليلٌ من الهوى رُقيتُ بما يدنى النوار من المضم^(٥)
 خليلي ان باعدتُ لانت وان أن تباعد فلم أنبل بحرب ولا سلم^(٦)

ليست هذه الأبيات — وهى التى أنشدها ذلكم المؤلف فى إثبات
 الحجة — بشئ فى جانب ماقالته جليلة بنت مرة ، وقد اعتدى أخوها
 حساس على زوجها كليب فقتله فمغتبتها أخت كليب من الدخول فى مآتمه .
 فأخذت تبين لها بشائق القول ، وساحر ألبیان ، مصيبتها فى زوجها ،
 وهمّها على أخيها ، وأنها أولى منها بالحزن ، وأجدر بالشجى . وذلك قولها
 يا ابنة الأقوام ان لمت فلا تعجلي باللوم حتى تسألى
 فاذا انت تبيّنت التى عندها اللوم فأومى واعذلى

(١) لا ترحلا رقيقكما باللوم : لا تؤذيهما باسماءه اياه . (٢) يدمل فؤاده على
 نسقم : يطوبه عنه (٣) اشارة إلى أنه فتن بها لأول نظرة (٤) ام الحبل هنا
 كناية عن الوقوع فى الشرك (٥) النوار : الباصرة من الغطاء -- والمضم جمع
 اضم وعصمه . وهى التى فى اذرعها بباص (٦) لم أنبل : لم أصب أو لم أحسن الرمى

إِنْ تَكُنْ أَخْتَ امْرِئٍ لِّمَيْتٍ عَلَى شَفَقَ مِنْهَا عَلَيْهِ فَاغْلَى
 فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدَى بِهِ قَاصِمٌ ظَهْرِي وَمُذْنُ أَجْلِي
 لَوْ بَعِينٌ غَيْرَ عَيْنِي انْفِقَات عَيْنِي الْيَمْنَى إِذَا لَمْ أَحْضَلِ
 جَلٌّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَيَا حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي
 يَاقْتِيلًا خَرَّبَ الدَّهْرَ بِهِ سَقَفَ بَيْنِي جَمِيعًا مِنْ عَلٍ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَعْدَثْتُهُ وَبَدَا فِي هَدْمِ يَتَى الْاَوَّلِ
 وَرَمَانِي قَتَلَهُ مِنْ كَثَبٍ رَمِيَّةَ الْمُصْنَمَى بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ ^(١)
 يَأْنِسَانِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ خَصَنِّي الدَّهْرَ بِأَمْرِ مُعْضَلِ
 خَصَنِّي قَتَلَ كَلِيبَ بِلْظَى مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبَلِي
 لَيْسَ مِنْ يَبْكِي لِيَوْمِيهِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمِ بَجَلٍ ^(٢)
 دَرَكُ الثَّائِرِ شَافِيهِ وَفِي دَرَكِ الثَّائِرِ قَتْلٌ مُشْكَلِي
 أَنِّي قَاتِلَةٌ مُقْتَوْلَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاحَ لِي ^(٣)

وذلك نفسه هو القصد للحاجة : الذي جعلوه من مبتدعات ابن أبي.

ربيعة ممثلين بقوله :

(١) من كَثَبَ : من قرب — وانضمي هو من قولهم : أضمت الصيد إذا رمده فقتله
 مكابته والمستأصل من قولهم : استأصل الله شأفهم إذا قطع دابرهم (٢) بجَل بمعنى فقط
 (٣) ارتاح له الله : أبقده من البلية

أبيها المنكح الثريا سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيان
هي شاميةٌ إذا ما استقأت وسهيلٌ إذا استقلَّ يمان

*
* *

وألا حظ أيضاً أيها الساذج ان أكثر تلك الصفات من الامور
العامية : التي لا تحدّد معنى ولا ترسم طريقه . فما الذى اراده بسهولة
الشعر ، وشدة الأسر ؟ وما الذى قصده من حسن الوصف : وما الذى
عناه بفتح الغزل ؟ ولقد تأملت الأمثلة التي ذكرها لتلك الصفات فاذا
هي أكثر منها غموضاً : فقد مثل لحسن الوصف بقوله

لها من الريم عينا ولفتتهُ وغرّة السابق المختال إذ صهلا

فما وجه الحسن هنا ؟ ان كان في احراز الصفات المختلفة لاموصوفات
المختلفة ، فليس بالشيء الجديد . فاقد قال امرؤ القيس في وصف حصانه
له أيتلا ظبي وسافا نعامةٍ وإرخاء سرحان وتقريب تنفل^(١)
وان كان لروعته وبهائه ، فما هو أيضاً بالمتدع ، وخير منه قول
الشنفرى :

(١) الايتلا : الخاصة - والسرحان : الدئب - والتغل : ولد النعلب

فدقت وجات واسبكرت وأكملت

فلوجن إنسان من الحسن جنت^(١)

ومثل لفتح الغزل بقوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وهو معنى مشهور ، لا يصح أن يجعل دليلاً على نبوغ شاعر ،

على أنه ينسب للأحوص . وكذلك رأينا فيما ذكره : من تسهيله وتقويله ،

واختصاره الخبر ، ودقة معناه وصواب مصدره ، الى غير ذلك من

الأوصاف العامة والنعوت التي لم تُحدد . فلم يبق إلا أن ننظر في

الصفات التي يظن أنه ابتدع ما أفصحته عنه ، وابتكر ما دلت عليه .



وانى قبل ذلك ألقت نظركم الى أن تلك الصفات يرجع بعضها الى

المعنى ، وبعضها الى اللفظ ، وثى لامنها الى الأسلوب . وأريد بالمعنى هنا

الفكرة الأساسية ، التي يعد الشاعر مبدعاً لها اذا سبق بها ، كما يقولون .

(١) دقت وحات : يردآن حسنها دقيق في النظم الذى يسهل فيه الدقة . وحات

في الموضع الذى استنطى فيه الخضمه — واسبكرت : طأت واعتدلت

أول من طرد الخيال طرفة بن العبد في قوله

فقل لخيال الحنظلية ينقلب^١ اليها فاني واصل^٢ حبل من وصل^٣

وأريد باللفظ الكلمة المستعملة أول مرة في التعبير عن معنى

معروف ، كما يقولون : أول من قيد^٤ الأبداء^٥ رؤ القيس في قوله

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد^٦ الاوابد هيكل^(١)

يريدون أنه أول من عبر عن السرعة بهذا التعبير

فاما الاسلوب — وهو الطريقة المثلى في الأداء — فاني لا أريد

مناقشة المؤلف فيما يتعلق به ، فقد كان للعرب قبل ابن أبي ربيعة بأجيال

أسلوب سام بديع ، مازال الناس يقتفون فيه أثرهم ، ويترسمون خطاهم .

على أن أكثر ما يتعاقب بذلك من تلك الصفات مننقد مزيف . وقد

أشرنا الى شيء منه في الملاحظات السالفة ، فليتأمله الراغب في الفهم ،

والجائح للبيان .

فمن الصفات المعنوية عفة المقال التي مثل لها بقوله

طال ليلى واعتادنى اليوم سُقم^١ وأصابت مقاتل^٢ القلب نَعَم^٣

حُرَّة^٤ الوجه والشمالك والجو تكليمها لمن نال غنم^٥

(١) الوكنات جمع وكسه وهي عش الضائر — والمنجرد انصير الشعر — والاوابد:

الوحوش — والهيك: الفرس الضول

وحديث بمثله تُنزلُ العَفَّةُ . ثم رُخيم يشوب ذلك حلم
هكذا وصفُ مبادلٍ منها ليس لي بالذي تغيَّبَ عِلْمُ
إن تجودي أو تبخلي فبحمدٍ لستُ يأنعمُ فيهما من يذمُّ
وكان ذلك من خير ما يوصف به الشعر في الحب ، وتنتع به أحاديث
الصباية ؛ لولا أننا لآنعدده حسنة للشاعر ولا منقبة للمحب ، ما لم يكن
من خواصه ، ومما لا يعدل عنه ، فكيف وابن أبي ربيعة متهتك في شعره ،
متطرف في نسيبه ؟

على أن هذا الشعر وإن دل على عفة المحب فإنه لا يدل على إغراب
المحبوب في الصيانة ، وإيمانه في التمتع ، وخير منه قول الشنفرى في
ظبية تسكن إلى أمها ، وتنفر من محبها

لقد اعجبني لاسقوطاً قناعها إذا ما مست ولا بذات نافثٍ
تحلُّ بمنجاة من اللوم يبتها إذا ما يوثُّ بالملامة ثحات
كأن لها في الأرض نسيماً تقصه على أمها وإن تكلمك تبت (١)

وما زال العرب يفتخرون بالعفة . ويتمدحون بالصيانة ، فكيف
يكون ابن أبي ربيعة مبتدعاً للعفة في المقال ، وقد عرفت من قبله
في الفعال ؟

(١) النسي بالكسر ويفتح ماسى وما نلقبه المرأة من خرق اعتلالها . وبت وتبت
تقطع . والمعنى أنها تسكن إلى أمها فنطيل الكلام فاداكها رجل عليها الحياء فسكنت

ومما ابتدعه أيضاً في زعمهم عطف المساءة على العذال في قوله
 لاتلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي ياعتيق ماقد كفاني
 لاتلمني وأنت زينتها لي أنت مثلُ الشيطان للإنسان
 وهو خطأ في الفهم ، فإن هذا معنى أوجده حادثة خاصة ، وليس
 كل عاذل بقواد ، حتى يكون المعنى شاملاً لكل لأنم وعاذراً لكل ملوم ،
 وقد وُجد في كتاب الله من قبل ، فلا سبيل لعه من المبتكرات ،
 ولا لجعل صاحبه من المبدعين

* *

ثم قال : ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغيره قوله
 صرمت وواصلت حتى عرف ت أين المصادر والورد
 وجربت من ذاك حتى عرف ت ما أتوقى وما أعمد
 على أن وصل الغانيات ، والحظوة لديهن ، قد لا يحتاج إلى قسط
 أوفر من الدهاء ، ونصيب أكبر من السياسة ، حتى يفخر الشاعر
 بالفوز فيه والظفر به ، إنما يكبر المرء في عين النساء بفجولته ، وبشبابه
 النضير ، وغصنه الرطيب ، وما منجته الطبيعة من ديباجة مشرقة ومحيا

وسيم . فأما اللوام والعذال والوشاة ، فهم أهون الناس عليه ، وأصغرهم
 لديه ، إن نال من حبه الكرامة ، وحل في قلبه الشفيق
 ولعل البها زهير قلّده في هذا المعنى : إذ جعل القواد المخنثين
 أشباها لسفراء الدول حين يقول :

فيا رسولى إلى من لا أبوح به إن المهات فيها يُعرف الرجلُ
 والمعنى أصله للناطقة في مدح بنى غسان ، وقد وضعه في موضعه
 وأقره في نصابه ، وذلك قوله (١)

ولا يحسبون الخير لاشر بعده ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب
 إذ كانوا لا يفتلون عن حراسة الخير ، ولا يفترون في
 مدافعة الشر

ثم قال : ومن تحذيره قوله

لقد أرسات جاريتى وقلت لها خذى حذرك
 وقولى فى ملاطفةٍ لزيب نولى عمرك
 فان داويت ذا سقمٍ فأخزى الله من كفرك
 فهزّت رأسها عجباً وقالت من بذا أمرك
 أهذا سحرك النسوا ن قد خبرنى خبرك

وقلن إذا قضى وطراً وأدرك حاجة هجرك
ولست أرى في هذا الشعر ما ينبغي عن ابتداء ، أو يدل على
اختراع ، فإن تحذير الرسول من الامور الفطرية التي تخطر ببال أحدث
الناس عهداً بالحب ، وأقاهم علماً بما يجنى الوشاة

على أن ذلك قد يكون من عيوب تلك القوائد التي كان ينبغي
أن لا تحتاج إلى تحذير ، فما يصح أن تكون جارية ابن أبي ربيعة غرة
باهاء ، يدرك الناس ما تسعى له ، فيعرفون من تمشى إليه ، أو تخطيء
فهم ما أرسات به ، فتخفق فيما سعت له

فأين كانت ، لاعفا الله عنها ، تلك العجوز الشمطاء ، ولداهية
الشعواء ، التي كن يرساها ابن أبي ربيعة إلى الظباء النوافر ،
والحسان الغرائر ، فتسمعهن من حلو الحديث ومرد ، وصعب
الكلام وسهله ، ما يجماهن إلى الفسق أميل ، ومن الفحش أقرب :
فيصبحن خليعات فاجرات ، بعد أن كنّ عفيفات طاهرات :

أين كانت — لا كانت — تلك التي يقول فيها
وَأَتَهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَمْزِجُ الْجِدَّ مَرَارًا بِاللَّعِبِ^(١)

تُعَظُّ القول إذا لانت لها

وتُراخى عند سَوَّرات الغضب

لم تزل تصرفها عن رأيها وتأنَّها برفق وأدب^(١)

تلك التي ودَّ الناس لو أتاحت لهم الأقدار خليفةً في عقلها ، أو

أميراً في رأيها ، والتي طلب الوليد من حمَّاد أن يسمعفه بمثلها ، ويدركه

بشبهها ، حتى تعطف سامي عليه ، وتردّها اليه

ذلك ما أجاد ابن أبي ربيعة في وصف الرسل . فاما (التحذير) الذي

عناه المؤلف ، فهو ضرب من الخطأ ، أو نوع من الفضول

*
* *

ثم قال : ومن قناعاته بالرجاء من الوفاء قوله

فِعْدَى نائلاً وإن لم تُنْصِلْهُ انهُ ينفع المحبَّ الرجاء

وقد علمت مما أسلفناه أن ابن أبي ربيعة لم يكن ممن يرضى في

حبه باليسير من الوصل ، والقليل من القرب ، حتى تعدَّ من ميزاته

القناعة ، ومن خصائصه العفاف

وأين هذا البيت في حسنه من قول جميل :

(١) تأنَّها بحذف إحدى تاهيه : تمهل عليها

وإني لراض من بثينةً بالذي لو أبصر دالواشي لقرت بلا بله
 بلا وبأن لا أستطيع وبالمى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى

أواخره لا نلتقى وأوائله

ولا تحسبوا أيها السادة أن هناك فرقاً بين الشعريين في المعنى
 حتى تستبعدوا المقارنة . فإن المؤلف — فيما أظن — لم يشأ إلا
 التنويه بقناعة الشاعر ، والتغنى بمغافه ، بدليل قوله بعد ذلك : هذا
 أحسن من قول كثير :

ولست براض من خليل بنائل قليل ولا أرضى له بقليل
 وقد شاء أن يخطيء في الآخرة والأولى : فإن ابن أبي ربيعة
 يتكلم عن محبوبه ، وكثير يتكلم عن خليله ، وقد يرضى المرء بظلم حبيبته
 ولا يرضى بجور صديقه ، فقد يصدف الحبيب دلالة ، ويعرض
 الصديق ملالة ، والصبُّ عن حبه صفوح ، وربما نوقش الصديق

فأما ما أسدل ابن أبي ربيعة من الحُمل الجديدة الفاخرة ، على
 المعاني القديمة الباهرة ، وما تندّر به من التراكيب الطريفة المخترعة ،
 والتماير الحديثة المبتدعة ، فاما نرحم الأدب من أن يُعجب بها كاتب
 فيزين بها نثره ، أو يخدع بها شاعر فيجمل بها شعره ، إذ كانت

فى جهاتها من الاستعارات الفاسدة ، والمجازات المردودة . مما ينبو عنه
الطبع ، ويمجه الذوق السليم . فما حسن إنكاح النوم فى قوله :
حتى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامهُ ونظرت غفلة كاشح أن يعقلا
واستنكح النومُ الذين نخافهم وسقى الكرى بوابهم فاستثقلوا
خرجت تأطر فى الثياب كأنها أيمٌ يسب على كئيب أهىلا^(١)
وعلى أى وجه تجرى هذه الاستعارة ، ومن أى سبيل يجوز
هذا المجاز ؟ إن هذا إلا اختلاق

ولست أدرى لِمَ لَمْ يفتن الكاتب أيضا بما أبدع ابن أبى ربيعة :
من تشبيه الحسفاء وهى تتثنى ، بالحية وهى تتلوى ، فهو أيضا
تعبير مخترع ، وتشبيه مبتدع ، لا يقل عن إنكاح النوم فى السماجة ،
ولا ينقص فى الفضول ؟

وانهم ليعجبون أيضا بقوله :

فى خلاء من الأندى وأمن فشفينا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتيننا من أمرنا ما اشتهينا
فكثنا بذاك عَشْرَ ليالٍ فقضينا ديوننا واقتضينا

(١) تأطر أصله تتأطر حذفت إحدى نوائيه . والتأطر : التتى - والاي : الأسمى
ويسبب : يمشى - والكئيب الأهيل : الرمل المنهال

وذلك أنهم يزعمون أنه أول من ضرب الحديد حديثاً لبطن
من غير أن يبينوا ما يُراد بذلك البدع الجديد !
ويستجيدون أيضاً قوله

حبكم يا آل ليلى قاتلى ظهر الحبُّ بجسمى وبطنِ
ليس حبٌّ فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسى أو أجنِ
وهو من الخطأ فى التعبير ، فإن الحب حين تبدو علامته من الأرق
والسهاد ، والنحول والذبول ، لا يقال عنه بطن وظهر ، إنما يقال : ظهر
منه ما كان خفياً ، وبدا ما كان مستوراً . وقد يستبعدون أن يكون
الأسى الظاهر ، تمثالا للجوى الباطن ، كأن ما يبدو بالجسم من شحوب
وبالوجه من لغوب ، إنما هو شررٌ تطاير من لهيب القلب ، وسعير الفؤاد
وإن تعجب فعجبٌ قوله

ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسى أو أجنِ
كأن لم يقتل الحب من أحد ، ولم يُصرع به إنسان !

* * *

وإني أيها السادة — على ما أغربت فى تقد ذلكم المؤلف — أرى
من الانصاف أن أعزز رأيه فى كلمة اختارها فى طلاوة الاعتذار ،
وأخرى فى تحيير ماء الشباب ، وثالثة فى صدق الصفاء

فأما الأولى فهي قوله

عاود القلبَ بهضٌ ما قد شجَاهُ من حبيب أمسى هوانا هَوَاهُ
أرسلت إذ رأت بعمادى أَلَا يقبلنُ بي محرّشا إن أناه^(١)
دون أن يسمع المقالة منا وليطعننى فإن عندى رضا
لا تطع بي فدتك نفسى عدوًّا لحديثٍ على هواه افتراه
لا تطع بي من لو رآنى وإيا لك أسيرى ضرورة ما عناه
ما ضرارى نفسى بهجران من لى س مسيئًا ولا بعيداً ثراه^(٢)
واجتنابى بيت الحبيب وما الخ لد بأشهى إلى من أن أراه
والحق أقول : : إن إعجابى بهذه الأبيات ، ليس لما فيها من طلاوة
الاعتذار - كما ذكر ذلك المؤلف - بل لما فيها من الجرأة فى الخروج
على الوشاة . ومن ذا الذى يقرأ قوله

لا تطع بي من لو رآنى وإيا لك أسيرى ضرورة ما عناه
ثم لا يعطى العدو أذنًا غير واعية ، وفؤادًا غير أوّاب ؟
أم من ذا الذى يسمع قوله

ما ضرارى نفسى بهجران من لى س مسيئًا ولا بعيداً ثراه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخ لد بأشهى إلى من أن أراه

ثم لا يطير إلى حبيبه ، لينعم بجماله ، ويظفر بوصاله ؛

وأما الكلمة الثانية فهي قوله

أبرزوها مثل المهامة تهادى بين خمس كواب أثراب

وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهرا عدد الرمل والخصا والتراب

ووجه الحسن في تحيير ماء الشباب ، أنك تنظر إلى الحدود الموردة

فتراهما كالشفق تنقل من تحته الشمس ، أو كالشكاة يتموج في قلبها

المصباح .

في سبيل الحب تلك النظرة ! يوم رأيته وقد أبل من محمى

أضرعته ، فرأيت ماء الشباب يدب في تلك الحدود وهي صفراء

كالورس ، فيعيدها حمراء كالورد ، وإذا بالأنس يتمشى في فؤادي

لشفائه ، تمشى البرء في أعضائه ^(١)

وأما الثالثة فهي قوله

أحبك لحبك من لم يكن صفيًا لنفسى ولا صاحباً

وأبذل مالى لمرضاتكم وأعتب من جاءكم عاتباً

وأرغب عن ود من لم أكن إلى وده قبلكم راغباً

(١) تتعل هذه الفقرة إلى هذا الحديث لسبب ضعف . ودكرها هنا صلال من

ولو سلك الناس في جانب من الأرض واعتزلت جانبا
 ايممت طيتها إني أرى قربها العجب العاجبا^(١)

*
* *

وجملة القول : أن ما نسب إلى ابن أبي ربيعة من المعاني المبتكرة
 والألفاظ المبتدعة ، على ما فيه من وهن ، وما به من دخل ، لا يفصح
 عن منهج في الشعر غير مألوف ، أو سبيل غير معروف
 فما طريقه الجديد ، أو منهجه الحديث ؟



المحاضرة الثالثة

أيها السادة

إن الشعر أثرٌ من آثار النفس ، ولونٌ من ألوان الفؤاد .
وكما تختلف النفوس في نزعاتها ، والقلوب في خطراتها ، يختلف الشعر
في أغراضه ، ويتنوع في مناحيه

نعم تتنوع مناحى الشعر ، وتعدد مذاهبه ، بيد أنه لا يكفي
أن يقال : إن شعر اليأس غير شعر الرجاء ، وشعر الحزن غير
شعر الفرح ، فإن ذلك وإن فرق بين عاطفة وعاطفة ، وحالة وأخرى ،
فانه لا يرضى الأديب الفيلسوف ، الذى يعرف لعاطفة الحب ألواناً
مختلفة ، ولثائرة الحزن أشكالاً متباينة ، فيرى الحزن على الحبيب
الراحل ، غير الحزن على الحبيب المفقود ، ويرى الشعر فى بكاء الأبناء ،
غير الشعر فى رثاء الآباء . حتى ليؤمن بالفرق بين الشعارين :
يدعّون إلى نحلة واحدة ، بلهجة واحدة ، إذ كانت خطوات
السائرين فى سبيل واحد إلى غرض واحد تختلف قوة وضعفاً ،

ونشاطاً وفتوراً ، باختلاف فهمهم للغاية التي يقصدونها ، والغرض الذي يرمون اليه

وكذلك يختلف الشعراء والكتاب : فلن يكون ابن الرومي في 'بؤسه وذله' ، بالشاعر الذي ينحومنحى ابن المعتز في عزه وغناه ، ولن تكون أفكار جان جاك روسو الذي كان يفترش الأرض ويلتحف السماء ، بسالكة سبيل أفكار ميشيل مونتيني الذي كان يعبد أوبو : فلا يوقظه من نومه إلا بأنغام الموسيقى ، وألحان الغناء^(١)



إذاً فمن ابن أبي ربيعة من بين المحبين ؛ وما شعره من بين أنواع النسيب ؟

ابن أبي ربيعة : أليس هو ذلك الرجل الذي أحظه في أعطاف الماضي ، وأنظره في ثنايا الزمن . فأرى فيه التيه والدّل ، والفخر والأبهة ؛ أليس هو هذا الذي يبدو على قدم العهد : وكأنه الزهرة الناضرة ، أو الابتسامة الحائرة ؛ مالى أراه هكذا مفتوناً بشبابه . مغروراً بجماله ؛ وما بال النساء يُشرقن من حوله ، ويظامن عاينه ، فما يملك قلبه ، ولا يأسرن فؤاده ؟

(١) يجد القارئ بتفصيل هذه النظريات في البحث الثالث من كتاب « المتوارث من الشعراء »

بلى انه رجل خليع ، وفاتن المنظر أخاذ : فلا بد أن يكون
شعره كذلك فاتناً أخاذاً ، وضاحك الثغر بسّام فيجب أن يكون
شعره كذلك ضاحكاً بساماً . فإنما الشعر صورة النفس ، وتمثل الفؤاد
ألا فليخل شعره من التوجّع ، وليسلم نسيبه من الجزع ، وليترك
الهم لقوم سواه ، فما كان بالمحزون ولا المهموم !

علام يصف الليل : فيشكو كواكبه البطيئة ، ونجومه المشكولة ،
ونجده المفقود ، وما كان الرجل في التفاف النساء حوله ،
واقبالهنّ عليه ، بالذى يضجّ منه السرير لبعد الأنيس ، أو تسام
منه الحجرات لفقد السمير : فاقد كانت تعدّه المرأة بالزيارة في جنح
الليل ، فلا تكاد تصل إلى منزله ، حتى تجد غيرها قد سبقتها إليه ،
فتعود آسفةً حزينة

علام يشكو البين ، وما روّعه نذيرٌ بالفراق إلّا بشرّه بشير
بالتلاق ؟ أم كيف يبكيه الوداع ، وهو الذى ما شيع حبيباً ، إلا
استقبل حبيباً ، ولا غابت عنه شمس ، إلا أشرقت عليه شمس
ألا فليذكر الليل الطويل جميل ، وليحزن من البين المشت
كثير ، ثم ليركوا ابن أبى ربيعة بين الشموس السواطع ، والبدور
الطوالع ، وإنه من بينهم لسعيد .

لم يكن ابن أبي ربيعة ممن إذا غاب عنه حبيب ، أخذ
 في الحنين إليه ، والبكاء عليه . تلك سبيل الشعراء المفجّعين : الذين
 كانت قلوبهم أعواناً للدهر عليهم ، وكانت نفوسهم أخصاماً لهم .
 أولئك هم المعوزون في عالم المحبة ، والمحرومون في دولة الصباية ، أولئك
 الذين يرون الجمال ظلاً ظليلاً ، ثم لا يستطيعون أن يتفسيّثوا ماله من
 وارف الظلال ، أولئك الذين يحسدون الغلائل على الأعطاف ، والعقود
 في النجور . وكيف يكون ابن أبي ربيعة مثاهم مسكيناً في شرده ،
 وما كان مسكيناً في حبه ؟ أم كيف يصف البكاء والمدامع ، وما
 أَلَمَتْ نفسه ، ولا دُمعت عينه ؟

بعداً للذلة حتى في الحب ! وتباً للمسكنة حتى في الغرام !
 واسكن عذرناكم جماعة المؤلفين الذين يوجبون الذل في النسب :
 عذرناكم لأن المحبين جميعاً أذلاء ، ولأن أمثال ابن أبي ربيعة في الحب
 قليل . عذرناكم لأننا لانجد مفرأ من هذه الذلة ، ولا محيصاً عن هذه
 المسكنة ، ولأن الله في رحمته لم يشأ أن يجعلها ذلة خالصة ، بل
 شأها بنوع من الحرية ، وقسط من الاختيار ، يتمثل في إقبالنا على
 الحسن ، إقبال السارى على القمر ، والصادى على النهر
 نعم عذرنا المؤلفين في تلك القيود التي وضعوها في النسب :

لأنهم ظنوا أن الناس جميعاً يعرفون منه ما يعرفون ، ويفهمونه كما يفهمون . ولكن فإنرحم أنفسنا من اتباعهم والسير في آثارهم . ولنجر على سنن الكون وطبائع الحياض . فيما تصدر من الأحكام . وما نبدى من الآراء

ألسنا نخطئ من يزعم أن لورد في عام من الأعوام ، ضعفت شجراته ، وقات زهراته ، لأن آفة ألت بحديقة من حدائقه ، وطافت بجنة من جناته ؟ بلى إنا نخطئه في زعمه . لأن ذاك قد يلم بالشجرتين ، في مغرس واحد ، فتنجو إحداها وتعطب الأخرى . فكيف نقبل إذاً أن نحكم على الشعر قبل أن يوجد الشعراء ، وعلى التشبيب قبل أن يخلق المشببون ؟ ألا إن الحكم الأدبي لا ينفى فيه غير الاستقراء ، وهيهات أن ينفع الاستقراء حيث يكثر الشذوذ . وما دام الأدب من آثار النفوس ، وما دامت النفوس قلما تتشاكل ، فلن يصح إلحاق الأواخر بالأوائل ، ولا الحكم على الأحفاد باتباع الأجداد

ولقد كان يصعب التمييز بين شعراء العرب لو اتبعوا نقادهم فيما يأمرون به من توحيد المعاني ، وتحديث القدماء . ولكن يظهر أن النفوس العربية الوثابة ، التي ألفت الحرية . واعتادت الخروج ، حتى على الملوك والأمراء ، لم تشأ أن تخضع في جوانح الشعراء لتلك النظم

المشوشة التي وضعها العلماء . وكذلك نهض الأدب مع ارتباك النقد : فكان الشعراء في واد ، والنقاد في واد .

إذاً فانترك تلك السبل ، ولنحكم على الشاعر بما يصح أن يكون من ناحية ما اختص به ، من لون نفسه ، ووجهة خاطره ، غير ناظرين إلى تلك الأنواع العامة . التي اتبعها صاحب الأغاني وغيره ، تلك التي لا تميز شاعراً عن شاعر ، ولا كاتباً عن كاتب ، ولنجرب ذلك في الحكم على ابن أبي ربيعة المخزومي . ثم لننزل عند حكم الطبع ، ولنلتبع رائد التفكير



علمتم أيها السادة أن ابن أبي ربيعة كان شاباً محسوداً للشباب ، وأنه كان الأمل الحلو ، الذي تتغنى به كل حسناء أوت إلى فراشها ، أو هبت من منامها ، والأمنية المذبة ، التي تترقق في قلوب العذارى صاعدةً هابطة : بين اليأس والأمل ، والرجاء والقنوط ، والحديث المعسول ، تفضي به البنت إلى أمها ، والأخت إلى اختها ، بل كان زهرة الرجس ، تلك الزهرة المقدسة ، التي كان يرى العرب أن لا بد لمن يرغب في الحياة أن يشمها مرة كل شهر ، أو مرة كل سنة ، فإن لم يستطع ففي العمر مرة . وكان ابن أبي ربيعة يعلم ذلك ، ويعلم أنه حديث الفتیان

فى الأندىة السامرة ، والفتىات فى المغانى الزاهرة . نعم كان يعلم من ذلك ما أورثه العزة فى نفسه ، والنتىة فى حبه ، فرغب عن قرب الملوك ، وترك زيارة الأمراء ، علماً منه بأن له ملكاً أعظم من ملكهم ، وعزاً أروع من عزهم ، إذ كان أمير الحُسن فى عصره ، وملك الحُب فى دهره ، فظالما قدمت إلیه الحلل الفاخرة ، والطیب النادر العرف ، حباً فى شعره الذى تنبّه به الغوانى ، وتنفق به الأوانس . إذ كان من دلائل الحُسن الذى یعتر به النساء ، ویتى به الكعواب : أن یسیر بیت لابن أبى ربیعة فى وصف امرأة والتشییب بفتاة .

علم ذلك ابن أبى ربیعة ، وعلم أنه البدر الطالع فى سماء الحُسن ، والزهرة الشائقة فى جنة المحبة ، فرأى من الحكمة أن یعمل على ما یزید حبه رسوخاً ، وشعره نباهة ، فاحتال لذلك بحیل ثلاث



الحيلة الأولى — إبداعه فى وصف النساء : ذلك الوصف الذى ما سمعته امرأة إلا ودّت أن تكون الغرض منه ، والسبب فیه ، والذى ما ذكر فیه اسم امرأة إلا كانت أمل الآمل وأمنية المتمنى ، والذى طالما تسابق النساء إلیه ، وتباغضن من جرائه . فكم كان یحسد

المرأة جاراتها ، ويغبطها أترابها ، إذا نوّه بها ابن أبي ربيعة في شعره ،
أو خصها بالنسيب

ويرى الدكتور ضيف أن ابن أبي ربيعة لم يُعرف إلا بالقصص : فلم
يكن من الوصّافين للنساء ، والناعتين للمحاسن ، أما أنا فقد رأيت
من حوادث النساء ما يدل على أنه كان لوصفه منزلة عندهن ، وحديث
بينهن ، فقد ذكروا أن عائشة بنت طلحة سهرت ليلة لهم ألمّ بها ،
فقلت : إن ابن أبي ربيعة لجاهل بليلى هذه حيث يقول :

وأعجبها من عيشها ظل غُرفةٍ وريّان ملّفت الحدايق أخضرُ
وولّ كفها كل شيء يهّمها فليست لشيء آخر الليل تسهرُ
ولقد أشار إلى ذلك بقوله :

ولقد قالت جارات لها ذات يوم وتعرّت تبتردُ
أكما ينعّتي تبصرني عمركن الله أم لا يقتصد ؛
فتضا حكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تودّ
حسداً مُملّنه من أجابها وقد يما كان في الناس الحسد

ورأيت من نظرائه من نوّه بذلك : فقد قال نصيب : ابن أبي ربيعة
أوصفنا لربات الحجال ؛ إلا أنه ينبغي أن نلاحظ أنه لم يكن يصف
النساء إلا بما يزيدهن غروراً بشبابهن ، وفتوناً بجاهلن . وبما يشتهن

أن يُعرفن به : من ثَقَلَ الأُرداف ، ورقة الاطراف ، وبياض الترائب
وسواد الذوائب ، إلى غير ذلك مما لو خلا النساء إلى شياطينهن ،
وسكنن إلى أمثالهن ، ما خضن في غيره ، ولا تحدثن في سواه
إن المرأة تود كثيراً أن تكون كما قال :

نعم شعار الفتى إذا برد اللية لى سحيراً وفققف الصرد^(١)
كما يود الرجل - لو تغنى الودادة - أن يتناوم في أحضان
امرأة فضفاضة الصدر ، رجراجة الردف

تشقى الضجيع ببارد ذى رونق لو كان فى غأس الظلام أنارا
ويفوز من هى فى الشتاء شعاره أكرم بها دون الاحاف شعارا
نعم وتود المرأة أن توصف بأنها ضعيفة المشى . قصيرة الخطو ،
لا لضعف فى جسمها ، بل لثقل فى ردفها ، يحول بينها وبين زيارة
جاراتها . كما قال ابن أبى ربيعة

وتنوء تصرعها عجيزتها مشى الضعيف يؤوده البهر^(٢)

حتى لتمنعها أُرْدافها عن أداء الفريضة ، كما قال

تكاد من ثقل الأُرداف ان نهضت

إلى الصلاة على الأنماط تنبتر

(١) قفقف : ارتعد من البرد - والصرد : من لا يهتمل البرد (٢) البهر : انقطاع

وليت شعري ماهي صلاة تلك الفينة المكسلة !

واني لأرحم التي يقول فيها

وظلت تهادي ثم تمشي تأوذاً وتشكو مراراً من قوائمها فترا

ثم أكاد... إذا قرأت قوله

إذا مادعت بالمرط كيما تأنفه على الخصر أبدت من روادفها خرا

عفا الله عنك يا ابن أبي ربيعة ، فقد جعلتنا نفرط في القول ،

ونسرف في الحديث ، حتى لنخشى على أنفسنا أن نتمثل بقولك

ولولا أن تعنفني قريش وقول الناصح الأدنى الشفيق

لقات إذا التقينا قبليني ولو كنا على ظهر الطريق

وانك لكما قال عبد الملك : أطول قريش صبوة ، وأبطؤها توبة !

وأقول بعد ذلك أيها السادة : إن الرجل كان يختصر أحياناً

في الوصف ، إلا أنه كان مع ذلك يصيب الصميم من المعنى المراد .

فأى حسن فاته في قوله

أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غمورا

وأى غرض لم يصبه بقوله

ذات حُسنٍ إن تغب شمس الضحى فلنا من وجهها عنها خاف

أجمع الناس على تفضيلها وهوام في سوى هذا اختلف
 أما تلمحون جماعة المسامين إذ ذاك ، وهم أحزاب وشيع ،
 يفضل بعضهم علياً ، ويرفع آخرون عمر ، حتى إذا ذكرت هذه
 الغانية ، اتفقوا على حسنها ، وأجمعوا على تفضيلها :

فأما إذا عمد إلى الإطناب : فانه الواصف القدير ، الذي يضع
 الكلم في مواضعه ، ويقر المعنى في نصابه ، فيصف المرأة بما تود أن
 توصف به ، وبما يعلم أنه الشَّرْك ينصبه النساء ليصدن به الرجال .
 فيقول مثلاً

خودٌ نضِيٌّ ظلامَ البيتِ سورتها

كما يضيءُ ظلامَ الحِندِسِ القمرُ^(١)

مجدولة الخلق لم توضع منا كبها ملء العناق ألوفٌ جيبيها عطر^(٢)

مكورة الساق مقصومٌ خلاخلها فشبَّعٌ نَشَبٌ منها ومُنكسِرٌ^(٣)

هيفاءٌ لفاءٌ مصقولٌ عوارضها تكاد من ثقل الأرادف تنبت^(٤)

(١) الخود : الشابة أو الناعمة - والحندس بالكسر الليل المنظم

(٢) مجدولة الخلق : تحكمة التكوين - والمناكب جمع مكعب وهو تجمع رأس

الكتف والعضد (٣) المنكورة هي المدحجة الخلق والمستديرة الساقين

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الحصر - واللفاء هي الصخمة الفخذين

تفتّر عن واضح الأنياب متّسق عذب المقبل مصقول له أثر^(١)
 كالمسك شيب بذوب الفحل يخلطه ثلج^(٢) بصهباء مما عتقت جدر^(٣)
 تلك التي سابتنى العقل وامتنعت والغايات وإن واصلنا غدر
 قد كنت في معزل عنها فقيضني للحين حين دعاني للشقا النظر^(٤)
 وله في الأوصاف الظاهرة شعر كثير ، يمتاز عن شعر أسلافه
 برقة الحاشية ، وقرب المأخذ ، وأنه يأتي الى النساء من الناحية
 التي يرضيها ، ويدخل اليهن من الباب الذي يهوينه . وأى امرأة
 لا يطر بها قوله

يا طيب طعم ثناياها وريقتها اذا استقل عمود الصبح فاعتدلا
 مجاجة المسك لا تُقلّ شمائلا تزداد عندي اذا مامأ حل محلا^(٥)
 لو كان يحبل طيب النشمر ذا كلّف لكنت من طيب رباها الذي خبلا^(٥)

* *

تلكم هي الحيلة الاولى : حيلة الوصف السابل ، والنعت الشامل .
 فأما الحيلة الثانية : فهي تلطفه في مخاطبة الغواني ، وتودّده اليهن بحسن

(١) الانسر : التحزب الذي يكون في الاسنان (٢) شيب : مزج . وجدر اسم بلدة بين
 حمص وسلمية (٣) الحين بالفتح هو الهلاك (٤) المدخل : من المحل وهو المنكر والكيد
 (٥) النشمر : الربح الطيبة أو ريح فم المرأة وأعطاها بعد النوم — والربا : الرائحة

الحديث . والنساء ضعيفات القلوب ، رقيقات الالكباد ، يسكنن الى
الحديث الممتع ، ويصفين الى الحوار اللطيف . وآكد ما يكون ذلك
اذا شُرع الحديث بشيء من الصبابة ، أو مزج بقسط من الاستعطاف .
وكذلك كانت طريقته في مخاطبة الحسان ، ومحاوره الغواني . من ذلك قوله
يفرح القلب إن رآك وتستعبر عيني إذا أردت ارتحالا
ولئن كان ينفع القرب ما أزعجني فيها أراك إلا خبالا
غير أنني مادمت جالسة عند دى سألوه ما لم تريد زبالا
فاذا ما انصرفت لم أزل لعل ش التذاذا ولا لشيء جمالا
أنت عيشي نعم ورؤيتك اتخذت يد وكنت الحديث والأشغالا
حلت دون الفؤاد واختارك القلب ب وخلي لك النساء الوصالا
وتخلقت لي خلائق أعطت لك قيادي فما ملكت احتمالا
أيها العاذلي أقل عتابي لم أطع في وصالها العذالا
إن ماقلت والذي عبت منها لم يزدها في العين إلا جلالا
لا تعبها فلن أطيعك فيها لم أجد للوشاة فيها مقالا
فيم بالله تقتلين محبا لك بالوصل مخلصا بذالا
ولعمري أن همت بقتلي لها قد قتلت قبلي الرجالا
حدثني عن هجركم ووصالي أحراما ترينه أم حالالا
كم تمنيت أني لك بعل آه بل ليتني بخذك خالا

ومثل هذا الشعر جدير بأن يفن النساء ، ويخلب الحسان ، وابن
أبي ربيعة يجيده هذا النوع من السحر ، ويحسن هذا الضرب من الحوار .
وأى استدراك أبعد من قوله

سَقَيْتُ بِوَجْهِكَ كُلَّ أَرْضِ جَنَّتِهَا وبمثل وجهك نَسْتَقِي الْأَمْطَارَا
وَأَرَى جَمَالَكَ فَوْقَ كُلِّ جَمِيلَةٍ وجمالُ وجهك يَخْطِفُ الْإِبْصَارَا
أَنِي رَأَيْتُكَ غَادَةً مُخْصَنَةً رِيًّا الرُّوَادِفَ عَذْبَةً مِبْشَارَا ^(١)
مَحْطُوطَةُ الْمَتْنَيْنِ أَكُلَّ خَلْقِهَا مثل السَّبِيكَةِ بَضَّةً مِعْطَارَا ^(٢)
كَالشَّمْسِ تُعْجَبُ مِنْ رَأْيِ وَيزِينِهَا حَسَبْتُ أَغْرَ إِذَا تَرِيدُ نَخَارَا
وَيَفُوزُ مِنْ هِيَ فِي الشِّتَاءِ شِعَارُهُ أَكْرَمُ بِهَا دُونَ الْأَحَافِ شِعَارَا

ويدخل في هذا الباب ما كان يرسله أحيانا الى الثريا من مثل قوله :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابَ مَوْلَاهُ كَمِدِ
كُتَيْبٌ وَأكْفُ الْعَيْنِي نِ بِالْحُسْرَاتِ مُنْفَرِدِ
يُورِّقُهُ لَهَيْبُ الشَّوْقِ قِ يَنْ السَّحَرِ وَالْكَبِدِ

(١) العادة : المرأة الناعمة اللينة - والمُخْصَنَةُ : الضامرة البطن - والمِبْشَارُ : الحسنه
الحلق واللون (٢) محظوظة المتنين : ملساء . وفي الأساس : جارية محظوظة
المتنين كما هنا خطأ بالخط وهو ما يحط به الاديبي أى يدلك ويصقل . قال النابغة :
محظوظة المتنين غير مفاضة ربا الروادف بضة المتجرد

فيمسك قلبه يديه ويمسح عينه ييد
وقد خدعت الثريا بهذه الأبيات فبكت عند قراءتها وأنشدت
بنفسى من لا يستقل بنفسه ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
وانه لعجيب أن يملا الدنيا خيراً باقبال النساء عليه ، وتوددهن
إليه ، ثم يقول بعد ذلك :

ألسْتُ أرى ذَا ودكم فأودُّهُ وأكرم إن لاقيت يوماً لسمك كلبا
أرى أم عبد الله صدّت كائنِي بما فعل الواشى جنيت لها ذنبا
فلا تسمعى من قول من ودّ أنى وإياك يمسى ما نحلُّ به جدبا
نعم وعجيب أن تقرأ له

سَلامٌ عليها ما أحبّت سلامنا فازكرهته فالسلام على الأخرى
ثم تراه يتشبه بالعشاق المبعدين فى قوله

فلئن تغير ما عهدت وأصبحت صدف فلا بذل ولا ميسور
لَبَّما تساعف باللقاء ولبَّها فرح بقرب مزارنا مسرور
إذ لا يغيرها الوشاة فودنا صافٍ نراسل مرة ونزور
لا تأمنن الدهر أنى بعدها إني لآمن غدرهنّ نذير
بعد التى أعطتك من أيمانها ما لا يطيق من اليهود ثبير

فاذا وذلك كان ظلّ سحابةٍ نفحت به في المعصرات دُبُور^(١)
ولكن لا عجب ، فانما يلعب بقلوب النساء ، فان أجدى التيه
والصاف ، وإلا فهو جدير بأن يتكلّف الحزن ، ويتصنع الخشوع

* * *

أما الحيلة الثالثة — وهي أدهى الحيل ، وأشدّهن خطراً على عفة
النساء — فهي وصفه لأوقات التلاقي ، وساعات التّداني . فقد كان
يُغْرِبُ في ذلك إغراباً لم يُسبق به ، ويتهتك تهتكاً لم يعرفه الناس من
قبل ، اللهم إلا شذرات قلائل في شعر امرئ القيس وأمثاله
من الخُلعاء

ولولا بعض الرأى فيما ذكرت من الحيلتين السالفتين ، لقلت إن
هذه الحيلة هي كل ما لابن أبي ربيعة من إبداع ، ولشعره من ميزة .
فقد بلغ من ذلك مبلغاً عظيماً ، وأثر أثراً غير قليل ، ورآه الناس ضاراً
بالأخلاق والآداب ، ومحرضاً على الفسق والفجور ، فحرّم أهل الورع
منهم روايته على فتيانهم وفتياتهم لئلا يفتكوا على الفسق انكباباً ،
ولقد مرت ظلية مولاه فاطمة بنت عمر بن مصعب على عبد الله بن مصعب
ومعها دفتر ، فناداهما ما هذا معك يا ظلية ؟ فقالت شعر ابن أبي ربيعة

يا سيدى . فقال : ويحك تدخلين على النساء بشعر ابن أبى ربيعة ! إن لشعره لموقعاً من القلوب ، ومدخلاً لطيفاً إلى النفوس ، ولو كان شعر يسحر لكان هو . فارجمى به ! وكان ابن جريج يقول : ما دخل على العواتق فى حجالهن ^(١) شئ أضر عليهن من شعر ابن أبى ربيعة . وقال هشام بن عروة : لاتروؤا فتياتكم شعر عمر ، لايتورطن فى الزنا تورطاً !

*
* *

أقول ذاك أيها السادة ، لأننى أرى الصفة الغالبة فى شعره إنما هى ذلك القصص الجميل ، والحديث العذب المعسول ، الذى يصف به لياليه البيض الحسان ، مع أحبابه البيض الحسان ، ولأننى رأيت الناس فى عصره ، قد ملئوا دهشة واستغراباً ، من تلك الأحاديث الفادرة الطريفة ، وهاتيك القصص الممتعة الشائقة : فكان من ذلك أن اقيه رجل فى الطواف فقبض على يده وقال : أكل ما قاتمه فى شرك فعلته ؟ فقال إليك غنى ! فقال أسألك بالله . فقال نعم وأستغفر الله ! بل وكان

(١) الحجال حيلة التحريك وهى القبة وموضع بزنس ، الثياب والستور المعروف .
والعواتق جمع عاتق وهى الفتاة التى لم تتزوج أو اتى بها الادراك والنغيس — والعنيس أن طول مكث الفتاة فى اهائها بعد ادراكها حتى تخرج من عداد الانكار

من ذلك أن فُتِنَ الناس بمذهبه في القصص ، وأسلوبه في الحديث .
فقال الزبير بن بكار : لقد أدركت مشيخةً من قريش لا يزنون بعمر ابن
أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا
يستقبحونه من غيره ، من مدح نفسه ، والتحلى بمودته

نعم فُتِنَ الناس بمذهبه حتى الشعراء منهم ، فلقد حدثوا أن
الفرزدق قدم المدينة وبها رجلان وُصِفَا له يقال لأحدهما صُرَيم وللآخر
ابن أسماء ، فقصدهما وكان عندهما قيان ، ثم قال لهما بعد أن سلم عليهما :
من أنما ؟ فقال أحدهما : أنا فرعون ، وقال الآخر : أنا هامان ، فقال :
فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق
الشاعر ! فضحك ونزل ، فسلم عليهما وساما عليه وتعاشروا مدة ،
ثم سألهما أن يجعلا بينه وبين عمر ابن ربيعة قفعلا ، فلما التقى الشاعران
تحدثا وتناشدا إلى أن أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها

فما التقينا واطمأنت بنا النوى

وغيب عنا من نخاف ونُشفقُ

أخذت بكفى كفها فوضعها على كبدٍ من خشية البين تخفقُ

فلما بلغ قوله

فممن لى يُخليننا فترقرق^(١) مدامع عينها وظلت تدفق^(٢)
وقالت أما ترحنى ! لا تدعننى لَدَى غزلِ جَمِّ الصبابةِ يَحرق^(٣)
فكان اسكتى عنا فغير مطاعةٍ نَفْثُكُ منّا فاعلمى بك أرفق
فقلت فلا تبرحن ذا السترِ إبنى

أخاف وربّ الناس منه وأفرقُ

صاح الفرزدق قائلا : انت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ! لا يحسن
الشعراء والله أن يقولوا مثل هذا الشعر ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية
وكذلك فتن جميل بشعر ابن أبي ربيعة فقد تناشدا الشعر ، فانشد
جميل قصيدته التى يقول فيها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى

بثينةُ أو أبدتُ لنا جانب البخل

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلايها لما فات من عقلى
يقولون مهلاً يا جميلُ وإبنى لا أقسم مالى عن بثينة من مهل
أصبراً وقبل اليوم كان أوانه ؛

أم أخشى وقبل اليوم هددت بالقتل

(١) يخليننا : يجمعلنا في خلوة (٢) يحرق من الحرق بالصم وهو الخرق

أَيْتُ مَعَ الْهَلَّاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا

وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُو وَفَضْلٍ ^(١)

فِيَا وَجْجَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا

وَيَا وَجْجَ أَهْلِي مَا أُصِيبُ بِهِ أَهْلِي !

خَائِلِيَّ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكِيٍّ مِنْ حَبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

ثُمَّ أَنْشَدَ ابْنُ أَبِي رَيْيَعَةَ قَوْلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحَصَابِ إِلَى قَتْلِي ^(٢)

فَطَارَتْ بِحَدِّ مِنْ فَوَادِي وَقَارَتْ قَرِينَتَهَا حَبْلُ الصِّفَاءِ إِلَى حَبْلِي

فَمَا أُنْسَ مِلًّا شَيْئًا لِأُنْسٍ مَوْقِفِي وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارَعَةِ الذَّخْلِ

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَذُوكَ النَّمْلِ بِالنَّمْلِ

وَيَقْتَصِرُ أَكْثَرُ الرِّوَاةِ عَلَى الْبَيْتِ الْآخِرِ شَاهِدًا عَلَى إِعْجَابِ جَمِيلٍ

بِهِ حِينَ قَالَ : هَيْهَاتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! لَا أَقُولُ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ الْإِيَالَى ،

وَاللَّهِ مَا خَاطَبَ النِّسَاءَ مَخَاطَبَتَكَ أَحَدٌ ! وَأَرَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ بَيْتَ الْقَصِيدِ ،

وَلَا هَذَا الْمَعْنَى بِالَّذِي يَسْتَفْزِ شَاعِرًا كَجَمِيلٍ . بَلْ هُوَ مَعْنَى عَادِيٍّ سَبَقَهُ

الشُّعْرَاءُ بِهِ ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْجَاهِلِيِّينَ :

(١) الْهَلَّاكِ : الصَّعَالِيكَ الَّذِينَ يُعِيسُونَ مِنْ مَعْرُوفِ الْمُوسِرِينَ

(٢) الْحَصَابُ كَالْخَصْبِ : مَوْضِعُ رَمَى الْجَمَارِ

ولما أن رأيت نبي حَيٍّ عرفت سُوءَنا فيهم ووترى
وأرى أن الذي لفت نظر جميل ، وجعله يحسد ابن أبي ربيعة على
شعره ، إنما هو قصصه الشائق ، وحديثه العذب . وذلك قوله :

فماجت بأمثال الظباء نواعمِ إلى موقف بين الحجون إلى النخل
فقلت لأُتراب لها شبه الدُمى أطن التني والوقوف على شغلي
وقالت لهن ارجعن شيئا لعائنا نعاب هذا أو يراجع في وصل
فكان لها هذا عشاء واهلنا قريب ألبا تسأمي مركب البغل ؟
فقلت فمأشئتَن قان لها انزلى فلأرض خير من وقوف على رحل
نجومٍ درادى تكتنفن صورة من البدر وافت غير هُوج ولا عجل
وقن إليها كالدُمى فاكتنفنها وكل يندى بالموددة والأهل
فسامت واستأنست خيفة أن يرى عدوهُ مُقامى أو يرى كاشحٌ فعلى
فقلت وأرخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رِقبة أهلى
فقلت لها مابى لهم من ترقُبٍ وليكن سرى ليس يحمله مثلى^(١)
ثم يقول عن أترابها .

فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيباتٌ بحاجة ذى الشكل^(٢)

(١) كان القدماء يرون هذا اليب أجل ما قيل في حفظ السر ونخبه كذلك

(٢) الشكل بالكسر العزل

عرفن الذى تهوى فقلن لها ائذني نطف ساعةً فى بردٍ ليلٍ وفى سهل
فقال فلا تلبثن قلن تحدثنى أتيناكِ وانسبى انسياب مها الرمل
وقن وقد أفهمن ذا اللب انما أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى
وبانت تمج المسك فى فى غادة بعيدة مهوى القرط صامئة الحجل^(١)
تقَاب عَيْنِي ظَبِيَّةٍ تَرْتَعِي الخِلا

وتحنو على رخص السوى أغيد طفل^(٢)
وتفتر عن كالأقحوان بروضة جاته الصبا والمستهل من الوبل^(٣)
أهيم بها فى كل مُسَمًى ومُصْبَح وأكثردعواها اذا خدرت رجلى
وهنا قال جميل : هيهات يا أبا الخطاب : لا أقول والله مثل هذا
سجيس اليالى . والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد

* * *

ذكرت ما تقدم أيها السادة : تمهيداً للحكم على شعر ابن أبى ربيعة ،
وياناً لا بداعه الذى عُرف به . فانى رأيت الادباء السالفين انما ينسبون
اليه هذه البدعة ، ويسندون اليه هذا الجرم : وهو تزوين الفسق وتلطيفه ،

(١) بعد مهوى القرط كناية عن طول العنق ، والقرط بالضم حايه نعلق فى الاذن
وتسمى السف وسموت الحجل كناية عن بضاضه الساق والحجل الخافض
(٢) رخص السوى : لين الاطراف (٣) الوبل : المطر

وتسهيله لدى النفوس الأبية ، وتقريبه الى القلوب العَصِيَّة . ولقد ذُكر شعره مع شعر الحارث بن خالد في مجلس ابن أبي عتيق ففضل بعض الحاضرين شعر الحارث فقال ابن أبي عتيق : بعضَ قولك يا أخى ! فانه ما عصى الله عز وجل بشعر أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة . يريد انه أبصر بمواقع الاهواء ، ومواطن التأثير

وإذ كان المؤلفون في الأدب لم يشرحوا طريقة ابن أبي ربيعة في القصص ، وكان منهجه فيه جديراً بالبيان والإيضاح ؛ فقد أردت أن أبين وجه الفتنة فيه ، وموضع الحسن منه ، حتى يتبين لكم ما ذهبت اليه : من أنه في شعره محتال ، وأنه بالنسب صائد . وحسبكم هذا المثال . قال :

راح سحبي ولم أحي النّوارا وقليلٌ لو عرّجوا أن تُزارا
ثم إمّا يسرون من آخر اليل ل وإما يعجلون ابتكارا
هنا يتمثل لكم : وهو خافت الصوت ، خافق الفاب ،

لا يدري — وهو بين اليأس والأمل ، والرجاء والقنوط —
أيلتمس الحيلة إلى لقاءها ، ويبتنى الوسيلة إلى وصالها ، أم ينصرف وهو شجيّ ، ويرتحل وهو حزين

ثم بين ماتم له بقوله :

ولقد قلت ليلة البين إذ جدّ
رحيلٌ وخفت أن أَسْتَطَارَا
خليل يهوى هوانا مَوَاتٍ
كان لي عند مثلها نظَّارَا
يا خليل اربعنْ عليَّ وعينا
يَ من الحزن تَهْمُلَانِ ابْتَدَارَا
ههنا فاحبس البعيرين واحذر
رائدات العيون أن تُسْتَنَارَا
انتي زائرٌ قُرَيْبَةٌ قد يه
لم ربّي أن لا أُطِيقَ أَصْطَبَارَا
فما كان جوابه ؟

قال فافعل لا يمنعك مكاني
من حديثٍ تقضى به الأوطارا
والتمس ناصحاً قريباً من الور
دِ يحسُّ الحديث والأخبارا
فكان ماذا ؟

فبعثنا مجرباً ساكن الري -
ح خفيفاً مُعَاوِداً يَبْطَارَا
فما الذي صنع ؟

فأتاها فقال ميعادك السَّرْ
ح إذا الليل سدّل الأَسْتَارَا
وكيف وصلت ؟

فكمنّا حتى إذا فقد الصو
ت دجى المظلم البهيم فخارا
قلت لما بدت لصحبي اني
أرتجى عندها لديني يسارا

ثم أقبلت رافع الذيل أخفى الـ وطء أخشى العيون والنظارا
فما الذى كان ؟

فالتقينا فرحبت حين ساء ت وكفت دماً من العين ماراً^(١)
ثم قالت عند العتاب رأينا فيك عنا تجلداً وزوراراً^(٢)
قلت كلاً لاد ابن عمك بل خفنا أموراً كئنا بها أنهاراً^(٣)
فجعلنا الصدود لما خشيننا قالة الناس للهوى أستاذنا
وركبنا حالا لتكذب عنا قول من كان بالبناز أشارا
واقصرت الحديث دون الذى قد كان من قبل يعلم الاسرارا
ليس كالمهد إذ عهت ولكن أوقد الناس بالنيمة ناراً^(٤)
فلذاك الاعراض عنك وما آثر قلبى عليك أخرى اختيارا
ما أبالى إذا النوى قربتكم فدنوتم من حلّ أو من سارا
والليالى إذا نأيت طوالاً وأراها إذا دنوت قصارا
فعرفت القبول منها لعذرى إذ رأيتى منها أريد اعتذارا

(١) مار الدمع : جرى وسال (٢) الازورار : الاعراض (٣) لاد ابن عمك : أى الله ابن عمك ، والاعمار جمع عمر بضم العين وفتحها مع سكنون الميم وهو امر الجاهل الذى لم يجرب الامور (٤) ايس كالمهد إذ عهت : يريد أن سلام الهوى تقضت أيامه فعصفت به الوشايات والنائم

ثم ماذا؟

ثم لانت وساحت بعد منع
فتناولتها فمالت كغصن
وأذاقت بعد العلاج لذيذاً
ثم ماذا يا خبيث؟

وأرتنى كفناً تزينُ السَّوارا
حركته ريجٌ عليه فخارا
كجنى النحل شابِ صرفاً عُقاراً^(١)

ثم كانت دون اللِّحاف لمشفو
واشتكت شدّة الإزار من البُهر
حبذا رَجَعها إليها يديها
فمأى بها مشوقٍ شعارا
ر وألقت عنها لدى الحمارا^(٢)
في يدي درعها تحلُّ الإزارا
قَاتلك الله ! ثم ماذا؟

ثم قالت وبان ضوئاً من الصب
يا ابن عمي فدتك نفسي إني
فأى فتاة تسمع هذا القصص، ثم لا تبحث عن واضعه، وهو كما
ترون يردّ شرّة الشباب جذعة؟
ومن عساها تسمع قوله :

واشتكت شدّة الإزار من البُهر
ر وألقت عنها لدى الحمارا

(١) المراد بالعلاجها ما كان من المحاولة في سبيل الإيناس

(٢) البهر بضم الباء انقطاع النفس من الاعياء

حَبِّذا رَجَعُهَا إِلَيْهَا يَدِيهَا فِي يَدِي دَرَعُهَا تَحِلُّ الْإِزَارَا
ثُمَّ لَا تَنْبَهِرُ مِنْهَا الْأَنْفَاسُ ، وَتَنْفَكُ مِنْهَا الْأُزْرَارُ ؟ !

هَذِهِ إِحْدَى قِصَائِدِ الْقِصَصِيَّةِ ، وَعَلَى نَمَطِهَا طَبِيعُ أَغَابِ شَعْرَدِ ،
وَهِيَ كَمَا تَرَوْنَ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْفِتْنَةِ ، وَمَوْقِظَاتِ الشَّهَوَاتِ !

وَكَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يَفْهَمُونَ فِي شَخْصِ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مُحَرِّضًا عَلَى
الْفَسَقِ مَزِينًا لِلْفُجُورِ ، عَاقِلًا لِلْفَضِيلَةِ ، بَارًّا بِالرَّذِيلَةِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ شَعْرَهُ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ . وَأَيُّ امْرَأَةٍ لَا تَفْتَنُهَا تِلْكَ الْإِحَادِيثُ الْفَانِتَةُ . وَهَاتِيكَ
الْقِصَصُ الْخَالِبَةُ ؟

أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ ؟

وَنَاهِدَةُ الشَّدِيدِينَ قَاتِ لَهَا أَتَكِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ لَمْ تَوْسَدِ (١)
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّفْتَ مَا لَمْ أَعُودِ

فَلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحْتَنِي

فَقُمُ غَيْرَ مَطْرُودٍ وَإِنْ شِئْتُ فَازِدِ

فَمَا أَزْدَدْتُ مِنْهَا غَيْرَ مَصٍّ لثَانِهَا وَتَقْيِيلٍ فِيهَا وَالْحَدِيثُ الْمُرَدَّدُ
تَزَوَّدْتُ مِنْهَا وَأَتَشَجْتُ بِمِرْطِهَا وَقَاتَ لِعَيْنِيَّ اسْفَحَا الدَّمْعَ مِنْ غَدِّ
فَقَامَتْ تُعْفَى بِالرَّدَاءِ مَكَانَهَا وَتَطَابَ شَذْرًا مِنْ جُجَانٍ مَبْدَدِ

(١) الْجَبَانَةُ : الصَّحْرَاءُ . وَتُسَمَّى الْمَقَابِرُ جَبَانَةً لِأَنَّهَا أَكْثَرُ مَا تَكُونُ فِي الْغَلَاءِ .

ومهما يكن من شيء فإن الرجل لم يشأ أن تُنختم حياته بالمجوز ، فما
كاد يتجاوز الأربعين من عمره حتى أقبل على نفسه يحاسبها وعلى ربه
يستغفره : فهجر الشعر على حبه ، وألف النُّسك على بغضه ، لولا تلك
الذكرى الموجهة التي كانت تعاوده من حين إلى حين ، وذلك الشوق
الدخيل الذي كان يهيجه في الفينة بعد الفينة ، فقد كان يحنُّ إلى شبابه
حنيناً موحماً ، ويتطأع إلى ماضيه تطلُّع أليأس المتلهف ، فيمدُّ يديه
علاه يرجع الدهر ، ويافت الزمن ، ولكن هيهات هيهات ، فقد خانته
الأمل ، وخلاه الشباب ، وأخذ الشيب في هدد تلك القوى ، وهدم
ذلك الصرح ، وأخذ النساء يتراجعن ضاحكاتٍ منه ، ساخرات به ،
وبدأ الدهر يبني دولة جديدة للحب ، ويشيد حصناً ثانياً للغرام ،
فأنشأ فتياناً غير الفتيان ، وعذارى غير العذارى ، وأصبح ابن أبي ربيعة
غريباً والمشيب غربة ، وقصياً والشيب رِشبه النوى ، وعاد الناس
يقولون : هذا هو ابن أبي ربيعة الذي كانت تمضُّه النساء وهو بالبيت
يطوف ، وهذه هي الثريا التي كانت تحسدها الازهار في الرياض
والنجوم في السماء ، وهذه معالم ابن أبي ربيعة ومعاهد شبابه ، قد
عادت صمماً خوالد ما يبين كلامها

أقول أيها السادة ان ابن أبي ربيعة أخذ يحنُّ إلى أيامه الخوالي ،

ولياليه السوالف ، ويتشوّق إلى الشباب الراحل ، والنعيم الذاهب
 ويزيده كلفاً وأسفاً أن يرى الشباب في صمود نحو المستقبل المشرق ،
 ويرى نفسه في هبوط إلى الماضي المظلم . فالتقى فتى جميلاً أو شاباً وسيماً
 إلا أرسل بصره إليه يتأمل شكله ، ويمجّتل حسنه ، ثم يمد يده إلى
 شعره فيعبت به ، وإلى ذؤابته فيرساها ، ثم ينتحب ويقول :

واشباباه ! واشباباه !

حتى لقد مرّ به فتیان وهو بالحجر يصلى فلم يكدر يفرغ من
 صلاته حتى لحق بهما فعرّفهما ثم قال : يا ابني أخى ! لقد كنت موكلاً
 بالجمال أتبعه ، وإنى رأيتهما فراقى حسنكما وجمالكما ، فاستمتعا
 بشبابكما قبل أن تندما عليه !!

نعم أقلع ابن أبي ربيعة عن غيّه وأصبح يستقبح من الفتیان
 وهو شيخ ما لم يكن يستقبحه من نفسه وهو فتى . فطاف بالبيت
 إلا تأمل علّه يجد فتى يحدث فتاة فينهاه ، أو امرأة تتبع رجلاً
 فيردعها ! ولقد كان من أمره أن نظر إلى رجل يكلم امرأة في
 الطواف فماب ذلك عليه وأنكره فقال له : انها ابنة عمى ، فقال
 ذلك أشنع ! فقال إنى خطبتها إلى عمى فأبى علىّ إلا بصدّق
 لا أطيعه ، ثم شكّا إليه من حبه لها وكلفه بها ما جعله يسير معه إلى

عمه يسترضيه . فقال له إنه ممملق وليس له ما يصلح به أمره
فقال له عمر : وكم الذى تريده منه ؟ فقال له أربعمائة دينار
فقال له : هي على فزوجه . ففعل

قالوا وكان عمر حاف لا يقول بيتاً من الشعر إلا أعتق رقبة
فأنصرف يومئذ وهو حزين ، فجعلت جارية له تكلمه فلا
يرد عليها جواباً ، فقالت له : إن لك لأمرأ ، وتريد أن تقول
شعراً ، فقال

تقول وليدتي لما رأتنى
طربتُ وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليومَ قد أحدثت شوقاً
وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء
إذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أذاك لها رسولٌ

فشاؤك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا إلى أخٍ محبٍّ كبعض زماننا إذ تعلمينا

وقصّ عليّ ما يلقى بهندٍ فذكرَ بعض ما كنا نسينا
 وذو الشوق القديم وإن تعزّى
 مشوقٌ حين يلقى العاشقين
 وكم من مُخلة أعرضت عنها اغيرِ قلبي وكنت بها ضنينا
 أردت بعادها فصددت عنها وإن جنّ الفؤاد بها جنونا
 ثم دعا تسعة من رقيقه فاعتقهم ، لكل بيت واحد

*
* *

فسلام عليه يوم قال الشعر ! وسلام عليه يوم ودّعه ! وعفا
 الله عمن فتن بشعره فأجاب داعي الشباب ! !



أخبار الملاح

== تمهيد ==

أيها القارئ !

قد رأيت كيف كان عمر ابن أبي ربيعة يحب ، وكيف كان يسلك مذاهب النسيب ، فانظر الآن كيف كان يتصيد النساء ، وكيف كانت تعيش معشوقاته في ذلك الزمان

وإني لأرى من الخير أن أبين لك قبل كل شيء ، كيف فكرت في كتابة هذه الفصول ، فقد أخشى أن ترميني بالاسراف في التغنّي بالحُب ، والتحدث عن الجمال ، واني بذلك لمتّمْ ظنّين !

ألا فلتعلم أن الناس يكثرون في هذا العصر من التجنّي على الآداب العربية ، ويتهمونها بالفقر ، والعقُم ، والجفاف ، والعجز عن مواتاة الغرائز ، والشهوات ، والعقول . وساعدهم على ترديد هذه النعمة المنكرة ما تقدمه الاداب الأجنبية كل يوم من الأدلة

والبراهين على صلاحيتها لتغذية المشاعر ، والعواطف ، والأحاسيس
 وإن قليلاً من الانصاف لكافٍ للاقتناع بأن أدلة الاتهام
 قوية . وأن الآداب العربية تبدو ضعيفة ضئيلة بجانب ذلك الدوى
 الهائل الذى تدمغنا به الآداب الغربية فى كل يوم . فهذه كتب
 المختارات والمحفوظات والدرس التى يتناولها طلبة المدارس الابتدائية
 والثانوية وبعض المدارس العالية تُعدُّ من الكتب الجافة المقفرة التى
 تخاطب على الأغاب ناحية واحدة من نواحى الطبع والادراك .

والطائفة المستنيرة من مفتشى اللغة العربية وأساتذتها تعلم
 ذلك حق العلم ، ولكنها تكتفى بالألم الصامت ترسله فى خفية
 واستحياء ، كلما رأت انصراف الطلبة عن آداب لغتهم وفناءهم فى آداب
 الفرنسيين والانجائز . وفى الحق أن المادة التى تقدم لطلبة المدارس
 فى اللغة والأدب لا تُمتع القلب ، ولا توقظُ الحس ، ولا تثير الوجدان ،
 فهى فى الأكثر طائفة من العذات والأوصاف تتحدث عن معانٍ
 موضعية طوتها الأيام ، وأتت على رسومها اللامى . يدرسها جماعة
 يعيشون فى ظلمات القرون الأولى غير شاعرين بما أبدع العقل فى هذا
 الجيل ، إن لم يكونوا أمساخاً خلفها عصر ما قبل التاريخ

ولقد نارت فى الصيف الماضى ضجة عن تقدم النثر وتحالف الشعر

وكان من رأى أستاذنا الدكتور طه حسين أن النثر تقدم لأن الكتاب يحيون حياة عقلية ، وأن الشعر تأخر لأن الشعراء كسالى مُتبالِّدون . وعندى أن النثر والشعر في التأخر سواء ، ولا عبرة بهذه الثروة التي يطالعنا بها الكتاب في كل صباح ، فهي على وفرتها تكريرٌ وترديدٌ لأفكار الفرنسيين والانجليز والألمان ، وليس فيها شخصية ولا ذاتية تحدث القارئ عن حياة أولئك الكتاب . وإن شعراءنا لأدُلُّ من كتبنا على أنفسهم . فانهم حين غفلوا عن أشعار الأمم الأجنبية فرغوا لعواطفهم فصاغوها خالصة من المحاكاة والتقليد . بغض النظر عن متابعتهم اشعراء العرب في المرمى والأسلوب

وانتهز هذه الفرصة لنعلن أنه لا حياة للأدب العربية مادام كتابها وشعراؤها وخطباؤها لا يرون المرأة في حرية وصراحة ، ولا يتأثرون بجبروتها في ميدان الحياة

وما دام شباننا يسمعون عن المرأة كما يسمعون عن الغول والعمقاء ولا يرونها حين يرونها إلا قذرة دنسة في بيوت الرّجس والبغاء ، فهيئات أن تفتّح أذهانهم ، أو تزهر قرائحهم ، أو تظهر على آثارهم الأدبية مسحة التيقظ والتفكير . وتلك الرؤوس التي تتولّى هداية الشرق في هذا العصر لا تدرى مع الأسف الشديد أن الصلة وثيقة بين

الأدب وبين الحياة ، إن لم يكن الأدب روح الحياة ، وأنه لا أمل في أن نرى لكاتب قصة جيدة مادام الكاتب بعيدين كل البعد عن المرأة التي تلون الوجود بشتى الألوان : فتحياته تارةً ججها يرمى بالفرزع والهول ، ثم تعيده حين تشاء جمّة وارفة الظلال . وكيف تكون لنا آداب قوية تمثل فضائلنا ورذائلنا ، وحلمنا وجهاننا ، وطيشنا ورزانتنا ، وعقلنا وجنوننا ، ونحن نحصر على الطيبة والاستقامة في غير فهم ولا تبصّر ، أسوةً بغلف القلوب من سماسة الأديان وأدعياء الأخلاق !

إنه لاحياة للأدب إلا إذا شغلتنا بأنفسنا ، وحدثتنا عن مطامعنا ، وأهوائنا ، وعيوبنا ، ومظانّ الخير فينا . وأرتنا كيف نُحب وكيف نُبغض ، ومتى نُقدّم ، ومتى نُحجّم ، وعلمتنا كيف نُجدّ ، وكيف نلهو ، ومتى نقسو ، ومتى نلين . أما الأدب الذي يصدر عن رجل مشغوذ معتوه ، كل إحساس في رأيه إثم ، وكل إدراكٍ عنده فسوق ، فهو أدب ميت سخيف لا يقوى به عقل ، ولا يسمو به خيال وإني لأخشى إن استمر أساتذة الأدب على الاكتفاء بلون واحد يقدمونه إلى الطلبة في كل يوم : أخشى إن استمروا على ذلك أن يصارحهم الطلبة بالقطيعة والفراق !

وبعدُ فهل يسمح القارىء بأن تتجنب تلك الخطة العوجاء ،
وتقبل على الأدب تنذوق أطايبه ، ونعرف حُلوه ومُرّه ، وحُزونه
وسُهوله ، كما كان يفعل القدماء من رجال اللغة العربية ، وكما يفعل أهل
الغرب في أدبهم الحديث ؟

إذا سمح القارىء بذلك شرعنا في بيان تلك الناحية الطريفة من
حياة عمر بن أبى ربيعة : وهى تصيُّده للنساء ، وأخبار من كان يعرف
من الملاح . ومماذ الله أن نريد بهذا البحث أن تشيع الفاحشة ، أو تحلو
في أعين الناس مذاهب الفجور

إنما نريد أن نقبل عامدين على الجوانب المريحة التى تزخر بها
الآداب العربية حتى لايسهل رميها بالفقر والجفاف ، كلما حات هذه
الفرية لخصومها الجاهلين

نريد أن يكون لنا فى دراسة الشعراء المشاق نصيبٌ ضئيلٌ
من الحرية التى ينعم بها الكتّاب الفرنسيون وهم يدرسون ميسيه ،
والكتّاب الانجليز وهم يدرسون ييرون ، والكتّاب الألمان وهم
يدرسون جوت .

وإنما لمكتفون فى الحديث عن معشوقات عمر بن أبى ربيعة بما
استباحه المؤلفون القدماء أمثال صاحب الأغاني ، وصاحب الامالى ،

وصاحب زهر الآداب ، ومن إليهم ممن ترجموا هذا الشاعر الغزل ،
وتحدثوا عن كانيهوى من ربات الحجال ^(١)

ولن يكون ذلك من اللهو الصِّرف ، فهو على طرافته رَجْدٌ في
جد ، إذ يكشف لنا عن نفسية ذلك الشاعر ، ويُرينا الفتن التي
أرهفت إحساسه ، وألهبت روحه ، حتى أُغرم بالحسن ، وحبس شعره
على الحسان .

ولئن كان من موجبات الحزن أن انصرف كُتّاب العرب عن تدوين
الحوادث اليومية كما يفعل أصحاب المذكرات في الغرب ، ولم يعد في
الإمكان تصوير معشوقات عمر بن أبي ربيعة كما صوّرت مثلاً خليات
ألفريد دي ميسه ، فانا نحمد الله على أن وفق أبا الفرج الاصبهاني إلى
الإفاضة في أخبار تلك الحور العين ، إفاضةً شائقة ممتعة ، لا ينقصها غير
الترتيب والتبويب ، إذ ذكرها في أغانيه مبدّدة مبعثرة في أثناء الحديث
عن كبار المغنين وخفول الشعراء



(١) أهم مرجع لترجمه عمر بن أبي ربيعة و ترجمه معشوقاته هو كتاب الاعنى . وعليه
عولنا في جمع أخباره مع أولئك الملاح . وكسراً ما سكتى بعارته حين نراها واجبه بما
نزيد ، فلنسجل ذلك هنا اعترافاً بفضل ذلك المؤلف الذى فل بظبره بين القدماء
والحديثين . ولينا نظفر بكتاب مله بدون أخبار الكتاب والشعراء في العصر الحديث .

وقد يكون من الحزم أن نلفت نظر القارئ إلى أننا لانضمّن صحة كل ما نقل عن ابن أبي ربيعة ومعشوقاته من مختلف الاخبار، فتلك شخصيات جذابة محبوبة، لا يبعد أن يكون الرواة أضافوا اليها ما شاءت أهواء السامعين من طريف الاحاديث .

فلنقبل ما نُقل اليّنا في جملته، مكتفين بهذه الملاحظة التي لم يكن منها بُدّ ، ولنترك للقارئ الحرية في أن يناقش ما شاء من تلك الاقاصيص ، ثم لنمض في الكلام عن أولئك الحسان ، راضين بما حكاه الواقع ، أو حاكه الخيال !



أيام الطواف

لا يدهشك أيها القارئ أن نضع لعبث ابن أبي ربيعة هذا
العنوان الغريب ، فقد كان يتخذ أيام الحج موسماً للهو والمجون ،
وإنه ليقول

أيها الرائح المجدُّ ابتكارا قد قضى من رهامة الاوطارا

من يكن قابله صحيحاً سليماً ففؤادى بالخيف أمسى مُعارا

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا (١)

وقد أنشد ابن أبي عتيق: هذا الشعر فقال له : الله أرحم بعباده أن
يجعل عليهم ما سألته ليتَّم لك فسقك ! وأنشده عبد الله بن عمر فقال :
يا ابن أخى ! أما اتقيت الله حيث تقول :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا

فقال له عمر : بأبي أنت وأُمى ! إني وضعت ليتا حيث لا تغنى .

يَبدو أنه لا يصح أنما أن ننسى أنه لم يكن يفوز في كل مرة بما يبغي

(١) قال عمر هذا الشعر في أم عمرو بن مروان وكتب عبد الله نائب ديار
ورحبه أن لا يذكره في شعره . وفيها واشترى بها طيباً فأهداه إليها مردنه . فقال
إذا والله أمره الس . فكانوا مسجوراً . فقلته

شيطانه من زيارة تلك المناسك والتعرض لكرائم النساء . فقد روى أن امرأة جميلة قدمت مكة ، فنظر اليها وهو يطوف فوقعت في قلبه ، فدنا منها فكلّمها فلم تاتفت إليه . فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها ، فقالت له : اليك عنى يا هذا فانك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمه ! فألحّ عليها يكلمها حتى خافت أن يشهرّها . فلما كانت الليلة الاخرى قالت لأخيها : أخرج معى فأرني المناسك فاني لست أعرفها ، فأقبلت وهو معها ، فلما رآها عمر أراد أن يمرض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها ، فتمثّلت المرأة بقول النابغة .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتنق صولة المستأسد الحامى
وقد قال المنصور حين حدث بهذا الخبر : ودِدْتُ أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت بهذا الحديث



وقد وقع له مثل هذا مع أبى الاسود الدؤلى إذ حجّ ومعه امرأته ، وكانت جميلة ، فبينما هى تطوف بالبيت إذ عرض لها ، فأنت أبى الاسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر . ما فعلت شيئاً . فلما عادت إلى المسجد عاد فكلّمها . فأخبرت أبى الاسود فأتاه فى المسجد وهو مع قوم جالس فقال له :

وإني لثنيني عن الجهل والخنأ وعن شتم أقوام خلأئقُ أربعُ
 حياء وإسلامٌ وبُقىا وأنى كريمٌ ومثلى قد يضر وينفع^(١)
 فشتان ما بينى وبينك اننى على كل حال أستقيم وتطلع^(٢)

فقال له عمر : لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم . ثم عاود
 فكلمها ، فأنت أبا الاسود فأخبرته ، جاء اليه فقال له :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلأئقُ أربعُ
 نكولٌ عن الجلى وقرب من الخنا

ومخلٌ عن الجدوى وأنك تبع^(٣)

ثم خرجت وخرج معها أبو الاسود مشتملا على سيف . فلما
 رأها عمر أعرض عنها ، فتمثل أبو الاسود

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتنى صولة المستأسد الخامى
 وإن له لحواذث أشنع من هاتين فى الضياع ، فقد رأى امرأة من
 العراق وهو يطوف فأعجبه جمالها ، فشى معها حتى عرف موضعها ، ثم
 أتاها فحادثها وناشدها وناشدته ، وخطبها فقالت : ان هذا لا يصلح
 ها هنا . ولكن إن جئتني إلى بلدى وخطبتني إلى أهلى تزوجتك . فلما

(١) البقىا : هى الرحمه والاشماق (٢) الخلق : العرج والعمز فى المشى

(٣) التبع والتبع هو الذى يجده فى طلب النساء

ارتحلوا جاء إلى صديق له . من بنى سهم وقال له : إن لي اليك حاجة أريد أن تساعدني عليها . فقال له : نعم ، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي . ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً آخر ، وأخذ معه ما يصاحبه . وسارا لا يشك السهم في أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يسرع حتى لحق بالرفقة . ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها ، وينزل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق . فاقام أياماً ثم راساها يتنجزها وعدها ، فأعلمته أنها كانت متزوجة ابن عم لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله اليها . ما لم تتزوج ، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل إلى مكة ، وقال في ذلك :

نام صحتي ولم أنم من خيال بنا ألم
طاف بالركب مؤهناً بين خاخٍ إلى إضم^(١)
ثم نهت صاحباً طيب الخيم والشم^(٢)
أريجاً مُساعداً غير نكس ولا برَم^(٣)

(١) حاح : موضع بين الحرمين - واضم : واد بجبل نهامه . وهو الوادي الذي فيه المدب (٢) الخيم بالكسر السجية - والشم جمع شيمة وهي الطبيعة (٣) النكس بالكسر الضعيف - والبرم بفتح الهمزة الذي لا ينع فيه

قلت يا عمرؤ شفنى لاعجُ الحب والألم
إيتِ همداً فقل لها ليلة الخيف ذى السَّامِ^(١)



ويظهر أن الخيبة التي رمتها بها تلك السيدة العراقية جماعته يتردد في متابعة الملاح إلى العراق . فقد تشبَّهت فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية أن يتبعها ليتزوجها هناك ، ولم نعلم أنه هسَّ لتلبية ذلك النداء . ومن قصته معها أنها حجت فراسها ووعدتها أن يتأقفاها مساء الغد ، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشدُ بغاتمه في زقاق الحاج ، أن لم يمكنه أن يرسل رسولا ، يُعلمُها بمصيره إلى المكان الذي وعدتها .

فأما تلاقيا وتحادنا خطبها فقالت : أما هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قدمت إلى بلدى خاطبا تزوجتك . وقد قال في وصف ما كان بينهما من التراسل والتواعد والتلاق :
تشط غداً دار جيراننا ولأدارُ بعد غدٍ أبعدُ

إذا سلكت غمر ذى كندة^(١) مع الركب قصد لها الفرقد^(١)
 عراقية^(٢) وتهامى الهوى ينفور^(٢) بمكة أو ينجد^(٢)
 وحث^(٣) الحداة بها عيرها سراعاً إذا ما وئت تطرد^(٣)
 هنالك إما تعزى الفؤاد وإما على إثرها تكمد^(٣)
 وليست ببدع إذا دارها نأت^(٤) والعزاء إذا أجلد^(٤)
 صرمت^(٤) وواسات حتى تاه ت^(٤) أين المصادر والمورد^(٤)
 وجربت من ذاك حتى عرف ت^(٤) ما أتوقى وما أعمد^(٤)
 دعانى من بعد شيب القذا لر^(٤) ريم^(٤) له عنق^(٤) أغيد^(٤)
 وعين^(٤) تصابى وتدعو الفتى لما زكه^(٤) للفتى أرشد^(٤)
 فتلك التى شيعتها الفتاة إلى الخدر قابى بها مقصد^(٤)
 تقول وقد جد^(٤) من بينها غداة غد^(٤) عاجل^(٤) مؤفد^(٤)
 ألسنت مشيعنا ليلة نقضى^(٤) اللبانة أو نعهد^(٤)
 فقات بلى قل^(٤) عندى لكم كلال^(٤) المطى^(٤) إذا تجهد^(٤)

(١) غمر ذى كندة : موضع وراء وحره منه وبين مكة مسيره يومين - الفرقد :
 نجمان فى السماء من نجوم الدب الأصغر وهى فى الشمال . ويقال لها الفرقد بالافراد
 والفرقدان بالثنى . ومعنى أن الفرقد قصد لها أنها تنجه اليه . لان العراق فى الشمال الشرقي
 من مكة (٢) ينفور : يأتى العور وهو المطمئ من الارض - وينجد : بأنى النجد
 وهو ما علظ من الارض وارفع (٣) الحداة : ساقه الابل الذين سمون لها
 لسط فى السير - ويضرد : يساق (٤) القدال كسحاب حماع مؤخر الرأس

فعمودى إليها فتمولى لها مساء غدٍ لكم موعد
 وآية ذلك أن تسمى إذا جئكم ناشداً ينشد
 فرحنا سراعاً وراح الهوى إليها دليلاً بنا يقصد
 فلما دنونا لجرس النبا ح والضوء والحي لم يرقدوا^(١)
 نأيننا عن الحيّ حتى إذا تودّع من نارها الموقد^(٢)
 وناموا بعثنا لها ناشداً وفي الحيّ بغية من ينشد
 أتننا تهادى على رقبة من الخوف أحشاؤها ترعد^(٣)
 تقول وتظهر وجداً لنا ووجدى وإن أظهرت أوجد
 لما شقائي تعلقكم وقد كان لى عنكم مقعد^(٤)
 وكفّت سوابق من عبدة على الخد جال بها الاثمد^(٥)
 فان التى شيعتنا الغداة مع الفجر قلبى بها مقصد^(٦)
 وقد جاء فى خبره مع فاطمة هذه انه لما جاءها أرسلت بينها وبينه

(١) الجرس بالفتح الصوت (٢) يودّع الموقد : خب باره والطفان
 (٣) تهادى : تمايل فى خفة ولين - والرقبة : الحدر والحواف (٤) كان لى مقعد
 عنكم : كان لى عنكم عنى (٥) الاثمد : حجر الكحل (٦) مقصد : مقول .
 من قولهم : رماه فاقصده اذا قتله مكانه .

قال أبو جبه النيرى :

رمين فأقصدن القلوب ولم تجد دما مانراً الا جرى فى الحيام

سترا رفيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدّثها حتى استنشدته ،
فأنشدتها هذه القصيدة ، فاستخفّها الشعر فرفعت السّجف ، فرأى
وجهاً حسناً في جسم نازل ، فخطبها ، وأرسل إلى أمها وكانت معها
بخمسمائة دينار ، فأبّت وحجبته ، وقالت للرسول : لا تعد إلينا . فعمّ
ذلك الفتاة . فقالت لها أمها : قد قتلك الوجد به ، فتزوجيه !

قالت : لا والله ، لا يتحدث أهل العراق عني اني جئت ابن
أبي ربيعة أخطبه . ولكن ان أتاني إلى العراق تزوجته .

ويقال انها راسلته وأوعده أن تزوره فأجر بيته وأعطى المبرر
مائة دينار . فأتته وواعده إذا صدر الناس أن يشيعها ، وجعلت
علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له ذات . فاما صدر
الناس فعل . وقد قال في وصف ذلك

قال الخليل غداً تصدّعنا أو بعده أفلا تشيعنا^(١)

أما الرحيل فدون بعد غدٍ فتي تقول الدار تجمعنا^(٢)

لتشوقنا هندٌ وقد علمت علماً بأن البين يفزعنا

(١) الخليل : الخبره الاعراء الذين يخلطهم الحى نفسه — والتصدع : الفرق

(٢) بقول : معبد حل في هذا الباب

عجباً لموقفنا وموقفها وبسمع ترّيبها تراجعنا ^(١)
ومقالها سرّ ليلة معنا نعمد فان البين فاجعنا ^(٢)
قلتُ العيون كثيرةً معكم وأظن أن السير مانعنا
لا بل نزوركُم بأرضكم فيطاع قائلكم وشافعنا
قلتُ أشيء أنت فاعله هذا امرك أم تخادعنا
بالله حدث ما تؤمله واصدق فان الصدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعدّ له إخالف موعده تقاطعنا ^(٣)

*
* *

وإنا لنعجب حين نرى الرجال يتقدرون مصير الحسان من
بناتهم فيهجرون مكة فراراً من ذلك الشاعر الخليع : فقد وُيدَ
لرحل من بنى مُجج جارية لم يولد مثاها بالهجاز حسناً . فقال : كأنى
بها وقد كبرت فشبب بها عمر بن أبى ربيعة وفضحها ونوّه باسمها
كما فعل بنساء قريش ، والله لا أقمت بمكة ! فباع ضيعة له بالطائف

(١) ربناها منى رب بالكسرة هي الحدة - ودرج الحرة الخارية حادها . قال كنه :

دارت بها اذا اسلعت دهم الضم يرف الكس

(٢) بعهد : أخذت عاتق العهد والمنشأ أن لا يسبها بعد القرائ

(٣) بعد له : أى بحسب الاسم خبره حتى اذا احاطت فاجعنا

ومكة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها ، وابتاع هناك ضيعة ، ونشأت ابنته من أجل نساء زمانها .

ومات أبوها فلم تر أحداً من جُمُحِ حضر جنازته ، ولا وجدت مُسعداً ولا مواسياً ، فقالت لمرضع لها سوداء : من نحن ؟ ومن أى البلاد نحن ؟ فخبرتها . فقالت : لا جَرَمَ ، والله لا أقت في هذا البلد الذى أنا فيه غريبة . فباعت الضيعة والدار وخرجت في أيام الحج . وكان عمر يَقْدَم في ذى الحجة فيعتمر ويُحَل ، ويلبس ما شاء من الخلل والوشى ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القُطوع والديباج ويرسل لِمَتِه . ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق مُحَرَّمات ، ويتلقى المدنيات إلى مرّ ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد . نخرج يوماً للعراقات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمر تركب معها جارية سوداء . فقال للسوداء : من أنت ؟ ومن أين أتيت يا خالة ؟ فقالت : لقد أطل الله تعبك إن كنت تسأل هذا العالم : من هم ومن أين هم ؟ قال : فأخبرني عسى أن يكون لذاك شأن . قالت : نحن من العراق ، فأما الأصل والمزنا فمكة . وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا ، فضحك ، فلما نظرت إلى سواد ثَنِيَّتِيْه قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ! قال : وبمَ عرفتني ؟ قالت : بسواد

ننيتيك وبهيتتك التي ليست إلا لقريش ^(١) . فانشأ يقول

أصبح القلب في الحبال رهينا مُقصداً يوم فارق الظاعينا
عجلت حمةُ الفراق علينا برحيل ولم نخف أن تبينا ^(٢)
لم يرعى إلا القتاة وإلا دمعها في الرداء سجاً سنينا ^(٣)
ولقد قات يوم مكة سرّاً قبل وشكٍ من بينكم نولينّا ^(٤)
أنت أهوى العبادِ قرباً ودلاً أو تنياين عاشقاً محزوناً
قاده الطرف يوم مرّ إلى الحية ن جهاراً ولم يخف أن يحينا ^(٥)
فاذا نعمةٌ تراعى نعاجا ومهاً بهج المناظر عينا ^(٦)
قات من أنتم فصدت وقالت أميدٌ سؤالك العالمينا ^(٧)
نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حيننا

(١) سواد دوى عمر بن أبي ربيعة لم تكن طسعا . وإنما عرس له حين دمره الثريا
ظهر كفا . وكان النساء اد ذلك . يختصن في أصابعهن العشر . فاصاب الجوانم بفتيه
العابض فعصت وكاد بسفطان فعدم البصر فحول حاله فنا واسودنا . فساع خبره
وعسر دماخ خصومه من السعراء (٢) حمة الفراق بالضم ما قدر وقصى

(٣) سبى : متدفق (٤) الوشك : الاسراع (٥) الحب بالفتح الهلاك

(٦) النعاج هنا بقر الوحش - والعين : الجمالات العيون (٧) معنى نحر هذا
الساكن في الناس : أممته . أب سؤالات على الناس حتى يعهم . من قولهم :
أدّ المال والعطاء اذا فرغه في القوم . وهو معنى قولها له : لقد أطال الله بعتك
ان كسب لسأل هذا العالم : من هم ومن أس هم .

قد صدقناك إذ سألت فمن أذن عسى أن يجرَّ شأنُ شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعمت بطنٍ وما قتلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعمتٍ قد نراه لناظر مستبيننا
ولم يزل بها عمر حتى تزوجها ، وولدت له .

ويقال إنه أنشأ هذه القصيدة في التشبيب برملة بنت عبد الله
الخرزاعية ، وإن الثريا بنت عليّ لما سمعت بها هجرته ، في حديث سنعود
اليه بعد فصول



ولقد نعلم أن ملاح النساء كنَّ يتحدثن عنه في مناسك الحج في
لهفة وشوق . وكان يقدر له أحيانا أن يسمع ما يلهمجن به من ارتقاب
غزله ، وانتظار لقياء ، فيضطرم قلبه ، وتنتهب أحشاؤه ، كلِّفا بمن
ينساقين على ذكره كؤوس النجوى والسرار . فقد روى أنه بصُر في
منصرفه من المزدلفة بامرأة جميلة في هودج ، وسمع عجوزا معها تناديها :
يا نوار استتري ، لا يفضحك ابن أبي ربيعة . فاتبعها وقد شغلت قلبه
حتى نزلت بمني في مضرب قد ضُرب لها ، فنزل إلى جانب المضرب .
ولم يزل يلقظ حتى جاس . معها وحادثها ، وإذا أحسن الناس وجها

وأحلام منطقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه ، وكان آخر عهده . فقال فيها

علق النوار فؤاده جهلاً وصباً فلم تترك له عقلاً
وتعزّزت لي في المسير فما أمسى الفؤاد يرى لها مثلاً
ما ظمينة من وحش ذى بقر تغذو بسقط صريمة طفلًا^(١)
بالد منها إذ تقول انما وأردت كشف قناعها مهلاً
دعنا فانك لامكرامة تجزى ولست بواصل حبلاً
وعليك من تبل الفؤاد وإن أمسى لفابك ذكره شغلاً



وفي الحق أن ابن أبي ربيعة لم يكن في حاجة إلى تصيّد النساء ، فقد كنّ عليه أحرص ، وإلى تصيّده أحوج ، وسرى حين نعرض لاخباره مع هند بنت الحارث وسكينة بنت الحسين كيف كانت تشقى الرّسل في البحث عنه كلما حنت معشوقاته الى وجهه المشرق ، وحديثه الطريف ، فلنكتف الآن بالإشارة إلى تلك السيدة الاموية التي قدمت معتمرة قبل أوان الحج ، فرت عليه وهي تطوف ، وكان في نفر من

(١) دو بقر : واد به أخله حمى الرّيدة - وسقط الصرمة . متهاها - والصرمة الرملة المنصرمة من الرمال داب السجّر

بنى مخزوم ، يتحدثون وهم جلوس ، وقد فرغتهم طولاً ، وجههم جمالاً
وبهرهم بياناً ، فالت اليهم ، ونزلت فأطالت معهم الحديث . ولم تنصرف
حتى ظفرت بقلب ذاك الشاعر الجميل . ولم يزل يتردد إليها إلى أن
انقضت أيام الحج فرحات إلى الشام . وفيها يقول

تأوَّب ليلى بنصب وهمٍّ وعادت ذكرى لأُم الحسَم^(١)
فبتَّ أراقب ليل التما م ، من نام من عاشق لم أنم
فإِما ترينى على ما عرا ضعيف القيام شديد السقم
كثير الثقل فوق الفرا ش ما إن ثقل قيامى قدم
بأنسٍ طيبٍ نشرها هضم الحشا عذبة المبتسم^(٢)

وفى هذه الحوادث التى سقناها غنى لمن أراد أن يُقدِّر إلى أى
حد كان ابن أبى ربيعة يتأمس أسباب الهوى ويترقب مواسم الجمال ، وفى
هذه الحياة المرحية ، الحافلة بفرص اللهو ومُتَمِّع الشباب ، قال ذلك الشعر
الحى الذى يوقظ غافيات المنى وهاجمات الاهواء . فلننتقل إلى الحديث
عن طائفة من معشوقاته بشيء من التفصيل ليتم لنا ما أردنا من عرض
الظروف التى قضت بأن يقف حياته على الحب ، وشعره على النساء^(٣)

(١) الصب بالفتح والضم : الشعر - (٢) الشعر الرائحة - وهضم الحب :

ضميره الضى (٣) أهم مرجع لهذا الفصل هو الجزء الاول من كتاب الاعنى

عائشة بنت طلحة

أهم قصيدة رويت لعمر بن أبي ربيعة هي رائيته التي فضّله بها
 القدماء على جميل ، ومن الواضح ان أولى معشوقاته بالفضل عليه هي
 تلك الجميلة التي أوحى اليه بتلك القصيدة ، وما كانت تلك الحسنة فيما
 نظن الا عائشة بنت طلحة التي اجمع أهل عصرها على تفرد لها بروعة
 الجمال . يدلُّ على ذلك ما أشرنا اليه فيما ساف من انها سهرت ليلة لهمّ
 ألم بها فقالت : إن ابن أبي ربيعة جاهل بليالي هذه حيث يقول :
 وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريّان ماتف الحقائق أخضر
 ووال كفاها كل شيء يهملها فليست اشيء آخر الليل تسهر
 ولو لم يعنها بهذه الاشارة لما رجعتها حين قهرها الحزن في هدأة
 الليل . فلتمقف قليلا عند ذكرى هذه الفاتنة التي أثار قلبه ،
 وأضرمت إحساسه ، ففقت له باب الخلود ^(١)



(١) يستعد أستاذنا الدكتور طه حسين أن يكون عمر قال هذه القصيدة
 في عائشة . ويرى أن استئناسها بعمره لا يرجع عن أنه مثل . وحوادث القصيدة

وإنه ليكفى أن نتحدث عن جمالها ، واخلاقها ، وعقلها ، وجاهاها ،
وأخبارها مع الحارث بن خالد المخزومي ، وحوادثها مع شاعرنا المحظوظ
بجمالها .

أما جمالها فقد كان فتنة لكل من سمع بها أو رآها من أهل ذلك
الزمان . وانهم ليدكرون انها صارمت زوجها وخرجت من دارها غَضْبَى
فمرت في المسجد وعليها ماحفة تريد عائشة ام المؤمنين فرآها أبو هريرة
فقال : سبحان الله ، كأنها من الحُور العين ! ورُوي أنها نازعت زوجها
إليه فوق خمارها عن وجهها فقال : سبحان الله ! ما أحسن ماغذاك اهلاك ،
لكنما خرجت من الجنة ! وقال لها يوما : مارأيت شيئا أحسن منك
الا معاوية اول يوم خطب على منبر رسول الله . فقالت : والله لأننا
أحسن من النار في الليلة القرة في عين المقرور ! وقد حدثت احدى
الوصائف انها زارتها فرأت عجيزتها من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها .
قالت : فوضعت إصبعي عليها لأعلم ماهي . فلما وجدت مساً أصبعي

تبعد أيضا أن يكون قلها في عائسه . فسيرى الماريء انها كانت عفيفة معصونة .
عبر أنه لا ينبغي أن ننسى أنه لم يلتزم بصور الواقع في شعره فلا بعد أن تكون هذه
القصيدة من وحيها وان لم يكن لها من حوادثها نصيب . وسنعود الى الكلام عن
قيل فيها هذه القصيدة بعد فصول

قالت : ما هذا ؟ قالت : جعلت فداءك لم أدر ما هو فجئت لأنظر !
فضحكت وقالت : ما أكثر من يعجب مما عجبت منه !

قال سالم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بنتي أو مسجد الخيف
فسألتني من أنت ؟ قلت : سالم بن قتيبة . قالت رحم الله مصعباً . ثم
ذهبت تقوم ومعهما امرأتان تنهضانهما فأعجزتهما أليتهما من عظمهما فقالت
إني بكما لمُعْنَاة ! فذكرت قول الحارث :

وَتَوَدُّ تُثْقَلُهَا عَجِزَتُهَا نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوُدُ بِالْوَسْقِ ^(١)
وروى صاحب الأغاني أنه كان بالمدينة امرأة حسناء ، تسمى عزة
الميلاء ، يألفها الاشراف وغيرهم من أهل المروآت ، وكانت من أطرف
الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله ابن
عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص فقالوا : إنا خطبنا فانظري
لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ، ومن خطبت ؟ فقال : عائشة
بنت طلحة . فقالت : وأين أنت يا ابن أبي أحيحة ؟ قال : عائشة
بنت عثمان . قالت : فأنت يا ابن الصديق ؟ قال : ام القاسم بنت زكريا
ابن طاحه . قالت : يا جارية ! هاتني منقلبي تعني خفيها فلبستهما

(١) الوسق : الخول

وخرجت ومعها خادم لها ، فاذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً ، فقالت يا جارية انظري ما هذا ، فنظرت ثم رجعت . فقالت امرأة أخذت مع رجل ، فقالت داء قديم ! امضى ويلاك ! فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتك ، كذا في مأذبة أو مآثم لفريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن ، فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك ، فألقى ثيابك ، ففعلت . فأقبلت ، وأدبرت ، قارتج كل شيء منها ، فقالت لها عزة : خذى ثوبك فديتك ! فقالت عائشة قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي قالت عزة : وما هي بنفسى أنت ؟ قالت : تغنينى صوتاً ، فاندفعت تغنى لحنها فى شعر جميل

خليل عوجا بالحنة من مجل	وأترابها بين الأصفر والخبيل
نقف بمغان قد محارمها البلى	تعاقبها الأيام بالريح والوبل ^(١)
فلو درج النمل الصغار بجلدها	لأندب أعلى جلد هامد درج النمل ^(٢)
وأحسن خلق الله جيداً ومقلّة	تُسبّه فى النسوان بالشادن الطفل

فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك ، فدفعته إلى مولاتها فحملته ، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم فى السقيفة

(١) تعاقبها الابام : تختلف عليها (٢) أندبه : أضر به

فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت يا ابن أبي عبد الله ، أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلةً ومُدْبِرةً ، مخطوطة المتنين ^(١) ، عظيمة العجيزة ، متائمة الترائب ، نقية الثغر وصفحة الوجه ، فرعاء الشعر ، لقاء الفخذين متائمة الصدر ، خميسة البطن ، ذات عُكْن ^(٢) ، ضخمة السرة . مسرولة الساق ^(٣) ، يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيبان : أما أحدهما فيواريه الحمار ، وأما الآخر فيواريه الخف : عظم القدم والأذن . وكانت عائشة كذلك — ثم قالت عزة : وأما أنت يا ابن أبي أحيحة فاني والله ما رأيت مثل خالق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب ، والله لكأنما أفرغت أفرأغا ^(٤) ، ولكن في الوجه ردة ، وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به ، وما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ، كأنها خوط بانه ، تتثنى وكأنها جدل عنان ، أو كأنها خشف يتثنى على رمل . لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت . ولكنها شخمة الصدر ^(٥) وأنت عريض الصدر ، فإذا كان

(١) مخطوطة المتنين : يريد أنها ناعمة ولساء (٢) جمع عكبه بالصم وهي ما ينزوي وننى في لحم البطن (٣) مسرولة : يبيض ، ويقولون فرس مسرول إذا جور يياض تحجيه العصدين والفخذين (٤) أفرغ أفرأغا : صاب بها (٥) السخنة : الدقيق

ذلك كان قبيحا . لا والله حتى يملأ كل شيء مثله !
وقد آثرنا إثبات هذا الحديث لنرى القارئ صورةً من تلك
الحياة الآئنة التي كان يحياها شباب الحجاز ، ولنريه كيف كانت عائشة
بنت طلحة في أعين الخيرات من النساء ، فان المرأة أعرف بالمرأة ،
وأبصر من الرجل بسرائر الحسن الممكنون

وعلى ذكر مصعب وعزة نقول إن عائشة دعت يوما نسوة من
قريش ، فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه
والطيب المجمر وخامت على كل منهن خلعة تامة من الوشى والخز
ونحوها ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ، ثم
قالت لعزة : هاتى يا عزة فغنيينا . فغنتهن في شعر امرئ القيس :

وأغرَّ أغرَّ شَنِيبِ النَّبَاتِ لَذِيذِ الْمَقْبَلِ وَالْمَبْتَسَمِ^(١)

وما ذقته غير ظنٍّ به وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريبا منهن ومعه اخوان له ، فقام فانتقل حتى دنا
منهن والستور مُسْبَلَةً ، فصاح : يا هذه ، إنا قد ذقناه فوجدناه على
ما وصفت ، فبارك الله فيك يا عزة ! ثم أرسل إلى عائشة : أما أنت فلا
سبيل لنا إليك مع من عندك ، وأما عزة فتأذنين لها أن تغنيننا هذا

(١) شَنِيب : فيه شنب بالتحريك وهو الرقة والبرد والصفاء

الصوت ، ثم تعود اليك ، ففعلت وخرجت عزه إليه ففقتته هذا الصوت مراراً ، وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً ، ثم قال لها : يا عزة ! إنك لتحسنين القول والوصف : ^(١)

وكانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها مصعب في ذلك . فقالت : ان الله تبارك وتعالى وسَمَنِي بِمِيسَمِ جَمال أَحَبَّيتُ أن يراه الناس ويعرفوا فضله عابهم . فما كنت لأستره ، والله ما فيَّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد

وكانت بجماها باغيةً ظالمةً ، تكلف بالكيد لأتراها من شهيرات النساء . فقد ذكروا أن رملة بنت عبد الله قالت لمولاة لعائشة بنت طلحة : أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم . فأخبرت عائشة بذلك . قالت : فاني أتجرد فأعلمها ولا تعرفني فيها اني أعلم ، فقامت

(١) كانت عزه من أحمل النساء وجهها وأحسنهن جسماً . وسبب الملاء لتمايل في مسيتها . وقبل أن كانت تلبس الملاء واسه بالرجل فسميت بذلك ، كما كانت تفعل في عصرها أم كلثوم حرسها الله . وقيل : بل كانت معروفة بالسرور ؛ وكانت تقول : خذ ملئاً واردد فارغاً . قال أبو الفرج : والصحيح أنها سميت الملاء لماها في مسيتها . وقد غلب يوما عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره فسق بانه وراح صيحة عظيمه صعق معها . فلما أفاق قال له الفوم : لعبرك الجهل يا أبا الخطاب ! فقال إنني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي

عائشة كأنها تفتسل ، وأعلمتها ، فأشرفت عايتها مُقبلةً ومُدبرةً ،
فأعطت رملة لمولاتها ألفي درهم . وقالت لوددت أني أعطيتك أربعة
آلاف درهم ولم أرها !! قال صاحب الأغاني : وكانت رملة قد
أسدت ، وكانت حسنة الجسم ، قبيحة الوجه ، عظيمة الأنف ، وفيها
وفي عائشة يقول الشاعر :

أَنعم بمأش عيشاً غير ذى رَنَقٍ وانبذ برملة نبذ الجوربِ الخالق
وكانت عائشة بنت طلحة تنافس بالحسن سُكينة بنت الحسين .
قالت لها يوماً سَكينة : أنا أجمل منك . قالت عائشة : بل أنا !
فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة . فقال : لا قَضىنَّ بينكما ، أما أنت
ياسكينة فأماح منها ، وأما أنت يا عائشة فأجل منها . فقالت سَكينة :
قضيت لي والله ! ومن هنا نعرف أنهم كانوا يؤثرون الملاحظة على الجمال



أظهرها

وأما أخلاقها فكان أظهرها العفة ، والشراسة ، واللؤم ،
وحدة الشهوة

كانت عفيفة فلم يستطع أحد من مُطغاة الفتيان والأُمراء أن يطمع

منها في كثير من الاثم أو قليل . ولم يجد أترابها مغمراً ينلنها منه حين
يجد الشَّعْبَ ويطول اللّجاج ، وكانت في عفتها وسيانها خَبْثَةٌ غَنَجَةٌ
تُوَاتِي الزوج بأطيب ما تستطيع المرأة العُرُوب من غرائب الدلال
تموت وتحيا بالضعيف وتلتوى بمضطرب المتنين منبتر الخصر
وهي التي تقول وقد لامتها إحدى صواحباتها حين سمعتها تتقتل
تحت عمر بن عبيد الله : إِنَّا نَشْهَى لهذه الفحول بكل ما حرَّكها
وكل ما قدرنا عليه !

وكانت شرسة لا يقدر عايبها الزوج إلّا بالتّلاحي والضرب ، ولها
في هذا الباب أخبار تُروى لتفككه والمزاح . فمن ذلك أنها قالت لمصعب
أنت على كظهر أُمي ، وقعدت في غرفة وهيأت فيها ما يصلحها ، فجهد
مصعب أن تكلمه فأبت . فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسألها كلامه .
فقالت : كيف يميني ؟ فقال ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق ، فاستفتيه
فدخل عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ! فقالت : أَتُحِلُّني وتُخرج
خائباً ، وأمرت له بأربعة آلاف درهم

وغضبت يوماً على مصعب ، وكانت من أحب الناس إليه ، فشكا
ذلك إلى أشعب ، فقال : مالي إن رَضِيتُ ؟ قال : حكمك ! قال :
عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى عائشة فقال :

جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ! قد علمت حبى لك ، وميلى قديماً وخديتاً إليك ، من غير مَنَالَةٍ ولا فائِدةٍ ، وهذه حاجة قد عرضت تقضين بها حقى ، وترتهنين بها شكرى .

قالت : وما عَنَّاكَ ؟ قال : قد جعل لى الأَمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه . قالت : ويحك ! لا يمكننى ذلك .

قال : بأبى أنت فارضى عنه حتى يعطينى . ثم عودى إلى ما عودك الله من سوء الخلق ! فضحكت منه ورضيت عن مصعب وروى صاحب الأغاني أن مُصعباً شكاه إلى ابن أبى فروة كاتبه ، فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنت لى . قال نعم افعل ما شئت فانها أفضل شئ نلته من الدنيا ما فاتها ليلاً ومعه أسودان ، فلستأذن عليها ، فقالت له : أفى مثل هذه الساعة ؟ قال نعم . فأدخلته ، فقال للأسودين احفرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبر ؟ قال شؤم مولاتك ! أمرنى هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفكُ خلق الله لدم حرام . فقالت عائشة : فأنظرني أذهب اليه . قال : هيهات لاسبيل إلى ذلك ! وقال للأسودين : احفرا . فلما رأنا الجد منه بكت . ثم قالت : يا ابن أبى فروة ، انك لقاتلى مامنه بد ؟ قال نعم ، وإنى لا علم أن الله سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب ، وهو

كافر الغضب ، قالت : وفي أي شيء غضبه ؟ قال : في امتناعك عنه ، وقد ظن انك تبغضينه وتتطلعين الى غيره ، فتدجن . فقالت : أنشدك الله إلا عاودته ! قال : انى أخاف أن يقتلنى . فبككت وبكى جوارىها . فقال : قد رقت لك . وحلف أنه يفرّ بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تضمن عني أن لا أعود أبداً ! قال فمالى عندك ؟ قالت قيام بحقك ما عشت . قال فأعطينى الموائيق . فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما وأتى مصعباً فأخبره ، فقال له : استوثق منها بالآيمان ، فقعات ، وصاحت بعد ذلك لمصعب بفضل ذلك الدرس البديع !

وكان لها مع هذه الشراسة لحظات تصفو فيها وتطيب . فقد صارمت مصعباً مرة وطالت مصارمتها له حتى شق ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب نفرج إليها ثم عاد وقد ظفر ، فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت : الآن يصاح أن تخرجى إليه ، نفرجت تمسح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : انى أشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر !

ومن أظرف الالفاظ التى طابت فيها نفس تلك الحسناء الظلوم ما حدث به ابن سلام إذ قال : حجت عائشة بنت طلحة

لجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النسوة عابها فأمرت لهن بكسوة والطفاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها ، فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريته ومعها ما أمرت لها به عائشة . والغريض بالباب حتى خرج موليائه مع جواريهن الخلع والأطاف ، فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة فقلن له : أغفلناك وذهبت عن قلوبنا . فقال : ما أنا بيارح من بابها أو آخذ بحظي منها فانها كريمة بنت كرام ، واندفع يفتى بشعر جميل تذكرت ليلي فالغواد عميد وشطت نواها فالزار بعيد فقالت : ويلكم ! هذا مولى العبلات بالباب يذكر بنفسه ^(١) ، هاتوه ، فدخل . فلما رآته ضحكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا ، شيء سمته له ذهب عن ابن سلام ، قال فغناها في شعر كثير

وما زلت من ليلي لدن طر شاربي
إلى اليوم أخفي حبها وأداجن ^(٢)

(١) العبلات : نسبه الى ابيهم عبله بن عبيد (راجع نسبهم في الجزء العاشر من الاعلى ص ١٠٣-١٠٤) (٢) أداجن : أداهن

وَأَحْمَلُ فِي لَيْلَى لِقَوْمٍ ضَغِينَةً وَتُحْمَلُ فِي لَيْلَى عَلَى الضَّغَانِ

فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي ، وَوَصَاتِهِ فَأَجَزْتُ

ولهذين البيتين حديث ذكره الشعبي إذ قال : دخلت المسجد

فاذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده ، فسلمت

ثم ذهبت لأنصرف ، فقال لي : اذن . فدنوت حتى وضعت يدي على

مرافقه ، ثم قال : إذا قت فاتبعني ، فجلس قليلاً ثم نهض ، فتوجه نحو

دار موسى بن طلحة فتبعته ، فلما طعن في الدار التفت إليّ فقال : ادخل

فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته ، فالتفت إليّ فقال : ادخل .

فدخلت معه فاذا حجلة ، وإنها لأول حجلة رأيته لأمر^(٣) فقام

ودخل الحجلة ، فسمعت حركة ، فكرهت الجلوس ، ولم يأمرني

بالانصراف ، فاذا جارية قد خرجت فقالت : يا شعبي إن الأمير يأمرك

أن تجلس ، فجلست على وسادة ، ورفع سجف الحجلة فاذا أنا بمصعب

ابن الزبير ، ورفع السجف الآخر فاذا أنا بعائشة بنت طلحة . قال :

فلم أر زوجاً قط كان أجمل منهما : مصعب وعائشة . فقال مصعب : يا شعبي

هل تعرف هذه ؟ فقلت نعم أصلح الله الأمير ، قال : ومن هي ؟ قلت

سيدد نساء المسلمين عائشة بنت طلحة . قال : لا . ولكن هذه ليلى
الذى يقول فيها الشاعر

وما زلت من ليلى لدن طرّ شاربي

وذكر البيهقي ، ثم قال : إذا شئت فقم . فلما كان العشي رحلت
وإذا هو جالس على سرير في المسجد ، فسلمت فلما رآني قال لي .
اذن . فدنوت حتى وضعت يدي على رافقه ، فأصغى إليّ فقال : هل
رأيت مثل ذاك الانسان قط ؟ قات : لا والله ! قال : أفتردى ليم
أدخلناك ؟ قات : لا ! قال : لتحدث بما رأيت ! ثم التفت إلى عبد الله
ابن أبي فروة فقال : أعطه عشرة آلاف درهم ، وثلاثين ثوباً . قال :
فما انصرف أحد بمثل ما انصرفت به . بعشرة آلاف درهم . وبمثل كارة
القصاب نياباً ، وبنظرة من عائشة بنت طلحة !

وهذه النظرة من عائشة بنت طلحة لها موقعها الخاص ، فسنرى
كيف يقول الغريص مثل هذا أيضاً حين يحمل اليها كتاب الحارث
ابن خالد المخزومي ، وما كان أحرصهم على انتهاب ذاك الوجه المشرق
الفصيح !

وكانت لثيمة تصرّ على العنف ، وتبيّت العدون ، يؤيد هذا
ما كان بينها وبين زوجها الأول ، إذ مات وهي عنده فلم تفتح فاهما عليه

بالرغم من أنه كان ابن خالها ، وأنها تزوجته برأى خالتها عائشة أم المؤمنين فقد كانت أم عائشة بنت طلحة أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وزوجها هذا هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر . وكان صاحب الفضل عليها إذ لم تلد من أحد من أزواجها سواد : ولدت له عمران وبه كانت تكنى ^(١) ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة . وكان ابنها طلحة من أجواد قریش ، وله يقول الخزین الدؤلی

فان تك يا طالح أعطيني عذافرة تستخف العفارا ^(٢)

فما كان نفعا لي مرة ولا مرتين ولكن مرارا

أبوك الذي صدق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا

وأماك بيضاء تيمية إذا نسب الناس كانوا أنصارا ^(٣)

وكان ذاك لزوج المنجب يضارها وتضارها ، لولا أنه كان

أطيب منها قابلاً وأكرم نحيمة ^(٤) ، قيل له طلقها فقتل :

(١) وبهذه الكلمة يخاطبها الخازن بن خالد المحرومي إذ يقول :

يا أم عمران ما زال وما رحب بنا العساه خنى مسا السفى

القلب تاق اليكم كي تلافوكم كما سوف الى مجاه العرى

توفىك سنا قلا وهى خائفه كما يمس ظهر الحيه الفرق

(٢) العذافرة : العطية السديدة من الابل . والمذكر عذافر . وهو اصبا الاسد

(٣) سميه : مسويه الى تبم . والمرادها يم بن مرة رهط أبي بكر الصديق . والنصار

بالضم الجوهر الخالص من التبر (٤) النحيمة : الطبيعة

يقولون طلقها لأصبح نأوياً مقيماً علىّ اللهم أحلام نائم
وإن فراق أهل بيت أحبهم لهم زلفةٌ عندى لأحدى العظامم
ومن حديث لؤمها أن مصعباً دخل عليها مرة وهي نائمة متصبحة
ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبها ونثر اللؤلؤ في
حجرها فقالت له : نومتى كانت أحب إليّ من هذا اللؤلؤ

وتزوجت بعد مصعب عمر بن عبيد الله ، وكان من أشد الناس غيرد
فكانت تسرف في الحديث عن مصعب وعن جماله لتغيطه بذلك .
دخل عليها يوماً وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها : انفضى التراب
عنى . فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب ، ثم قالت له : مارأيت
الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب . فسكاد عمر
يموت غيظاً

وكانت تكون لمن يحىء يحدّثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد
جاء الأمير ، ضمت عليها مطرفها وقطبت ، عناداً ولؤمماً ، وكذلك
نساء بنى تميم فيما قيل : هُنَّ أشرس خلق الله وأحظى عند أزواجهن ،
وكانت عند الحسين بن على أم اسحق بنت طلحة فكان يقول : والله
لربما حمت ووضعت وهى مصارمة لى لآنكلمنى

وكانت حادة الشهوة يتقدم اليها خاطبوها تصریحاً وتلميحاً بما

عندهم في ذلك من غناء ، ولها في هذا الباب أخبار لا ترى من الخير أن
نبدىء فيها ونُعِيد ، إذ كانت لا تخرج عما هو معروف من شره الطبائع
النسائية ، وحرصها على ما في أصلاب الرجال

وهنا لا ترى بداً من الإشارة إلى ما يَبْدَهُ المولع بتاريخ ذلك العصر
من فحولة الرجال ، وأنوثة النساء . وذلك عندي هو سرُّ تلك القوة
التي استطاع بها العرب أن يسودوا العالم ، وأن يخضعوه لسلطانهم في زمن
قليل ، وفحولة الرجال ظاهرة غالبية في عهد بني أمية ، والصدر الأول
من عهد بني العباس ، فلا تكاد ترى رجلاً ظاهراً إلا مصحوباً بسيرة
ملؤها الفتك وقوامها الاسراف .

ويكاد يكون عصر بني أمية هو العصر الذي قوى فيه سلطان
المرأة ، وذلك الرجل على بطشه وبأسه لما في ضعفها من التوتة والجبروت ،
ويندر أن تجمد شاعراً يحس خطر المرأة ويلامسه كما فعل ابن قيس الرقيات
إذ يقول في خطاب عائشة بنت طلحة

عجباً لملك لا يكون لهُ خرج العراق ومنبر المملكِ

عقلمها

كانت عائشة بنت طلحة حاضرة البديهة رائمة النكتة ، في مكر وخبت . أصاب منها عمر بن عبيد الله يوماً طيب نفس فقال : ما مرّ بي مثل يوم أبي قُدَيْك^(١) : فقالت له : أعدد أيامك واذكر أفضلها . فعَدَّ يوم سجستان ويوم قطرى بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه ! قال : وأى يوم ؟ قالت : يوم أرخت عليها وعليك رملة السَّتر^(٢) ترميها بقبج الوجه . وروى أنها حجت فوفدت على هشام فقال لها : ما أوفدكِ ؟ قالت : حبست السماء المطر ، ومنع السلطان الحق ، قال فأنى أصل رحمتك وأعرف حقك ، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائشة عندي ، فاسمروا عندي الليلة فخصروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجم ولا غار إلا سمَّته ، فقال لها هشام : أما الاول فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت أخذتها عن خالتي عائشة ، فأمر لها بمائة ألف درهم ، وردها إلى المدينة



(١) هو عبدالله بن ثور أحد رؤوس الخوارج (٢) كدلائل روى الاعاني في الجزء العاشر في أخبار عائشة وعبارته في الجزء الاول (يوم اجتلت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها)

ماهرها

وكانت عائشة بنت طلحة في بسطة من المال يحسب حسابها
الأمراء، ونساء الطبقة العالية من قريش . حجت مرة مع سكينه
بنت الحسين ، وكانت عائشة أحسن آله وثقلا ، فقال حاديهما :

عائش يا ذات البغال الستين لازلت ما عشت كذا تمحين

فشقّ ذلك على سكينه ونزل حاديهما فقال

عائش هذه ضرة تشكوك لولا أبوها ما اهتدى أبوك
فأمرت عائشة حاديهما أن يكف ، فكف

واستأذنت عائكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج ، فأذن
لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحج ،
ففعلت وجاءت بهيئة جهدت فيها ، فلما كانت بين مكة والمدينة إذا
موكب قد جاء فضغطها وفرّق جماعتها ، فقالت : أرى هذه عائشة
بنت طلحة ! فسألت عنها فقالوا : هذه خازننها . ثم جاء موكب آخر
أعظم من ذاك ، فقالوا : عائشة ! عائشة ! فضغطهم فسألت عنه فقالوا : هذه
ماشطتها ! ثم جاءت مواكب على هذا السنن ، ثم أقبلت كوكبة فيها

ثلثمائة راحلة عليها القباب والهواذج ، فقالت عاتكة : ما عند الله خير وأبقى !!

ومن دلائل جاهها وعقها ما ذكروا أنها لما تأملت كانت تقيم بمكة سنة ، وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مال لها عظيم بالطائف ، وقصر كان لها هناك ، فتتزه فيه وتجلس بالعشيات . فيتناضل بين يديها الرماة ، فربها النميرى الشاعر فسألت عنه فنسب لها . فقالت ائتوني به ، فأتوها به ، فقالت له أنشدنى مما قلت فى زينب ، فامتنع عليها وقال : تلك ابنة عمى وقد صارت عظاماً بالية ، قالت : أقسمت عليك بالله إلا فعلت ، فأنشدها قوله

تضوِّع طيباً بطن نَعْمَانٍ إذْ مشَتْ به زينبٌ فى نسوةٍ عِطْرانٍ ^(١)
فأصبح ما بين الهاء فصاعداً

إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات ^(٢)

له أرجٌ من مُجْمَرِ الهند ساطعٌ تَطَلَّعَ رِيَّاهُ من الكفريات ^(٣)
أعان الذى فوق السموات عرشه موأَسُ بالبطحاء مؤتجرات ^(٤)

(١) هى زينب بنت يوسف أخذ الحجاج (٢) الهاء : اسم موضع - والعشرات جمع عشر كعشر وهو شجر فيه مرارة تحشى به المحاد كما فى الفاموس

(٣) المجرم هو الطيب يوضع على الخمر والرياء : الراتحة - والكفريات : الساب

(٤) مؤتجرات : طالات الأحرار أو متصدقات

مررن بفتحٍ ثم رُحْن عَشِيَّةً يابيين للرحمن معجرات^(١)
يُجَبِّن أطراف البنان من التقى ويقتلن بالأحاطة معذرات
تقسمن لبى يوم نعمان إني رأيت فؤادى عادم النظرات
جلون وجوهاً لم تأحها سمام^(٢) حرور^(٣) ولم يسعفن بالسبرات^(٤)
فقلت يعافيرُ الظباء تناولت يناع غصون الورد مهتصرات^(٥)
ولما رأيت ركب النيرى أعرضت وكن من أن ياقينه حذرات^(٦)
دعت نسوة شمم العرائن بذلاً نواعم لا شعناً ولا غبرات^(٧)

(١) معجرات: محمورات بالماحر جمع معجر كبير . وهو يوب بعجر لما يراه أى تلف ٤٠ - فتح : واد ثكك . قال : زل :

ألا لب شعري هل أنسى إلهه بفتح فوعندى إيد حر وحاسد

(٢) السماء جمع سموم وهى اترخ الحارده يكون عالما بالتهار وهو السبرات جمع - زه

بالفتح وهى العداة البارده (٣) العافير جمع يعفور وهو الخلي سسه لونه الزر

(٤) لما أحصر الحجاج صاحب هذه الفصده لعفانه على السدب تأخه قال له : كم كتم اد نقول :

ولما رأيت ركب المعرى اعرض

قال : والله ما كتب الا انا وصاحب لى على حمار هربل ' فصحت الحجاج وعفا عنه

(٥) شمم العرائن : مرتفعات الانوف . ونزل جمع بارل وهو العبر بلع بلع سبع سبع

فتمكمل قوته . والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلعن السن الذى يغفل فيها الغاب من حال الى حال

فأدنين حتى جاوز الركب دونها حجاباً من القسّى والحبرات ^(١)
فكدت اشتياقاً نحوها وصبابة تقطّع نفسي إثرها حشرات
فراجعت نفسي والحفيظة بعد ما بللت رداء العصب بالعبرات ^(٢)
فقلت والله ما قات إلا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرمًا وطيباً ، ولا
وصفت إلا ديناً وتقى ، أعطوه الف درهم . فلما كانت الجمعة الاخرى
تعرض لها ، فقلت علىّ به ، فأحضر فقلت له : أنشدني من شعرك في
زينب . فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك ، فوثب
مواليها اليه ، فقلت : دعودفانه أراد أن يستقيد لبنت عمه ^(٣) : هات مما
قال الحارثي . فأنشدها قوله

ظعن الأمير بأحسن الخاقِ وغدوا بابك مطلع الشرق
وتنوء ثُقبها عجيزتها نهض الضعيف ينوء بالوسق ^(٤)
ماصبحت زوجاً بطاعتها إلا غدا بكواكب الطاق
قرشيّة عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحقّ
بيضاء من تيم كلفتُ بها هذا الجنون وليس بالعشق

فقلت . والله ما ذكر إلا جميلاً ، ذكر أنى إذا صبحت زوجاً

(١) القسّى : نوع من اللباس ينسب الى قرية مصرية بين العريش والرماء سمي القس

(٢) العصب ضرب من البرود (٣) يستقيد : ينتقم (٤) تنوء : يهد ومسقة -

والوسق: الحمل .

بوجهى غدا بكواكب الطلق ، وانى غدوت مع أمير تزوجنى إلى
الشرق ، أعطوه ألف درهم ، واكسوه حلتين . ولا تعد لاتيائنا بعد
هذا يا تميرى ! ^(١)



أُمِّبَارَهَا مَعَ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ الْمُخْزُومِ

كان الحارث المخزومى — كما قال أبو الفرج الاصبهاني فى الجزء
الثالث من أغانيه — أحد شعراء قريش المعدودين الغزَليين . وكان
يذهب مذهب عمر بن أبى ربيعة « رضى الله عنه ! » لايتجاوز
الغزل إلى المدح ولا الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب
بها ^(٢) . ولآه عبد الملك بن مروان مكة ، وكان ذا قدر وخطر ومنظر
فى قريش . وسبب توليه مكة أن قومه بنى مخزوم كانوا كلهم زبيريّة
إلا هو فانه كن مروانيا ، فلما ولى عبد الملك الخلافة وفد عليه فى دين
كان عليه سنة ٧٥ ، وقيل بل حجج عبد الملك فى تلك السنة فلما انصرف

(١) راجع أخبار التميمى فى الجزء السادس من الاعنق وص ١٤٨ ح ١ من زهر الادب

(٢) فى زهر الادب ح ١ ص ٢١٩ ان الحارث بن خالد لم يكن حمدا شينا من

ذلك . وإنما كان يقول السيب نظراً ومحلماً

رحل معه إلى دمشق ، فظهرت له منه جفوة . وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فأنصرف عنه وقال فيه :

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غَشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَحْتَ قَطَعْتَ نَفْسِي أَلْوَمَهَا
وَمَا بِي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضِرَاعَةٍ وَلَا افْتَقَرْتَ نَفْسِي إِلَى مَنْ يُضِيمُهَا
عَطَفْتَ عَلَيَّكَ النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا بِكَفَيْكَ بؤْسِي أَوْ عَلَيَّكَ نَعِيمُهَا
وباغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر فأرسل إليه من ردّ طريقه .

فلما دخل عليه قال له : حار ! أخبرني عنك ، هل رأيت عليك في المقام
بباني غضاضة ، أو في قصدي دناءة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين !
قال : فما حملك على ما قات وفعلت ؟ قال جفوة . ظهرت لي ، كنت
حفيظاً بغير هذا ! قال : فاختر : فإن شئت أعطيتك ألف درهم ،
أو قضيت دينك ، أو وليتكم مكة سنة . فولاها أباه ، فحج بالناس
وحجبت عائشة بنت طلحة عامئذ وكان يهواها فأرسلت إليه : آخر
الصلاة حتى أفرغ من طوافي : فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى
فرغت من طوافها . ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس ، وأنكر أهل
الموسم ذلك من فعله وأعظموه . فعزله ، وكتب إليه يؤنبه فيما فعل .
فقال : ما أهون والله غضبه إذا رضيت ! والله لو لم تفرغ من طوافها
إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل !

فلما قضت حجها أرسل إليها : يا ابنة عمي ! أليتي بنا وعدينا
مجلساً نتحدث فيه . فقالت في غد أفعل ذلك . ثم رحلت من ليلتها
والتفت به ، فقالت :

ما ضرَّكم لو قلتمُ سَدَدًا إن المطايا عاجلٌ غدُها
ولها عايننا نعمةً سلفتُ لسنا على الأيام نجحدها
لو تَمَّت أسباب نعمتها تمت بذاك عندنا يدها
إني وإياها كُففتن بالنار تحرقه ويمبدها ^(١)

وقد حمل الغريص إليها هذه الأبيات في كتاب . فلما قرأته
قالت : ما يدع الحارث باطله ! ثم قالت للغريص : هل أحدث
شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي . ثم اندفع يغني الأبيات ، فقالت عائشة :
والله ما قلنا إلا سدا ، ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه . وأتى على الشعر
كله ، فاستحسنته عائشة وأمرت له بخمسة آلاف درهم ، وأثواب
وقالت : زدني ! فغناها في قول الحارث بن خالد أيضاً

زعموا بأن البين بعد غدٍ فالقالب مما أحدثوا يحفُّ
والعين منذ أجدَّ بينهم مثل الجمان دموعها تكف
ومقالها ودموعها سُجِّمٌ أقل حنينك حين تنصرف

(١) لم يوجد هذا البيت في أخبار الحارث بن خالد في الأغني وقد نقلناه عن زهير الأداد

تشكرو ونشكرو ما أشت بنا كل بوشك البين معترف^(١)
 فقالت له عائشة : يا غريض : بحق عليك : أهو أمرك أن
 تغنيني في هذا الشعر ؟

فقال : لا ، وحياتك يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم .
 ثم قالت له غنني في شعر غيره . فغناها بقول عمر بن أبي ربيعة :
 أجمعتُ مُخَلَّتِي مع الفجر بيننا جَلَلُ الله ذلك الوجه زينا
 أجمعت بينها ولم نك منها لذة العيش والشباب قضينا
 فتولت حمولها واستقلت لم نذل طائلا ولم نقض ديننا^(٢)
 ولقد قات يوم مكة لما أرسلت تقرأ السلام علينا

(١) كذلك سبب هذه الآيات إلى الحادث بن خالد في الحرء الثالث من الاعلى ص ١٠٤ ولكنها سبب إلى عمر بن أبي ربيعة شيء من العبر في الحرء الاول ص ٢٤٣ وهي كذلك في ديوانه . ولكنها أطول مما روى الاعلى . ولذا ذكر بهدده لما سأل كسرا من شعر الحجازيين أنصف إلى ابن أبي ربيعة لعلبه عليهم . بل نقل صاحب الاعلى في الحرء السابع في أخبار حميلة أن كثيرا من شعر العرجي سبب إلى شعر عمر بن أبي ربيعة والحادث بن خالد . وكان متأثرها في مذهب السبب . وذكر في الحرء الثالث عشر في أخبار جعفر بن الزبير أن لهذا شعرا كثيرا محل عمر بن أبي ربيعة بعضه ودخل في شعره . واركبه التي مضاعفها

هل في اذكاء الحب من حر رح أم هل لهم الفؤاد من فرح
 من الناس من يروها لعمر بن أبي ربيعة ومنهم من يروها للاحوص . ومنهم من يروها
 للعرجي . وكل ذلك ندعونا إلى الاحتياط عند دراسته الاثبات القديم
 (٢) الجمل . الهوايح . كتاب فيه ساء أو لم نكي

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي أُرْسِلَ وَالْمُرْسَلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا
فَضَحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : وَأَنْتَ يَا غَرِيضُ ، فَأَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنَا ،
وَأَنْعَمَ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَيْنَا ! لَقَدْ تَلَطَّطْتُ حَتَّى أَدَيْتَ رِسَالَتَهُ ، وَإِنْ
وَفَاءُكَ لَهُ لِمَا يَزِيدُنَا رَغْبَةً فِيكَ . وَثِقَةً بِكَ

وَقَدْ كَانَ عَمْرُؤُا سَأَلَ الْغَرِيضَ أَنْ يَغْنِيَهَا هَذَا الصَّوْتُ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ
تَرَكَ ذِكْرَهَا لِمَا غَضِبَتْ بَنُو تَمِيمٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَجِبِ التَّصْرِيحَ بِهَا .
وَكَرِهَ اغْفَالَ ذِكْرَهَا ، وَقَالَ لَهُ عَمْرُؤُا : إِنْ أَبْلَغْتَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي غِنَاءِ
فَلَكَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَأَمَرَتْ لَهُ عَائِشَةُ بِخَمْسَةِ
آلَافٍ أُخْرَى

ثُمَّ انْصَرَفَ الْغَرِيضُ مِنْ عِنْدِهَا فَلَقِيَ عَاتِكَةَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ امْرَأَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَوَانَ ، وَكَانَتْ قَدْ حَجَّتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ
فَقَالَ لَهَا جَوَارِيهَا : هَذَا الْغَرِيضُ ! فَقَالَتْ لَهْنُ : عَلَىَّ بِهِ ، فَجِئْتُ بِهِ
إِلَيْهَا . قَالَ الْغَرِيضُ : فَمَا دَخَلْتَ سَلَمْتُ ، فَرَدَّتْ عَلَيَّ وَسَأَلَتْنِي عَنْ
الْخَبَرِ ، فَقَصَصْتُهُ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : غَفَى بِمَا غَنَيْتَهَا بِهِ ، فَفَعَلْتُ ، فَلَمْ أَرَهَا
تَهْشُ لِنَاكَ . فَغَنَيْتَهَا مَعْرُضًا لَهَا وَمَذَكَّرًا بِنَفْسِي فِي شَعْرِ مُرَّةِ بْنِ
مُحْكَانَ يَخَاطِبُ امْرَأَتَهُ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ أَضْيَافُ :

أقول والضيف مخشى ذمّامته

على الكريم وحق الضيف قد وجبا^(١)

ياربة البيت قومي غير صاغرة

ضمي اليك رجال القوم والقربا^(٢)

في ليلة من جمادى ذات أنديّة لا يبصر الكلب في ظلماتها الطنبا^(٣)

لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلفّ على خيشومه الدّنيا

فقات وهي مبتسمة : قد وجب حقك يا غريص ، ففني ،

ففنيها :

يادهر قد أكثرت فجعتنا بسرّاتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست مخافه يادهر ما انصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله ما طاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النصف قلت له أحرزت سهمك فآله عن سهمي

فقات : نعطيك النصف ، ولا نضيع سهمك عندنا ، ونجزل لك

قسمك ، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من

(١) الدمامة : العهد . يريد أن عهد النصف بسعر الترحل بخمسة من الدررط فيه

(٢) القرب : جمع قربان وهو العمد (٣) الاندية : جمع ندى . ومن معناه المنظر

والليل - والنصف حبل طويل يسده سرادق الدب أو النوند

الأطاف ، وأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر . وقصصت عليه
 القصة . فأمر لي بمثل ما أمرتالي به جميعاً ، فأتيت ابن ربيعة فأعلمته بما
 جرى فأمر لي بمثل ذلك . فما انصرف احد من ذلك الموسم بمثل
 ما انصرفت به : بنظرة من عائشة ، ونظرة من عاتكة ، وهما من أجل
 نساء عالمهما ، وبما أمرتالي به ، وبالمنزله عند الحارث وابن أبي ربيعة
 وما أجازاني به جميعاً من المال

وقدم المدينة فادم من مكة ، فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت
 له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكة . قالت : فما فعل الأعرابي ؟
 فلم يفهم ما أردت ، فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث فقال له : من
 أين ؟ قال : من المدينة . قال : فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال :
 نعم . قال : فاذ سألتك ؟ قال : قالت لي ما فعل الأعرابي ؟ قال
 الحارث : فعد إليها ولك هذه الراحة والحلة ونفقتك لطريقك . وادفع
 إليها هذه الرقعة . وكتب إليها فيها :

من كان يسأل عنا أين منزلنا فلا أقجوة منا منزل من قن
 إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره طعن انوشاة ولا ينبو بنا الزمن

لبت الهوى لم يقرني إليك ولم

أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن

وكان لما نثشة بنت طاححة أمة يقال لها بشرة كان يذكرها الحارث في

شعره يكنى بها عن سيدتها ، من ذلك قوله

ياربع بشرة بالجنان تكلم وأبِنَ لنا خبراً ولا تستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً خالقاً كحوض الدارة المتهدّم

تسقى الضجيع إذا النجوم تغوّرت

طوع الضجيع أنيقة المتوسّم

وقوله

لبشرة أمرى الطيف والخبثُ دونها

وما بيننا من حزن أرض وبيدها

وقرّت بها عيني وقد كنت قبلها كثيراً بكأى مشفقاً من صدودها

وبشرة خوّدٌ مثل تمثال بيعةٍ تظللُ النصارى حولها يوم عيدها

وقوله

ياربع بشرة إن أضرت بك البلى فلقد عهدت لك أهلاً معموراً

إن يمس حبلك بعد طول تواصل خلقتا ويصبح ييتكم مهجوراً

فلقد أراني واجديد إلى بلى زمناً بوصلك قانعاً مسروراً

جَدَلًا بما لي عندكم لا أبتغي للنفس غيرك خلة وعشيراً

كنت المنى وأعز من وطىء الحصى

عندى وكنت بذاك منك جديرا

ولمات عمر بن عبيد الله عن عائشة بنت طلحة^(١) وكانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها : قال : لا يتحدث والله رجال من قريش أن نسيب بها كان شيء من الباطل^(٢) وما أدري كيف رأى ذلك الشاعر الفحل أن النسيب لا يكون للحق إلا إذا خلا من مطامح القلب ، ومطامع النفس ، إن هي إلا كلمة رمى بها ليبرر صدوفه عن تلك الجنة العالية ، حين خبا وجدده ، وتقطعت بضلاله الأسباب !!



ما لاه بينها وبين عمر

رأى القارىء أن عائشة بنت طلحة كانت رفيقة بابن أبي ربيعة ، وأنها أنست بالفريض لوفائه له . وحرصه على تبليغ رسالته ، فلنذكر الآن أن عمر آهالاً ول مرة في الطواف . وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت

(١) هذه عبارة الأعلى . وعارة زهر الاداب : لما قيل عنها مصعب بن الزبير

(٢) عاره زهر الاداب : انى لا كره أن يتوهم الناس على أنى كسب معتقدا

لما رآها، وكانت من أجل من أظلت سماء الحجاز ، فلما علمت أنها
وقعت في نفسه بعثت اليه بجارية لها وقالت له . اتق الله ولا تقل
مُهجراً ، فان هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . فقال للجارية : أقرئها
السلام ، وقولي لها : إن ابن عمك لا يقول إلا خيراً . وقال فيها

لما أشته ابنة التيميّ عندي	رحمى في القلب لا يرعى حماها
يذكرني ابنة التيميّ ظبيّ	يرود بروضة سهل ربّاه
فقلت له وكاد يراع قاي	فلم أر قط كالיום اشتباها
سوى حمش بسافك مستبين	وأن شواك لم يشبه شواها ^(١)
وأنك عاطل عارٍ وليست	بعارية ولا عطل يداها
وأنك غير أفرع وهي تُدلى	على المتنين أسحم قد كساها ^(٢)
ولو قعدت ولم تكلف بودّ	سوى ما قد كلفت به كفها
أظل إذا أكلها كأنى	أكلهم حية غلبت رُقاها
تبیت إلى بعد النوم تسرى	وقد أمسيت لا أخشي سُراها

وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فتیان بنی تميم ، أبلغهم إياه
ففي منهم وقال لهم : يا بني تيم بن مرة ! ليقذفنّ بنو مخزوم بناتنا
بالعظام ، فشى ولد أبي بكر ، وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن

(١) الحمس : دقه الساقين -- والسوى : الاطراف (٢) الافرع : أطول شعر الرأس

أبي ربيعة فأعلموه بذلك ، وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم . والله
لا أذكرها في شعر أبداً ، ثم أخذ يكتئب عن اسمها في قصائده ، ويتلطف
في تبليغها ما يريد على أعواء المغنين وبأصوات الغناء ، فمن ذاك قصيدته
التي مطلعها

يا أم طاحنة إن البين قد أفدا قل الثراء أين كان الرحيل غد^(١)
أمسى العراق لا يدرى إذا برزت من ذا تطوَّف بالاركان أو سجدا
ولم يزل ينسب بها أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي
تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر إليها
فقال : أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسن ! فقال

إني وأول ما كلفت بحبها عجب وهل في الحب من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصر شبيهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثت حيناً ثم قلن توجهت للحج وعندها لقاء الأخشب^(٢)

(١) اقد: قرب (٢) الأخشب مفرد الأخشبس وهما حماران يصرفان ناره الى مكودوره

الى منى وهما واحد أحدهما أبو ويس والآخر وه قعد . قال مراحم الغنيلي

خابلي هل من حيله اعانها يقرب من ابي الـ احبها
فان ما على الأخشبس اراكه عديت الحرب دان طلائف
وفي فرغها لو استطاع جانيها حتى يحببه الخني لو ساء
معه في امص أفنديها العلي يروح ساءا كل يوم خبها

أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لى والقلب بين مصدق ومكذب
 فلقيتها تمشى بها بغلاتها ترمى الجمار عشيةً فى موكب
 غراء يُعشى الناظرين بياضها حوراء فى غُلواء عيش مُعجب (١)
 إن التى من أرضها وسماها مُجلبت لحيفك ليتها لم تجلب
 وروى أن ابن أبى ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهى تسير
 على بغلة لها فقال : قفى حى اسمك ما قلت فيك . فتمالت أو قد فعلت
 يا فاسق ! قال : نعم ! فوفقت فأنشدها

ياربة البغلة الشهباء هل لكم أن ترحمى عمرًا لا ترهقي حرًا
 قالت بدائك مُت أو عش تعالجه فما زى لك فيما عندنا فرجا
 قد كنت حملتنا غيظا نعالجه فان تقدنا فقد عنيتنا رججا (٢)
 حتى لو أَسطيع مما قد فعلت بنا أكلت لحمك من غيظ وما نضجا
 فقلت لا والذي حجج الحبيج له ما حج حبك فى قلبى ولا نهجا (٣)
 ولا رأى القلب من شىء يُسرُّ به مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا
 ضنت بنائلها عنه فقد تركت فى غير ذنب أبا الخطاب مُختلجا

ويظهر من هذا السعرا أن الاحسبى عبر الى بمكة . كما قال ناقوت اد ترى
 من منازل العرب التى يحلون بها أهاليهم . وليس الاحساب كدلات . وهى أيضا موضع
 واحد إذ لانسب الاراضى فى موضعين (١) علواء العيش بصره وأرعه

فلم تزل تداريه وترقى به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت
حجها وانصرفت إلى المدينة ، فقال في ذلك :

إن من تهوى مع الفجر ظمن^١ للهوى والقلب متباع^٢ الوطن
بانت الشمس وكانت كلما ذكرت للقلب عاودت^٣ الددن^(١)
نظرت عيني إليها نظرة مهبط^٤ الحجاج من بطن يمن^٥
موهنا تمشي بها بغلها في عشائين^٦ من الحج ثكن^(٢)
قات قد صدت فماذا عندهم أحسن^٧ الناس لقلب^٨ مرتين
ولئن أمست نواها غربة لا تواتيني وليست من وطن^(٣)
فألقدها قرّبتني نظرتني لعناء آخر^٩ الدهر معن^{١٠}
ثم قالت : بل لمن أبغضكم شقوة العيش وتكليف الحزن
سوف آتى زائراً أرضكم^{١١} بيقين فأعلميه غير ظن
فأجابت : هذه أمنية^{١٢} ليت أنا نشترها بثمن

(١) الددن : الهوى والامتنان والمراد بها سوق الثياب لأحلام الساب (٢) المتباعين لها
الزمر والجماعات التي يقدم التركيب عليها لها عيش مطر والريح ، وانفراد عسور .
والسكن جمع سكنة وهي الجماعة . وهي كدالك السرب من الحمام (٣) الهوى العربة . تصح
العين المعجمة هي العدة

وقال فيها أيضاً هذه القصيدة

مَنْ لِقَابِ أُمِّى رَهِينًا مُعْنَى مُسْتَكِينًا قَدْ شَفَّهَ مَا أَجْنَا
إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتِ ذَاكَ شَخْصًا

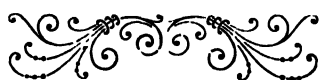
نازح الدار بالمدينة عنا

أَنْ أَرَادَ وَاللَّهِ يَعْلَمُ يَوْمًا مِنْتَهَى رَغْبَتِي وَمَا أَتَمَّنَى
لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنَى
أَوْ حَدِيثٍ عَلَى خِلَاءٍ يُسَلَّى مَا أَجَنَّ الضَّمِيرُ مِنْهَا وَمَنَا
أُزْرَى نِعْمَةً نَرَاهَا عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَنَا
خَبْرِنَا بِمَا كَتَبْتَ إِلَيْنَا أَهْوَ الْحَقِّ أَمْ تَهَزَّاتِ مَنَا
مَا زَرَى رَاكِبًا يَخْبِرُ عَنْكُمْ أَوْ يَرِيدُ الْحِجَازَ إِلَّا حَزَنًا
ثُمَّ مَا نَمَتَ بَعْدَكُمْ مِنْ مَنَامٍ مِنْذُ فَارَقْتُ أَرْضَكُمْ مَطْعَمَنَا
ثُمَّ مَا تُذَكِّرُنِي لِلْقَابِ إِلَّا زَيْدَ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَاسْتُجِنَا
وَيَرْجِعُ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا الْقِطْعَةُ الْآتِيَةُ :

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي هَائِمٌ فَأَتَمَّرُ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٍ
مُعَلَّقِي الْقَلْبِ غَزَالًا شَادِنًا يَا لِقَوْمٍ لَغْزَالٍ قَدْ شَدْنُ^(١)
أُطْلُبُنِي لِي صَاحٍ وَصَلَا عَنْهَا إِنْ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يَمْنُ

(١) السادن هو الغلي الذي شدن أى قوى واستغنى عن أمه

إن حبى آل ليملى قاتلى ظهر الحب مجسمى وبطن
 ليس حب فوق ما أحببته غير أن أقتل نفسى أو أجن
 جعلت للقلب منى حبها شجنًا زاد على كل شجن
 فاذا ما شحطت هام بها واذا راعت إلى الدار سكن
 ولنلاحظ أن شعر ابن أبى ربيعة فى عائشة بنت طلحة لا يستطاع
 تعيينه عند الرجوع إلى ديوانه ، فقد رأينا أنه أرغم على السكوت
 عنها ، وأنه اكتفى بالتلميح فى أكثر ما أوحى إليه من الشعر البليغ
 وعند ما نلاحظ ذلك يصحُّ لدينا أن كثيراً من الأسماء التى
 وردت فى شعره لم يكن إلا أداة لستر حبه وصرف الناس عن السكيد
 لمن يهوى من كرائم الملاح^(١)



(١) راجع ما تفرق من أخبار الحارث بن خالد المخزومي وأخبار عائشة بنت طلحة
 وأخبار عمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ، وما ذكر عن هؤلاء فى الجزء الأول من دهر الآداب

سكينة بنت الحسين

أشرنا في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » عند الكلام عن الباطنية إلى أن أكثر ما يحتل رؤوس المسامين من الأفكار والعقائد ليس إلا أثر الدعوات المتعددة التي قام بها العباسيون في الشرق ، والفاطميون في الغرب . وأن الدعاة نجحوا في حشو تلك الرؤوس الجوفاء بالخرافات والوساوس والأضاليل ، وضربنا المثل بالمعبودات الصغيرة التي تسكن سماء القاهرة من عترة سيدنا الحسين !

واليوم نجرد القلم لتصوير السيدة سكينة ، لانتفع من لا يقتنع بأنه لا خير في الطواف حول القبور ، ولا لنجرح سيدة هي منذ أزمان موضع التقديس ، ولا لنكتب قوماً لا هم لهم إلا أن يتصيدوا لنا الهفوات على حساب الدين ، إنما نكتب اليوم . كما كتبنا من قبل ، متأثرين بفكرة واحدة كانت ولا تزال محور ما نبدي فيه وما نعيد ، وهي أن الإنسان مظهر من مظاهر الحياة ، لا مفر له من أن يكون مصدراً للخير والشر ، والظلمات والنور ، والهدى والضلال

والحياة تريده كذلك ، فلو قد أراد أن يحور ملكاً مسكنه في السماء

أو أن يصير شيطاناً دأبه البغى والإغواء ، لما استطاع إلى ذاك سبيلا .
إنما هو أداة لهذه الحياة الغوية ، الرشيدة ، التي تطيب حين تشاء ،
وتخبت حين تريد ، بلا رقيب ولا حسيب !

والسيدة سكينه كانت بنت الطبيعة قبل أن تكون بنت حسين
كما كان أبوها غديّ الفطرة ، قبل أن يكون رَسِيط الرسول ، فلا
يغضب قوم إن ذكرنا أنها كانت في عفافها نزقة طائشة ، تؤثر الخفة
على الوقار ، وتهوى أن يخلد حسنها في قصائد الشعراء ، فقد قضت
الطبيعة أن تكون المرأة كذلك ، إلا أن قدر لها المسخ فعاتت شرطياً^(١)
يلبس أثواب النساء

وهذه محاوله نحتاج إليها في مصر لنسوّغ ما نكتبه عن السيد
سكينه في مثل هذا العصر الذي يفيض بأخبار التردد والإشفاق ،
أما صورة تلك السيدة كما رسمها الأولون فهي صورة طبيعية لا غرابة
فيها ولا شذوذ . ولو كتب عنها فصل في مجلة فرنسية أو إنجليزية أو
ألمانية لثقاق أهل الغرب بالقبول ، وعدوا حياتها المرحه دليلاً على تأصل
الحضارة في تلك الأسره التي سادت الشرق زمناً غير قليل

(١) المصواب في الشرطي سيكون اراء . والتجربان خطأ لأنه شبه اني الشرحه الذي
هو جمع . والشرطه في الامل السليمه

ويا ليتنى أعرف متى يتفق الناس على أصول الاخلاق . ففي بعض ما تنكر اليوم صور من الحياة الاجتماعية كانت في العصور الماضية من السائغ المألوف ، وفي بعض ما تألفه وزاده أنماط من العادات والنقايد كانت مما يكره الأقدمون . حتى الألفاظ والتعابير يُدبّلها العرف . وتُحيّلها الأوضاع ، وأشدنا حرصاً على الأدب المكشوف يندى وجهه أمام طائفة من السكيات لم يكن يتخرج منها المتجملون المهذبون في الزمن القديم ، فلا بظنّ ناس أن ما ينكرونه على السيدة سكينه كان يناس في عصرها بنفس ما عندهم من المقاييس . وإن كانت عناصر التحريج والتزمّت غير جديدة في البيئات الاسلامية ، فما أظن هذه السيدة سلمت في صاتها بابن أبي ربيعة من متورّع يرميها على طهرها بالخلاعة والمجون

وأعود فأقول : إني أكتب هذا الفصل وأنا أضمر الحب والاحلال لنلك السيدة النبيلة ، التي قدرت نعمة الله عليها ، فدلّت وتاهت بما وُسِّمت به من الملاحه والجمال ، وعاشت في رعاية الحسن والحب غير حافلة بأوضاع الاجتماع ، وكان فيها بلا ريب ما يَمْهَى مثلها عن التبذل في مخالطة المغنين وملابسة الشعراء

مبانيها الأدبية

كانت السيدة سكيمة حريصة على أن تعيش عيشة ناهية ملؤها الزهو والاعجاب ، ويظهر مما نقل عنها من شتى الأحاديث أنها كانت سليمة الذوق في اختيار الوصائف ، وكان بيتها لذلك خفيف الظل على الأدباء والشعراء ، وكانت ترعى الحياة الأدبية رعاية لا تخلو من قسوة وعنف . فتفاضل بين المعاني والأغراض ، وتجنبه من تشاء من الشعراء بلاذع النقد وموجع التجريح ، وكانت تهتم بنوع خاص بالمعاني الوجدانية التي تقال في وصف المرأة وفي الخضوع لما لها من السطوة والجبروت . ولها حديث ممتع في نقد جرير والفرزدق وجميل وكثير نصيب ، أثبتناه في البحث الأول من كتاب « الموازنة بين الشعراء » وناقشناه هناك ، فلا نعود إليه الآن . ونكتفي بإيراد حديثها مع رواية جرير ورواية كثير ورواية الاحوص ، حين اجتمعوا بالمدينة وافتخر كل رجل منهم بصاحبه ، وذهبوا إليها يحكمونها لما كانوا يعرفون من بصرها بالمعاني الجيدة ، فقد قالت لرواية جرير بعد أن استأذنوا عليها فأذنت لهم وعرفت ما كان من أمرهم : أليس صاحبك الذي يقول

طرقك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام

وأى ساعة أحلى من الطُّرُوق ؟ ^(١) قَبَّحَ اللهُ صاحبك وقَبَّحَ شعرد :

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول

يقرّ بعينى ما يقرّ بعينها وأحسن شىء ما به العين قرّت

فليس شىء أقرّ لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن يُنكح ؟

قبح الله صاحبك وقبح شعرد !

ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول

فلو تركت عقلى معي ما طلمتها ولكن طلايها لما فات من عقلى

فما أرى بصاحبك من هوى ، إنما يطالب عقله . قبح الله صاحبك

وقبح شعرد !

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحرنا من ذا يهيم بها بعدى

فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقه بعده . قَبَّحَ اللهُ ، وقَبَّحَ شعرد !

ألا قال .

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعدٌ لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلا إذا نجم الثريا حلّقا

(١) الطُّرُوق : رُجُود الليل . سُمي كذلك حاجة من يقدم ليلا . الى طرق

الباب . أى دوه

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم قالت : فبجهد الله وقبح شعرد . ألا قال : تمانقا

فهي كما يرى القارئ قاسية عنيفة تتلمس الهفوات ، وتعد السيئات . وتخطب الرواة باهجة خشنة جافية لارفق فيها ولا إيناس ، وما كانوا ليحتملوها لولا جمالها وسيطرتها على ناحية من أحياء الأدبية في ذلك العصر : هي تقدير الشعراء ، قيل خاصة في التشبيب بالنساء . ومن ذا الذي يرضى بأن تظلمه سيدة يلوذ بجمالها النبيل والجاد والجمال ، فما كل ظالم بغيض ، ولا كل مظلوم مغبون !

ومن مظاهر عنفها الذي كان يتلقاه الشعراء بالقبول حديثها مع الفرزدق وقد خرج حاجبا ، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة فدخل مسلما ، فقالت له يافرزدق ! من أشعر الناس : قال أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك الذي يقول :

بنفسى من تجنبه عزيزه على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لأراده ويطرقني إذا جمع النيام

قال : والله لن أذنت لى لأسمعك أحسن منه . قالت :

لا أحب ! فاخرج عني ! ثم عاد إليها من الغد فدخل عايبا .

فقالت . يافرزدق ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! قالت : كذبت !

صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لهاجنى استعمارُ ولزرت قبرك والحبيب يُزارُ
كانت إذا هجر الضجيع فراشها كُتُمَ الحديث وعفّت الأُسرار
لا يابث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرّ عليهم ونهار
فقال : والله إنى اذنت لى لأسمعك أحسن منه ، فأمرت به
فأُخرج ، ثم عاد إليها فى اليوم الثالث وحولها مؤلّدات كأنهن التماثيل
فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها ، فقالت : يافرزدق !
من أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، فقالت : كذبت ! صاحبك أشعر منك
حيث يقول .

إن العيون التى فى طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراكَ به وهنٌ أضعف خلق الله أركاناً
أتبعهم مفلةً أنساها غرق هل ما ترى تارك للعين إنساناً
فقال : يا بنت رسول الله ! إن لى عليك حقاً عظيماً . ضربت
إليك من مكة إرادة السلام عليك . فكان جزأى منك تكذيبى
ومنعى من أن أسمعك . وبى ماقد عيل معه صبرى ، وهذه المنايا
تغدو وتروح ، ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت . فإن أنا مت
فأمرى أن أدرج فى كهفى وأدفن فى حرٍ تلك الجارية . يعنى الجارية

التي أعجبت به ، فضحكت سكينته وأمرت له بأجارية فخرج بها آخذاً
بريبتها . وأمرت أجواري أن يضربن الدفوف تهنئة لها . ثم قالت :
يا فرزدق ، أحسن صحبتها فاني آثرتك بها على نفسي

فلو صحت هذه القصة لكانت دليلاً على تسامح تلك السيدة
وغفرها تهافت الشعراء على ما كانت تملك من المولدات الحسان ،
والشاعر لم يخش إلاّ ليشفي بالحسن ويعذب بالجمال ، وبفقد إحساس
السيدة سكينته لمحمة الشعراء المسرفين وعلمها بما كتب عليهم من سفه
المنى وطمش الأحلام ، كانت ترق وتلين كلما شهدت إخلاصهم لما
خلقوا له من عبادة الطرف الساحر والقدر الرشيق . ويمكن الحكم
بأن في توفرها على نقد النواحي الغزلية دليلاً على أنها كانت تحيا
حياة وجدانية معقدة وكانت تجد في تفقد الصلات بين أرواح الشعراء
وقلوب النساء مفراً من لوعة الوجد المكتوم ، ووقدة الحزن الدفين



عنايتها بالغناء

وكانت سكينته تُعنى بنقد الغناء عنايتها بنقد الشعر ، وكان المغنون
يتصدونهم لذلك . فقد ذكر صاحب الأغاني أنها حجت فدخل إليها ابن سريج

والغريض ، وقد استعار ابن سريج حلة لامرأة من قریش فلبسها فقال لها ابن سريج : يا سيدتى ! انى كنت صنعت صوتا وحسنته ، وتنوّقت فيه . وخبأته لك فى حريرة فى درج مملوء مسكا فنازعنيّه هذا الفاسق ، يعنى الغريض ، فأردنا أن نتحاكم اليك فيه ، فأينا قدمته فيه تقدم ، قالت هاته ! ففناها :

عوجى علينا ربة المودح انك إلاّ تنعلى تخرّجى ^(١)
انى أتيحت لى يمانية احدى بنى الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله لالتقى الا على منهج ^(٢)
فى الحج ان حجت وماذا منى وغيره ان هى لم تحجّج
فقاتل سكينه : ما أشبهكما إلا بالؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى
لحسان لا يدري أيهما أحسن

وكان بيتها مائتا للمغنين ، وكانت تؤثّر ترفيد الناس بما تستطيع تقديمه اليهم من متع الغناء . حدث عميد بن حنين اخيرى قال : كان المغنون فى عصر جدى اربعة نفر : ثلاثة بالحجاز ، وهو وحده بالعراق ، والذين بالحجاز ابن سريج والغريض ومعبد . فكان يبالغهم ان جدى حنيننا قد غنى فى هذا الشعر :

(١) من اخرج وهو الأثر (٢) المنهاج الطرى . ومثله النهج والمنهاج

هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ وَكَفَفْتَ عَنْ ذِمِّ الْمَشِيبِ الْآيِبِ
هَذَا وَرُبَّ مَسْوُوفٍ سَقَيْتَهُمْ مِنْ خَمْرٍ بَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ
بَكُرُوا عَلَى بَسْجَرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ

مِنْ ذَاتِ كَرْيَبٍ كَقَعْبِ الْمَالِيبِ^(١)

بِزِجَاجِهِ مِلءُ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قَنْدِيلٌ صَبِيحٌ فِي كَنِيسَةٍ رَاهِبٍ
فاجتمعوا فتذاكروا امرجدي وقالوا : ما في الدنيا أهل صناعة
شر منا . لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لانزوره ولا نستزيره ، فكتبوا
اليه ، ووجهوا له نفقة ، وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك
فأنت أولى بزيارتنا ، فشخص اليهم ، فاما كان على مرحلة من المدينة
بلغم خبره . فخرجوا يتلاقونه ، فلم ير يوم كان أكثر حشرا ولا جمعا
من يومئذ . ودخلوا فلما صاروا في بعض الطريق قل لهم معبد : صيروا
الي . فقال له ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروءة مثل المولاني
سكينة بنت الحسين عطفنا اليك . فقال : مالي من ذلك شيء . وعدلوا
الى منزل سكينة ، فلما دخلوا اليها أذنت للناس اذنا عاما فقصت الدار

(١) الكريـب وسمي أيضا الخبيـع . فتح اليمـر . محض بلـيـس وابـيـ . شـرب على
التمر . والمعب . المفتح . القـدح . المـخـم . وفي الـبـ شيء . من الـعمـوص

بهم وصعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها . ثم انهم
سألوا جدى حنيئا ان يغيثهم صوته الذى اوله

هلا بكيت على الشباب الذاهب وكففت عن ذم المشيب الآيب
فغناهم اياه بعد أن قال لهم : ابدؤوا أنتم . فقالوا : ما كنا لتتقدمك ،
ولا لنغنى قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغناهم اياه ، وكان من أحسن
الناس صوتا ، فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه ، فسقط
الرواق على من تحته . فساموا جميعا وأخرجوا أصحاء ، ومات حنين تحت
الهدم . فقالت سكينه : لقد كدر علينا حنين سرورنا . انتظرنا مدة
طويلة : كأننا والله كنا نسوقه الى منيته ^(١)

ولها مع ابن سريج أخبار رأينا أن نضرب عنها صفحا لما فى مقدماتها
من ما أتم تقف عندها حدود الأدب المكشوف



ازواجها

تزوجت السيدة سكينه عدة أزواج ، أشهرهم مصعب بن الزبير
وقد رأينا أن نكتب عنه هنا كلمة وجيزة لأمرين : الأول أنه جمع بينها

(١) راجع أخبار حنين في الجزء الثانى من الاغنى

وبين عائشة بنت طلحة ، فهو وثيق الصلة بما عنيانا به من ترجمة هاتين المليحتين ، الثاني انه يمثل الفتوة العربية أصدق تمثيل . ولا أعرف شيئا أحب إلى النفس من الحديث عن أولئك الفتيان الغطارييف ، لدين ملؤوا الدنيا بأخبار البأس والجود

ويكفي في الاشادة بذكر ذلك الفتى ان يعرف القارىء انه أعيا عبد الملك بن مروان وعنائه ، وان عبد الملك كان يوجه إليه جيشا بعد جيش فيهمز مون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه أمر الناس فمسكروا ، ودعا بسلاحه فابسه ، فلما اراد الركوب قامت إليه أم يزيد ابنة وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية فقالت : يا أمير المؤمنين لو أقت وبعثت إليه لكان الراى . فقال : ما إلى ذلك من سبيل ! فلم نزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب . فلما علا الصوت رجع إليها عبد الملك فقال : وانت من يبكى ! قاتل الله كثيرا . كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تنهمه
حصان عليها نظم دُرٍّ يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه
بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج ^(١)

وقال عبد الملك يوما لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثرُوا في هذا

المعنى . فقال : أشجع الناس مصعب بن الزبير ، جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عباس ، وولى المراقين ، ثم زحف الى الحرب فبذلت له الأمان والحِباء والولاية والعفو عما خاص في يده فأبى قبول ذلك ، واطرح كل ما كان مشغوفا به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قرمًا يقاتل ، ما بقى معه الا سبعة نفر ، حتى قُتل كريماً^(١)

وكانت سكينة تخفى ما في قلبها من مصعب ، وتكتمه وجدها به ، وعطفها عليه . دخل اليها في حربه مع عبد الملك وقد نزع عنه ثيابه ، ولبس غلالة ، وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت أنه لا يريد أن يرجع ، فصاحت من خلفه : واحزناد عليك يا مصعب ! فالتفت اليها وقال : أوكل هذا الى في قلبك ؟ فقالت : إى والله ! وما كنت أخفى أكثر ! فقال : لو كنت أعلم ان هذا كله لى عندك لكانت لى ولك حال . ثم خرج ولم يرجع

ولما دخلت سكينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت : والله لا يتزوجنى بعده قاتله أبدا !

وفى رثاء مصعب يقول رجل من بنى أسد بن عبد العزى
 لعمر ك إن الموت منا لمَوْلَعٌ بكل فتى رحب الذراع أريب
 فإن يك أمسى مصعب نال حتفه لقد كان صلب العود غير هيب
 جميل المحيا يوهن القرن غربُهُ وإن عضه دهر فقير رهوب
 أتاده حمام الموت وسط جنوده فطاروا سلالاً واستقى بذنوب^(١)
 ولو صبروا نالوا حِباً وكرامة ولكنهم ولّوا بغير قلوب
 وقالت سكينته تراثيه

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذى يرى الموت إلا بالسيوف حراما
 وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما



بسم الله

كانت السيدة سكينه إحدى نواذر الجمال فى العصر الذى ظهرت
 فيه ، وكانت تنافس عائشة بنت طلحة معبودة العيون والقلوب فى ذلك
 الحين ، وكانت حريصة مُسرفة فى الحرص على جاهها ، حتى ليزكر

(١) الذنوب منح الدال المعجمة اندلو

صاحب الاغانى أنه خرجت بها سلعة^(١) في أسفل عينها حتى كبرت ،
ثم أخذت وجهها وعينها ، وكان درافيس منقطعاً إليها وفي خدمتها ،
فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال لها : أتصبرين على ما يمسك
من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم ! فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع ،
وسلخ اللحم من تحتها ، حتى ظهرت عروقها ، وكان منها شيء تحت الحدقة
فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ، ثم سلّ عروق السلعة من تحتها
فأخرجها أجمع ، وردّ العين إلى موضعها وسكينة مضطجعة لا تتحرك
ولا تن ، حتى فرغ مما أراد ، وزال ذلك عنها وبرئت منه ، وبقي أثر
تلك الحزازة في مؤخر عينها فكان أحسن شيء في وجهها من كل حلي
وزينة ، ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها

وكانت تحدث عن نفسها فتقول : أدخات على مصعب وأنا أحسن
من النار الموقدة ، وكانت ابنتها من مصعب جِدَّ جميلة فكانت تنقلها
بالحليّ واللؤلؤ وتقول : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه

وكانت سكينة أحسن الناس شعراً ، وكانت تصفّ جُمَته تصفيفاً
لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرف ذلك ، وكانت تلك الجملة تسمى « السكينية »
وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً يصف جُمته السكينية جلده

وحلقه . وفي هذا دليل على أنها صاحبة بدعة Mode في تصفيف الشعر وتنسيقه ، وكان تقليدها في تلك البدعة مما يقدح في أخلاق الرجال ، ولولا تخرج المسلمين الاولين من التصوير لرأينا كيف كانت الفتنة في ذلك التصفيف ، ولعرفنا بُعد ما بين تلك البدعة وبدعة الشعر المقصوص في هذا الجيل



أغلقها

كانت السيدة سكيمة تميل إلى الفكاهة والمزاح ، تخاطب الأجلة من قريش ، ويجتمع اليها الشعراء ، فتمزج الجد بالهزل ، وتخاطب الوقار بالمجون ، ولها في الدعابة أحاديث طريفة . سمعتها يوماً دُبيرة^(١) فقالت لها أمها : مالك يا سيدتي ؟ فضحكت وقالت : سمعتني دُبيرة ، مثل الأُبيرة ، أوجعتني قُطيرة ! وبعثت مرة إلى صاحب الشرطة : إنه دخل علينا شامي ، فابعث إلينا بالشرط . فلما أتى إلى الباب أمرت ففتُح له . وأمرت جارية من جواربها فاخرجت إليه برغوئاً . ثم قالت : هذا الشامي الذي شكونا !

وقيل لها يوماً : أمك فاطمة ياسكيمة وأنت تمزحين كثيراً

(١) الدبيرة : هي النحلة أو الزنبور

وأختك لا تمزح ! فقالت : لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة — تعنى فاطمة — وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الاسلام — تعنى آمنة بنت وهب أم الرسول . وكانت سكينه تسمى آمنة ، وسكينه لقب

وكانت مع مياها المفرط إلى الدعابة عفيفةً نقيّة المرض ، لا يؤخذ عليها غير العبث البريء ، والاهو المباح

وكانت لا تخلو من الخيلاء : فقد رآها سفيان بن حرب ترمي الجمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها . وكانت فيما يظهر ضيقة الصدر في معاملة الأزواج . ويرجع ذلك إلى غيرتها الشديدة وعنفها في مراقبة العشير : فقد روى أبو الفرج الاصبهاني ان زيد بن عمرو بن عثمان خرج إلى مال له مغاضباً لسكينه ، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والى المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينه على زيد وذكرت غيبته مع ولانده سبعة أشهر ، وانها شرطت عليه انه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجاً تريده ، فهي خلية . فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم ان ينظر بينهما ، فجاءت سكينه وزيد جالس عند ابن حزم وفاطمة امرأة ابن حزم جالسة في الحجلة . فقال ابن حزم : أدخلوا سكينه وحدها . فقالت :

والله لا أدخل إلا ومعي ولائى: فأدخلن معها. فلما دخلت قالت :
يا جارية ! اننى لى هذه الوسادة ، ففعلت ، وجلست عليها ، ولصق زيد
بالسرير حتى كاد يدخل فى جوفه خوفاً منها . فقال لها ابن حزم : يا ابنة
الحسين ! إن الله يحب القصد فى كل شيء . فقالت له : وما أنكرت
منى ؟ انى والله واياك كالذى يرى الشعرة فى عين صاحبه ولا يرى الخشبة
فى عينه ! فقال لها : أما والله لو كنتم رجلا لسطوت بك ! فقالت له :
يا ابن فرتى ! لا ترال تتوعدنى ! وشتمته وشتمها . فلما بانما ذلك قال
ابن أبى الجهم العدوى : ما بهذا أمرنا . فأعرض الحكم ولا أنشأتم .
فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم
فقالت : لا أراك ههنا وأنا أشتم بمحضرتك . ثم هتفت برجال
قريش فغضب ابن أبى الجهم . وقالت : أما والله لو كان أصحابى
فى الحيرة أحياء لكفوا والله العبد اليهودى عند شتمه إياى . عدوا لله !
تشتمنى وأبوك الخارج مع يهود ضنائة بدينهم لما أخرجهم رسول الله
الى أريحاء ! — فلما كلها زيد وخضع لها قالت : ما أعرفى بك يا زيد !
والله لا ترانى أبداً ! أترك تمكث مع جواريك سبعة أشهر ثم أعود
إليك ! والله لا ترانى بعد الليلة أبداً !

وأظرف ما كان يجرى بينها وبين زوجها هذا تكليفها أشعب

بمراقبته ورسم خطاه لتعلم ما كان يجترح من وصل الولائد الملاح

* *

صلتها بابن أبي ربيعة

ذكر صاحب الأغاني ^(١) أنه اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه فتشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينه بنت الحسين : أنا لكنّ به ! فأرسلت إليه رسولا وواعده الصّورين وسمّت له الليلة والوقت ، وواعدت صواحباتها ، فوافاهن عمر على راحلته ، فخدشن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن . فقال لهن : والله إنى لاحتاج إلى زيارة قبر رسول الله والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا . ثم انصرف إلى مكة وقال :

قالت سكينه والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب
ليت المغيرى الذى لم أجزه فيما أطال تصيّدى وطلابى
كانت ترد لنا المنى أيامنا إذ لا نلأم على هوّى وتصابى
خبّرت ما قالت فبتّ كأنما يرمى الحشا بنوافذ النشاب ^(٢)

(١) في أخبار عمر في الجزء الاول (٢) النشاب . النبيل

أُسْكِنَ مَاءَ الْفَرَاتِ وَطِيبُهُ
بِالَّذِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتَ وَقَلِمَا
إِنْ تَبَذَلِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ
وَعَصَيْتَ فِيكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتَ
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَعًا
فَقَعَدْتَ كَالْمَرْيَقِ فَضْلُهُ مَائِهِ
وَقَالَ فِيهَا:

أَحَبُّ لِحُبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
وَأَبْذَلُ نَفْسٍ لِمَرْضَاتِكَ
وَأَرْغَبُ فِي وَدٍّ مَنْ لَمْ أَكُنْ
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ
لِيَمَّتْ طَيْبَتُهَا إِنْزَى
فَمَا ظَلِمَ مِنْ ظُلْمَاءِ الْأَرَا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا غَدَاةِ النِّعَمِ
غَدَاةِ تَقُولُ عَلَى رِقَبَةٍ
فَقَالَتْ لَهَا فِيمَ هَذَا الْكَلَامِ

صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا
وَأُعْتَبُ مَنْ جَاءَكُمْ عَانِيًا
إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
مِنَ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلْتُ جَانِبًا
أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبُ الْعَاجِبُ^(١)
لَكَ تَقْرُو دَمِثَ الرَّثْبِ عَاشِبًا^(٢)
وَقَدْ أَبَدْتُ أَخْذَ وَالْحَاجِبِ
خُلَادِمَهَا: يَا أَحْبَسِي الزَّاكِبِ
وَأَبَدْتُ لَهَا عَابِسًا قَاطِبًا

(١) الطِّيبَةُ : النَّاحِيَةُ (٢) تَقْرُو : تَنْعَمُ — وَدَمِثُ الرَّبِّ : سَهْلُهَا وَلِينُهَا

فقلت كريمٌ أتى زائراً يمرّ بكم هكذا جانباً
 شريف أتى ربنا زائراً فأكره رجسته خائباً
 وذكر صاحب الأغاني في قصة أولئك النسوة مع عمر بصورة
 أخرى في أخبار الغريض خدثنا أنه وافاهن على رواحله والغريض
 معه وأنه قال عند انصرافه إلى مكة

ألم بزینب إن البین قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
 فلما كان بمكة قال : يا غريض ! انی أريد أن أخبرك بشيء
 يتعجل لك نفعه ، ويبقى لك ذكره ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من
 ذلك ما شئت وما أنت أهله . قال إني قلت في هذه الليلة التي كنا
 فيها شعرا فامض به إلى النسوة فأنشدن ذلك وأخبرهن أني وجهت
 بك فيه قاصداً . قال نعم : فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة
 فقصد سكينه وقال لها : جعلت فداك ياسيدتي ومولاتي ! إن
 أبا الخطاب أبقاه الله وجهني إليك قاصداً . قالت : أو ليس في خير
 وسرور تركته ؟ قال : نعم ! قالت : وفيهم وجهك أبو الخطاب حفظه
 الله ؟ قال : جعلت فداك ! إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن
 أنشدك إياه . قالت فهاته . فأنشدها :

ألم بزینب إن البین قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا

قد حلفت ليلة الصّورين جاهدةً وما على الحر إلا الصبر مجتهدا
لِتربها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لو تُجمّع الناس ثم اختير صفوتهم شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا
فقالَت سَكينة : يا ويحه ! فما كان عليه أن لا يرحل فى غده !
ووجهت إلى النسوة فجمعتن وأنشدتهن الشعر ، وقالت للغريض :
هل عملت فيه شيئاً ؟ قال : قد غنيتُه ابن أبى ربيعة ، قالت فهاته ! فغناه
الغريض فقالت سَكينة : أحسنت والله وأحسن ابن أبى ربيعة ! لولا
انك سبقت فغنيتَه عمر قبائلاً أحسنا جائزتك . يا بنانة : أعطه بكل بيت
ألف درهم ، فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه
وقالت سَكينة : لو زادنا عمر لزدناك

هذا وأحب أن لا ينسى القارىء أننا اعتمدنا فى هذه الاخبار على
الاجانى والأمالى وزهر الآداب . وقد لاحظنا من قبل أنه لا يبعد أن
يكون بعض هذه الاخبار غير صحيح . فقد ذكر صاحب الاجانى فى
موطن آخر ^(١) أن البيت :

« قالت سَكينة » روى « قالت سَعيدة »

وأن المراد سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . وإنما غيره المغنون

فجعلوا سكينه مكان سعيدة . وأن إسحق الموصلي غنى الرشيد يوماً
« قالت سكينه والدموع ذوارف »

فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً وقال : لعن الله الفاسق
ولعنك معه ! فسقط في يد إسحق فعرف الرشيد ما به فسكن ثم قال :
ويحك أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ريعة في بنت عمي وبنت رسول
الله ! ألا تتحفظ في غنائك وتدرى ما يخرج من رأسك ! عد إلى غنائك
الآن وانظر بين يديك ! قال إسحق : فتركت هذا الصوت حتى
نسيته ، فما سمعه مني أحد بعده ^(١) .

وفيما ذكرناه عن السيدة سكينه غنية لمن يريد أن يعرف كيف
تمثلها الأدباء الاقدمون . أما صورتها في رؤوس الصوفية فهي صورة
القديسة التي تسيطر على الارض والسماء . وكل حزب بما لديهم
فرحون ! .

(١) هذا الكلام نفسه يدل على أنه كان مفهوماً إذ دال أن هذا السمر قيل في سكينه

الثرى بنت على

شغل صاحب الاغانى بتحقيق نسب هذه الثرى . فايرجع اليه . من شاء ، ولنمض نحن فى الحديث عن فننتها لعمر ابن ابى ربيعة ، وذكر ما اوحى اليه من الشعر الجيد البليغ

كانت الثرى أعجوبة من أعاجيب الجمال . وقد وصفها معاصروها بمثل ما وصفوا به عائشة بنت طلحة فذكروا أنها كانت خصبة الجسم ، وثيرة الردف . قال بعض المكيين : كانت الثرى تصب عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شئ من عظم عجيزتها . وقال مسامة ابن ابراهيم : قات لا يوب بن مسامة : أ كانت الثرى كما يصف عمر ابن أبى ربيعة : فقال : وفوق الصفة ! كانت والله كما قال عبد الله ابن قيس :

حبذا الحج والثرى ومن بالاً خيف من أجلها وملقى الرجال^(١)
 ياسليمان إن تلاق الثرى تلق عيش الخلود قبل الهلال
 درة من عقال البحر بكرم لم تنلها تماقب اللال^(٢)

(١) الحيف ، ما انحدر من غاطط الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمي مسجد الحيف من منى كما قال باقوت (٢) اللال : تماقب اللؤلؤ

وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يغدو عليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسائل الركبان الذين يحملون النفاكهة من الطائف عن الأخبار قبَلهم . فاقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استظرنا خبراً ، الا اننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم السماء ، وقد ذهب عني اسمه . فقال عمر : الثريا : قال : نعم وقد بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فُروجه وسلك طريق كدء ، وهى أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختها رُضيّاً وأم عثمان . فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : انا والله امرتهم لأختبر مالى عندك . فقال عمر فى ذلك :

نَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرى لِمَا جَهِدَتْهُ

وَيِنَّ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ (١)

فقلت له إن ألقَ للعَيْن قُرَّةً

فهان علىَّ أن تكلَّ وتسأما

لذلك أدنى دون خيلى رباطه وأوصى به أن لا يهان ويكرما

(١) الكميت : الخواد الذى مزجت حمرة بسواد

عَدِمَتْ إِذَا وَفَرَى وَفَارَقَتْ مَهْجَتِي لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنَا إِنْ إِيَّاهُ سَلَامًا (١)
فَمَا رَاعِيهَا إِلَّا الْأَغْرُ كَأَنَّهُ عُقَابٌ مَهْوَتْ مُنْتَضَةً قَدَرَاتُهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الثَّرِيَا هَبَانَتْ فَقَالُوا سَتَدْرِي مَا مَكْرُنَا وَتَعْلَمَا
هَنَالِكَ فَانْزِلْ فَاسْتَرْحْ فَإِذَا بَدَتْ ثُرْيَاكَ فِي أَتْرَابِهَا الْخُورُ كَالْذُّمَى
يُرْدُنْ أَحْتِيَازَ السَّرْمَنْكَ فَلَا تَبْخُجْ بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ لَدَيْنَا مُجْمَعًا (٢)
وَكَانَتْ الثَّرِيَا تَغَارُ عَلَى عَمْرِ غَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَتَسْكَدُ تَجْنُ حِينَ تَقْفُ
عَلَى بَعْضِ أَخْبَارِهِ مَعَ ظُرَافِ النِّسَاءِ . بَلَّغَتْهَا أُمُّ نُوْفَلٍ أَنَّهُ قَالَ فِي رَمَلَةٍ
بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ

أَصْبَحَ الْقَابُ فِي الْحَبَالِ رَهِينَا مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
فَقَالَتْ : أَنَّهُ لَوْ قَاحٌ صَنَعْتُ بِلِسَانِهِ (٣) وَلَنْ سَلِمْتُ لَهُ لِأُرْدُنْ مِنْ
شَأْوِهِ (٤) وَلَا تُذْنِبَنَّ مِنْ عَنَانِهِ ، وَلَا أَعْرِفْنَهُ نَفْسُهُ : فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فُصِدَتْ وَقَالَتْ أُمُّ بَدْرٍ سَوَّالُكَ الْعَالَمِينَ
قَالَتْ : أَنَّهُ لَسَّالٌ مُلْحَجٌّ ، قَبِجًا لَهُ ! وَلَقَدْ أَجَابَتْهُ أَنْ وَفَتْ . فَلَمَّا بَلَغَتْ
إِلَى قَوْلِهِ :

(١) لَنْ لَمْ أَقُلْ : مِنَ الْقَبُولَةِ بِمَعْنَى الْإِقَامَةِ - وَقُرْرُ : جَبَلٌ يَعْرِفُاقُ يُقَالُ لَهُ قَرْنُ الْمَسَارِلِ ، وَهُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَالطَّائِفِ . قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى
أَلَمْ يَسْأَلِ الرَّبْعَ أَنْ يَسْطَقَّ بِقَرْنِ الْمَسَارِلِ وَدَ أَخَافَا
(٢) الْجُمْلَةُ : بِعَدَمِ الْإِيمَانَةِ (٣) الْوَقَاحُ قَلِيلُ الْحَيَاءِ . وَالصَّنْعُ : الْحَادِثُ وَالْمَوْثُ صَاعٌ
يُقَالُ رَجُلٌ صَاعٌ الْيَدَيْنِ وَامْرَأَةٌ صَاعٌ الْبَدَيْنِ (٤) السَّأْوُ . الزَّمَامُ

نحن من ساكنى العراق وكنا قباؤه قاطنين مكة حيفا
 قالت : غمزته الجهممة ^(١) فلما بلغت الى قوله :

قد صدقناك اذ سألت فن اذ ت عسى ان يجر شأن شئوننا
 قالت : رمته الورهاء بأخر ماعندها فى مقام واحد ^(٢)
 وروى ان الثريا لما سمعت قول ابن أبى ربيعة فى رملة :

وجلا بُردُها وقد حسرتُه نور بدرٍ يضىءُ للناظرينا
 قالت : أفٍّ له ما أكذبه ! أوَ ترتفع حسناء بصفتة لها بعد رملة ^(٣)
 ثم هجرته

ظرف ابن أبى عنيق

لما هجرت الثريا عمر قال فيها :

قال لى صاحبي ليعلم ما بى اتحب القتل اخت الرباب
 قلت وجدى بها كوجدك بالعد ب اذا ما منعت برد الشراب
 من رسولى الى الثريا فانى ضقت ذرعاه جرها والكتاب

(١) عمره : أشار الى . والجهممة : العاجزة الضعيفة (٢) الورهاء : الحمقاء (٣) كانت رملة حسه الجسم قيحة الوجه عظيمة الاءف وكاب حين اسن عند عمر بن عيد الله تجنبه فى أيام أقرائها ثم يقتسل لتريه أنها تحيض . فقال فى ذلك بعض الشعراء جعل الله كل قطرة حيض قطرت منك فى حماليق عنيق

غَصَبْتَنِي مَجَاجَةَ الْمَسْكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهْمَةِ تَهَادِي بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخُلْدِينَ مَاءُ الشَّبَابِ
ثُمَّ قَالُوا تَحْبِهَا ؟ قُلْتَ بِهِرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْخَصَا وَالْأَتْرَابِ
قَالَ بِلَالُ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : أَنَسِدْ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ عَمْرِو :
مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَاثِي ضَمَيْتُ ذُرْعَاهُ جِرْهَا وَالْكِتَابِ
فَقَالَ إِيَّايَ أَرَادَ ، وَبِي نَوَّهَ ! لَاجِرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْمَلًا حَتَّى
أَشْخَصَ فَأُصْلَحَ بَيْنَهُمَا ، وَنَهَضَ وَنَهَضَتْ مَعَهُ ، جَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي
الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ لَمْ تَكُنْ تَفَارِقُهُمْ نَجَائِبُ لَهُمْ فُرَّةٌ يُكْرَوْنَهَا ، فَكَتَبَتْ
مِنْهُمْ رَاحِلَتَيْنِ وَأَغْلَى لَهُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : اسْتَوَضِعْهُمَ ، أَوْ دَعْنِي أُمَّا كَسَمُّهُنَّ
فَقَدْ اسْتَطَوْا عَلَيْكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ
أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ! ثُمَّ رَكِبَ أَحَدَاهَا وَرَكِبْتَ الْآخَرَى فَنَسَارَ سِيرًا شَدِيدًا .
فَقُلْتُ : أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ ! فَإِنْ مَا تَرِيدُ لَيْسَ يَفُوتُكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ !
أُبَادِرُ حَبْلَ الْوَدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا ^(١)

وَمَا حَلَاوَةُ الدُّنْيَا إِنْ تَمَّ الصَّدْعُ بَيْنَ عَمْرِو وَالثَّرِيَا ! فَقَدِمْنَا مَكَّةَ لَيْلًا
غَيْرَ مُحَرِّمِينَ ، فَدَقَّ عَلَى عَمْرِو بَابَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْزِلْ عَنْ رَاحِلَتِهِ .

فقال له : اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه .
 فركب معنا وقدمنا الطائف ، وقد كان عمر أروى أم نوفل فكانت
 تطاب له الحيل لاصلاحها فلا يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريا : هذا
 عمر قد جشمتني السفر من المدينة اليك ، فجئت بك به معترفاً لك بذنب لم
 يجزه ، معتذراً اليك من إساءته اليك . فدعيتني من التعداد والترداد ،
 فانه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون ، فصالحته أحسن صالح وأتمه
 وأجله ، وكررنا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل . وزاد
 عمر في أياته .

أزهقت أم نوفل إذ دعتها مهجتي ، مالمقاتلي من متاب^(١)
 حين قالت لها أجبي فقالت من دعائي ؟ قالت أبو الخطاب^(٢)
 فاستجابت عند الدعاء كما لي رجال يرجون حسن الثواب^(٣)



(١) أزهقت مهجتي : أذهبت : يريد أن أم نوفل ذهب بعقله حين سب في عطف
 الثريا فلم يهاج (٢) كسب ألا حظ أن الكسب المنقذين لا ينهون بوضع الماء للربط بين
 عبارات القول . وكتب أرى في ذلك تحميها . والآن ألا حظ أن الشعراء أنفسهم كانوا
 يسلكون هذا المسلك كما نرى في شعر عمر مما يدل على أن هدامن الأساليب العربية المقبولة
 (٣) يريد أنها كررت في اللبث كما فعل المحرم فقال : ليك ليك !

الثرى وسهيل

كان مسعدة بن عمرو أخرَجَ عمر بن أبي ربيعة إلى اليمن في أمر
عرض له ، وتزوجت الثرى وهو غائب ، تزوجها سهيل بن عبد العزيز
فباغته تزويجها وخروجها إلى مصر فقال :

أيها المنكحُ الثرى سُهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان ؟
هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقلَّ يمانى "
ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها :

كتبت إليك من بلدى كتاب موله كمد
كثيب واكف العينة ين بالحسرات مفرد
يؤرقه لهيب الشوق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه يمد ويمسح عينه يمد
فلما وصلتها هذه الأبيات وقرأتها بكت بكاء شديداً
ثم تمثلت :

بنفسى من لا يستقل بنفسه ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

(١) استقل : ارفع . وفي المقالة بين الثرى وسهيل توربه لطمة . لبعد ما يهدى النجمين
وبعد ما بين الثرى وكانت معروفة بالحسن وبين سهيل وكان مشهوراً بالفج . وكذلك
لطف عجب الساعر إذ يقول : عمرك الله كيف يلتقيان

وروى صاحب الاغانى من طريق آخر^(١) أن سهيل بن عبد العزيز لما تزوج الثريا نقلها إلى الشام ، وأن عمر بن أبي ربيعة لما بلغه الخبر أتى المنزل الذى كانت الثريا تنزله فوجدها قد رحلت منه يومئذ . فخرج فى أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرة لا مرا أنكرته عليه فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متنكراً حتى مرّ بالخيمة ، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضنتها^(٢) كليه . فسلمت عليه وسألته عن حاله وعائنته على ما بلغ الثريا عنه ، فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا . فقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل . فخادتها إلى طلوع الفجر ، ثم ودعها وبكى طويلاً وقام فركب فرسه ، ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا ، وأنشأ يقول :

يا صاحبيّ قفا نستخبر الطللاً عن حال من حلّه بالأمس ما فعلاً
فقال لى الربع لما أن وقفت به إن الخليط أجده البين فاحتملاً^(٣)
وخادعتك النوى حتى رأيتهم

فى الفجر يمحّث حادى عيسهم زَجلاً^(٤)

(١) ص ٢٤٤ ج ١ (٢) الخاصة: المربية وربما قلوا الداهية . لولا أن هذه الاخيرة برادها المرصع الى قد بطل مع الطلله نزيها حتى نسب (٣) أحد : ائتم - احمى : رحل (٤) محث : سوق - والرجل رفع الصوت فى حذاء الابل

لما وقفنا نحییهم وقد صرخت

هو اتف البین واستوات بهم أصلاً^(١)

صدت بعداً وقالت لآتي معها بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعي ماذا يقول ولا تعيى به جدلاً
حتى يرى أن ما قال الوشاة له فينا لديه إلينا كله نقلاً
وعرفيه به كالهزل واحتفظي في غير معتبة أن تُغضبى الرجال
فإن عهدي به والله يحفظه وإن أتى الذنب من يكره العذلاً
لو عندنا اغتیب أو نيات نقيصته

ما أب مغتابه من عندنا جَدلاً

قلت اسمعي فاقداً بلغت في لطفٍ

وليس يخفى على ذى اللب من هزلاً

هذا أرادت به بخلا لأعذرهما وقد أرى أنها لن تعدم العلام
ماسمى القلب إلا من تقابله ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلاً
أما الحديث الذي قالت أتيت به فما عبأت به إذ جاءني حولاً^(٢)

(١) الأصل: العشى يقول: لقيته أصلاً. وأصلاً وأبلاً لاه أصلاً.

(٢) الحول: الخيلة. والمعنى أنه لم بهم بما نقل من الحديث إذ كان نعم أنه ليس إلا

حيلة لإفساد ما بينهما من الحب

ما إن أطمت بها بالغيب قد علمت

مقالة الكاشح الواشى إذا محلا^(١)

إني لأرجعه فيها بسخطته وقد يرى أنه قد غرّنى زللا^(٢)

وهي قصيدة طويلة اقتطفنا بعضها في المحاضرة الاولى عند الكلام

عن إيمانه في التّيه وإغرابه في الصّلف

* *

الثريا عند الوليد بن عبد الملك

لما مات سهيل عن الثريا ، أو طلقها ، خرجت إلى الوليد بن عبد الملك

وهو خليفة بدشق في دين عليها ، فبينما هي عند أم البنين بنت

عبد العزيز بن مروان إذ دخل عليها الوليد فقال : من هذه ؟ فقالت

الثريا ، جاءنى تطلب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها . فأقبل

عليها الوليد فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا ؟ قالت :

نعم ! أما إنه يرحمه الله كان عفيفا عفيف الشعر ، أروى قوله :

ما على الرسم بالبلميّين لو ييَّ ن رجع السلام أو لو أجابا^(٣)

(١) محل : سعى بالسوء (٢) عره زللا : أوقعه في الزلل (٣) اللبان : منى بلى

بالضم ثم المصح وباء مسدة : وهوتل قصر أسفل حادة بنها وبين ذات عرق كذا ذكر

دقوت . وفيه بقول الحطيم العكلى :

فالى قصر ذى العشيرة فالصا فأمسى من الأنيس يبابا^(١)
 موحشاً بعد ما أراه أنيسا من أناس يبنون فيه القبابا
 أصبح لربع قد تغير منهم وأجالت به الرياح الترابا
 فتعفى من الرباب فأمسى القلب فى إثرها عميداً مصابا
 وبما قد أرى به حىً صدقٍ ظاهري العيس نعمه وشباباً
 وحساناً جوارياً خفرا حافظات عند الهوى الأحسابا
 لا يكترن فى الحديث ولا ية بمن ينمقن بالبهام الظرابا^(٢)
 طبيبات الاردان والنشر عينا كها الرمل بدنا أترابا

ألاب شعري هل أسى لى ناعلى الى دى السلام ودى السدر
 وهل أهطل روض الفضاير حاف وهل أصحح الدهر وسطى نى سخر
 وابن أنى ربيعه بورده مى كى فى هذه القصده وأحانا بورده من دا كفو له فى مطلع
 قصبة أخرى :

سانا اترع نالى وقولا سب سوافالى العدا طولا

(١) ذو العشرة : حص صغير من منع ودى المروءة . والمصائب : موضع حجارى
 قريب من دى طوى . واليباب : الخراب . (٢) النعق : صياح الراعى بالغنم ورحرها
 البهام : جمع بهيمة . وهى أولاد الضأن والنعر والقر . والطراب : شعار الجبال واحدها
 ظرب ككتف . ومن أسجاع الاساس : الكرام طراب . وأتم طراب . ونحس أن يلاحظ
 القارئ أن الطراب فى اليد معصوبة بالفعل : تبعس . واليب فى حمله وصف لأولئك
 الحسان بالنعمة والترف

إذ فؤادى يهوى الرباب ويأبى الد

حتى الممات ينسى الربابا

ضربت دونى الحجاب وقالت فى خفاء فما عييتُ جواباً
قد تنكرت للصديق وأظهرت لنا اليوم هجره واجتنابا
قات لا بل عداك واش فاصبح ت نواراً ما تقبلين عتاباً^(١)
فمضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلما خلا الوليد
بأم البنين قال لها : لله درُّ الثريا ! أدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدتنى
من شعر عمر : قالت : لا . قال : إني لما عرّضت لها به عرّضت لى بأن
أمرى أعرابية^(٢)



سُعر عمر فى الثريا

قال عمر فى الثريا طائفة من القصائد مرّ بعضها فى هذا الحديث

(١) الموار : المرأة النعور من الزينة . والجمع نور بالضم والاصل نور بضمين فكروها
الضمة على الواو فسكروها . (٢) الأعراب سكان البادية . وفيهم خسوبة يعابون بها
قال شاعرهم :

وإني لأهدى للأوايس كالدمى وإني ناظراف الفسا للعور
وإني على ما كان من عنجهنى ولونة أعرابى لأدب

ومرت مختارات منها في المحاضرة الأولى والثالثة ، فانهضف إليها
هذه البائية :

شاق قلبي تذكر الأحباب واعترتني نواب الأطراب
يا خليلي فاعلمنا ان قلبي مُستهامٌ بربة المحراب ^(١)
عَلِقَ القلبُ من قریش ثقلاً ذات دلّ نقيّة الأثواب
ربةٌ للنساء في بيت مَلِك جَدُّها حلّ ذروة الاحساب
شفَّ عنها محقّقُ جَنَدِيٍّ فهي كالشمس من خلال السحاب ^(٢)
فتراءت حتى إذا جنّ قلبي سترتها ولائدٌ بالثياب
قلت لما ضربن بالستر دوني ليس هذا لماشق بثواب
فأجابت من القطين فتاة ذات دلّ رقيقة بعتاب
أرسلني نحوه الوليدة تسمى قد فعلنا رضا أبي الخطاب

(١) المحراب : العرفه وصدر اليد وأكرم مواضعه . وهو الطّلع عبر المحراب بمعنى
المسجد في قوله من كلمة ثابّة :

دمه عند راهب دى اجتهد سوروها في حاب المحراب

(٢) محقق : ثوب علّه وشى على صورة الحقّة كما يقال : ثوب مرّجل غايه تصاویر
رحل . وفي الأساس : ثوب محقق النسخ محكمه . والجندى نسبة الى الجند وهو أحد
محاليف اليمن

افعل بالأسير إحدى ثلاثٍ فافهمهنَّ ثم ردِّي جوابي
اقتايه قتلاً سريعاً مُريحاً لا تكوني عليه سوط عذاب^(١)
أو أقيدي فانما النفس بالنف س قضاء مفصلاً في الكتاب^(٢)
أو صليهِ وصلاً يقرُّ عليه ان شر الوصال وصل الكذاب
وهذه الالامية :

يا خليلي سائلا الأطلالا بالبلمين إن أجزن سؤالا
وسفاه لولا الصباية حبسى في رسوم الديار ركبا عجبالا
بعدا أوحشت من آل الثريا وأجدت فيها النعاج الظلالا
يفرح القلب إن رآك وتسته بر عيني إذا أردت احتمالا
وقد مر باقي هذه القصيدة البديعة في المحاضرة الثالثة عند الكلا
عن تلطفه في مخاطبة الغواني وتودده اليهن بحسن الحديث



(١) سريخ : أي سريع (٢) أقيدي : اسفمي ، من القود بالتحريك وهو القصاص
ورقول : استقبت الامام من القابل فاقادني مه

هناية الربا على تنابا عمر

زار عمر الثريا يوما ومعه صديق له كان يصاحبه ، ويتوصل بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروح اليه رأت صاحبه فرجعت . فقال لها : انه ليس ممن أحششه ، ولا أخفى عنه شيئا واستأق فضحك . فخرجت اليه فضربته بظاهر كفها ، وكان النساء اذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر ، فأصابته الخواتيم ثنيته العليمين فنغضتا وكادت تسقطان ، فقدم البصرة فعولجته ، فثبنتا واسودتا ، فقال الحزين الكنانى ^(٣) يعيره بذلك

مابال سيفيك أم مابال كسرهما

أهكذا كسرا في غير ما باس

أم نفحة من فناء كنت تألفها

أم نالها وسط شرب صدمة الكاس

ولقيه الحزين يوما فأنشده هذين البيتين ، فقال له عمر : إذهب ،

(٣) هو عمرو بن عبد الله وهيب بن مالك . وكانى أنا السعدي . من شعراء الدولة الأموية . حجازي مطبوع وليس من شول طبقة . وكان شفاء خيب الناس . ومن شعراء :

أدام يكن المرء فصل برسه سوى ما دعى يوما فليس له فصل

وبلى النى ضحا حملا رواؤده بروغك في النادى وليس له عقل

وأخر ندى العبي عنه مهدي بخود اذا ما الصبح نهجه الجبل

اذهب ، ويلك ! فانك لاتحسن أن تقول :
 ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد
 واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

* * *

بطء الثريا

لما ماتت الثريا طلب الغريص من بعض الشعراء أن يقول أياتاً
 ينوح بها عليها فقال :

ألا يا عين مالك تدمعينا أمن رمد بكيت فتكحلينا
 أم انت حزينه تبتكين شجوا فشجوك مثله أبكي العيونا
 وكانت والله أهلاً لأن تبكي بغير هذا الشعر الضعيف ، لو عرف
 معاصروها انهم يوم دفنوها إنما غيَّبوا الثريا في التراب !

زینب بنت موسی

كان سبب شغف ابن أبي ربيعة بزینب بنت موسی كما قال صاحب الأغاني ان ابن أبي عنيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلبه وأماله إليها ، فنال فيها الشعر وشبب بها . فمن ذلك هذه النونية :

يا خيلیؑ من ملام دعانی وألما القداة بالأظمانِ
لا تلوما فی آل زینب ان ال قلب دهنؑ بال زینب عانی
ما أرى ما بقيت ان اذكر المو

قف منها بأخيف إلا شجانی^(١)

(١) الخيف ما نخدر من علق الخيل . ارفع عن مسد الاماء . وهو هنا موسی في مكة سعدني . قال بصيب :

ولم أر الي بعد مووت ساعة بحم فني نرعى حمار المحصب
ويبدى الحصا منها اذا قدوت به من البرد أطراف انسان المحصب
قل ان حتى : أصل الخيف الاختلاف . ذلك ان ما نخدر من الخيل فليس نرفا ولا حصصاً
وهو مخاف لها . ومنه : الناس أخفاف أى محامون . قال الشاعر :

الناس أخيف وشنى في السيم وكاهم نجمهم بين الادم

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ماقلت مازحاً بلساني^(١)
 هي أهل الصفاء والود مني وإليها الهوى فلا تعذلاني
 حين قالت لأختها ولأخرى من قطين مؤلّد: حدّثاني^(٢)
 كيف لي اليوم أن أرى عمر المرسل سرّاً في القول أن يلقاني
 قالتا نبتغي رسولاً إليه ونميت الحديث بالكتمان
 ان قابي بعد الذي نالت منها كالمعنى عن سائر النسوان^(٣)
 فلما بلغ ذلك ابن أبي عتيق لأمه وقال له: أتمطق الشعر في
 ابنة عمي؟ فقال:

إنني اليوم عادى أحزاني وتذكرت ميعتي في زماني^(٤)
 وتذكرت ظبية أم رثمي هاج لي الشوق ذكرها فشحجاني^(٥)
 لا تعلمني عتيق حسبى الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني
 لا تعلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان

(١) لما سمع ابن أبي عتيق هذا البيت قال: رصيف لها نامودة ونامساء دهمسة —
 و'دهمسة': التجميس والخدمة بالشئ 'النسر' — والجميش القرص باطراف الاصابع
 (٢) القطين: الخدم والاصابع: والمولد من العبيد والاماء من ولد بين العرب ونساء مع
 أولادهم (٣) انعى: المحوس (٤) انعمه: أول النسب (٥) انرثم: وود ظبيته
 وجمع على آرام وأرام

إِذْ بَدَأَ الْكَسْحَ وَالْوَشَاحَ مِنْ الدَّرِ لِي عِظَامِي مَكْنُوتُهُ وَبِرَانِي
 لَوْ بَعِينِيكَ يَا عَتِيقَ نَظَرِنَا لَيْلَةَ السَّفْحِ قَرَّتْ الْعَيْنَانِ
 إِذْ بَدَأَ الْكَسْحَ وَالْوَشَاحَ مِنْ الدَّرِ وَفَصَلَ فِيهِ مِنَ الْمَرْجَانِ^(١)
 قَدْ قَلَى قَلْبِي الْغَسَاءَ سِوَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ مَغْرَمًا بِالْغَوَانِي
 إِنْ دَهْرًا يُلْفُ شَمْلِي بِسُعْدِي لَزِمَانُ يَهْمٍ بِالْإِحْسَانِ
 لَيْتَنِي أَشْتَرَى لِنَفْسِي مِنْهَا مِثْلَ وَدِي بِسَاعِدِي وَبَنَانِي
 خَلَجْتُ عَيْنِي الْيَمِينَ بِخَيْرِ تِلْكَ عَيْنُ مَأْمُونَةِ الْخَلْجَانِ

قال قُدامه بن موسى : خرجت بأختي زينب إلى العمرة فلما كانت
 بسرف^(٢) لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسأمت عليّ . فقلت له :
 إلى أين أراك متوجهًا يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لي امرأة من
 قومي برّزه الجمال^(٣) فأردت الحديث معها ، فقلت : هل علمت أنها
 أختي ؟ فقال : لا ، واستحيا وثني عنق فرسه راجعًا إلى مكة^(٤)

وخرج ابن أبي ربيعة يريد المسجد وخرجت زينب تريد ، فالتقيا

(١) الكسح ما بين الحاصر إلى الصاع الخلف - وتوشاح : اسم عربى يصع
 بالجوهر سده المرأة بين عاتقها وكسحها . وفصل الدر بالمرحاض بمرثمة فيه ويقال :
 وشاح مفعول . وتوجه المرأة الهباء أنها غرت الوشاح (٢) سرف على وزن كفف
 موضع على عشرة أميال من مكة (٣) برّزة الجمال : بارزة الخصال أو متجاهرة
 تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون (٤) ص ٩٩ ح ١ من الاعلى

فَأَتَمَدَا لِبَعْضِ الشَّعَابِ فَلَمَّا تَوَسَّطَا الشَّعْبَ ^(١) أَخَذَتْهُمَا السَّمَاءُ ، فَكَرِهَ
 أَنْ يُرَى بِثِيَابِهَا بَلَلُ الْمَطَرِ . فَيَقَالُ لَهَا : أَلَا اسْتَمْتَرْتَ بِسِقَائِفِ الْمَسْجِدِ
 إِنْ كُنْتَ فِيهِ ؟ فَأَمَرَ غُلَامَانَهُ فَسَتَرُوهُمَا بِكَسَاءٍ خَزَّ كَانَ عَلَيْهِ . وَفِي
 ذَلِكَ يَقُولُ :

وَمَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ لَزِيذِ نَجْوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
 أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِيءُ بَزِيذِ تَدْرِكَ بَعْضَ مَا أَنْتَ لَا مَسَ
 فَانْكِ إِنْ لَمْ تَشْفِ مَنْ سَقَمَ بِهَا فَأَنْيَ مِنْ طَبِّ الْأَطْبَاءِ آيَسُ
 وَلَسْتُ بِنَاسِ لَيْلَةِ الدَّارِ مَجَاسَا لَزِيذِ حَتَّى يَعْلُوَ الرَّأْسُ رَامِسُ ^(٢)
 خَلَاءٍ بَدَتْ قَرَاؤُهُ وَتَكَشَّفَتْ دُجْنَتُهُ وَغَابَ مِنْهُ هُوَ حَارِسُ
 وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مُحَرَّمًا غَيْرَ أَنَا كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَا بَسَ
 نَجِيَّتَيْنِ نَقَضَى اللَّهُوْ فِي غَيْرِ مَاثِمٍ

وَإِنْ رَغِمَتْ مِ الْكَاشِحِينَ الْمَعَاضِ ^(٣)

وَمِنْ شَعْرِهِ فِي زِينِ قَوْلِهِ :

طَالَ مِنْ آلِ زَيْنَبِ الْإِعْرَاضِ لِلتَّعَدِّيِّ وَمَا بِهَا الْإِبْغَاضُ
 وَوَلِيدِينَ كَانَ مُعْلَقَهَا الْقَلْبُ بُ إِلَى أَنْ عَلَا الرِّءُوسُ بِيَاضُ

(١) السَّعْبُ الْكَسْرُ الطَّرِيقُ فِي الْحُلِيِّ (٢) الرَّمْسُ : الدَّافِئُ فِي الرَّمْسِ وَهُوَ التَّهَبُّ

(٣) الْمَعَاضُ جَمْعُ مَعْطَسٍ وَهُوَ الْإِنْفُ

حبلىا عندنا متينٌ وحبلىا عندنا وهن القوى أنقاض^(١)
 نظرت يوم فرع لفتٍ الينا نظرة كان رجعها إيماض^(٢)
 حين قالت لموكب كمها الرم ل أطأت له النبات الرياض^٣
 عجن نحو الفتى البغال نحيم بما تكتم القلوب المراض^٤
 وأحدثه ما تضمنت منه إذ خلا اليوم للمسير المراض^(٥)

وقوله :

تصابى القاب واذكرا صباء ولم يكن ذكرا
 لزينب إذ تجدد لنا صفاء لم يكن كدرا
 أليست بالتي قالت لمولافٍ لها ظهرا
 أشيرى بالسلام له اذا هو نحونا خطرا
 لقد أرسلت جاريتى وقأت لها خذى حذرا
 وقولى فى ملاطفةٍ لزينب نولى عمرا

- (١) القوى : طاقات الجبل مفردھا قود . والاقباس جمع ناقص بآكس . وهو الحد
 لذى لم يجدود فله ولم يرم (٢) أفت بآكس . من مكة وأندلس
 (٣) المراض مكان الرماحه . وهو هنا موضع على طرف الحجار من دحيه
 الكوفة . قال ياقوت : وهناك اى الولد من عقبه من أبى معط نجدا . مولى عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه وأخبره بقل عثمان وقال :
 يوم لاقت بالمراض نجداً أبى هذلك ومن نجداً

فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجْبًا وَقَالَتْ مِنْ بَذَا أَمْرًا
أَهَذَا سِحْرُكَ النِّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

وقوله :

إِيهَا الْكَاشِحُ الْمَعِيرُ بِالصَّرِّ بِمَ تَزْحَرْحُ فَمَالَهَا الْهَجْرَانُ
لَا مُطَاعٌ فِي آلِ زَيْنَبٍ فَارْجِعْ أَوْ تَكَلِّمْ حَتَّى يَمَلَّ اللِّسَانُ
نَجْعَلُ اللَّيْلَ مَوْعِدًا حِينَ تُمَسِّي ثُمَّ يُخْفِي حَدِيثَنَا الْكَلِمَانُ

كَيْفَ صَبَرَى عَنْ بَعْضِ نَفْسِي وَهَلْ يَصِ بَرَّ عَنْ بَعْضِ نَفْسِهِ الْإِنْسَانُ
وَلَقَدْ أَشْهَدُ الْمَحْدَثَ عِنْدَ الْ قَمَصْرِ فِيهِ تَعَفُّفٌ وَبَيَانٌ ^(١)

فِي زَمَانٍ مِنَ الْمَعِيشَةِ أَدْنَى قَدْ مَضَى عَصْرُهُ وَهَذَا زَمَانُ
وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا هَذِهِ لِرَأْيَةِ الْغَزَلَةِ الَّتِي عَدُّوْهَا مِنْ هَفْوَاتِهِ وَرَأَوْهُ
يَنْسَبُ فِيهَا بِنَفْسِهِ . وَهِيَ لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ أَظْرَفٍ مَا يَقُولُهُ شَاعِرُ حُلُو
الشَّمَائِلِ فِي حِسَانٍ يَتَلَمَّسُنَ أَسْبَابَ هَوَاهُ

مَازَالَ طَرَفِي يَحَارُ إِذَا بَرَزْتَ حَتَّى رَأَيْتَ النِّقْصَانَ فِي بَصْرِي
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
مَا أَنْ طَعَمْنَا بِهَا وَلَا طَعَمْتَ حَتَّى التَّقِينَا لَيْلًا عَلَى قَدَرٍ ^(٢)

(١) المحدث : الحديث . فهو مصدر على صيغة المفعول

(٢) على قدر : مصادقة على غير موعد

بَيْضًا حَسَانًا خَرَانِدًا قُطْفًا يَمَشِينَ هَوْنًا كَمَشِيَةَ الْبَقَرِ ^(١)
 قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعًا وَفُزْنَ رِسَالًا بِالذِّلِّ وَالْخَفْرِ ^(٢)
 قَالَتْ لَتَرَبَّ لَهَا تَحَدُّثُهَا لِنَفْسِ دَنِّ الطَّوَافِ فِي عَمْرِ
 قَوْمِي تَصَدَّقِي لَهُ لِيَعْرِفُنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفْرِ
 قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتَهُ فَأَبِي ثُمَّ اسْبِطْرَتِ تَسْمَعِي عَلَى اثَرِي ^(٣)
 مِنْ يُسْقِ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا يُسْقِ بِمَسْكٍ وَبَارِدٍ خَصِيرِ ^(٤)
 وَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّهُ يُفِيضُ فِيمَا يُسْبِغُ عَلَى زَيْنَبَ هَذِهِ مِنَ الْأَوْصَافِ
 الْحَسِيَّةِ ، كَقَوْلِهِ :

يَا مَنْ أَفْلَبَ مَتِيمٍ كَلَفٍ يَهْدِي بِخَوْدِ مَرِيضَةِ النَّظَرِ ^(٥)
 تَمَشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلًا وَهِيَ كَمِثْلِ الْعُسْلُوجِ فِي الشَّجَرِ ^(٦)
 وَقَوْلُهُ مِنْ كَلِمَةِ أُخْرَى

خَدَّاجَةٌ إِذَا انْصَرَفَتْ رَأَيْتُ وَشَاحَهَا قَالِقًا ^(٧)
 وَسَاقًا تَمَلًّا الْخَاخَا لَ فِيهِ تَرَاهُ مَحْتَنِقًا

(١) الْخَرَانِدُ جَمْعُ خَرْنَدَةٍ وَهِيَ الْحُمْرَةُ الْجَبِيَّةُ . وَالْقُطْفُ جَمْعُ طُفُوفٍ وَهِيَ الطَّائِفَةُ
 الْبَقَرُ . وَذَلِكَ أَمْرٌ يُتْرَكُ فِي النِّسَاءِ (٢) الرِّسَالُ الْكُتُبُ الرَّفِيقُ وَالْإِيْنُ (٣) اسْبَطَرْتُ :
 اسْبَعْتُ (٤) الْخَصِرُ : الْإِزْدَادُ (٥) الْخَوْدُ : الْفِدَّةُ الْحَسَنَةُ الْخَالِقُ السَّائِبُ (٦) الْفَصْلُ
 صَمْتِي الْمَحَالَةَ الَّتِي تَفْضُلُ مِنْ دَلَامِهَا . وَكَانَ هَذَا فِي ذِي الْعَصْرِ شَارِدَةَ الْعَمَلِ وَرَعْدَ الْعَبَسِ
 وَالْعُسْلُوجُ : الْعَصَنُ الْإِيْنُ (٧) الْخَاخَا نَسْدُ الدَّلَامِ الْمُرَاةُ الْمَمْلُوءَةُ الْبَرَاعِي وَالسَّاقِيْنِ

فاطمة بنت عبد الملك

ربما كان حديث ابن أبي ربيعة مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان أظرف ما رُبنا من الأحاديث ، لما فيه من المفاجآت التي تمثل دهاء ربات القصور في ذلك الحين . فقد روى صاحب الاغانى انها حجت . فكتب الحجاج الى عمر بن أبي ربيعة يتوعده ان ذكرها في شعره بكل مكرود . وكانت تحب أن يقول فيها شيئاً وتعرض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجاج . فلما قضت حجبها خرجت فمرَّ بها رجل فقالت له : من انت ؟ قال من أهل مكة . قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله ! قال ولم ذاك ؟ قالت : حججت فدخلت مكة ومعى من الجوارى ما لم تر الأعين مثلهن . فلم يستطع الفاسق ابن أبي ربيعة ان يزودنا من شعره ابياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا . قال : فاني لا اراه إلا قد فعل . قالت فاتنا بشيء ان كان قاله والاك بكل بيت عشرة دنانير . فمضى اليه فأخبره . فقال : لقد فعلت ، ولكن أحب ان تكتبتم عليّ ، قال : أفعل . فأنشده

راع الفؤاد تفرق الاحباب يوم الرحيل فهاج لى أطرابى
فظللت مكتئباً أ كففك عبرةً سجاً تفيض كوابل الأسرابى

لما تنادوا لارحيل وقرّبوا بُزْلَ الْجَمالِ اِطِيّةٍ وذهاب
 كاذلاً نى يفضى عليك صباةً والوجه منك لبيزِ الْفك كَابِ
 وانشدد :

هاح قاي تذكر الأحياب واعترتني نوايب الاطراب
 وهى قصيدة طويلة ذكر صاحب الاغانى فى اخبار - منين ان ابن
 أبي ربيعة قالها فى فاطمة بنت عبد الملك وذكر فى أخبار الشاعر نفسه
 انه قالها فى الثريا بنت على . فلتقيد ذلك فانه يؤيد ماأشرنا اليه من ان ابن
 أبى ربيعة غير صادق الحب ، وانه ينقل شعره من جميلة الى جميلة وفقاً
 لمقتضيات الظروف ، وان الرواة وضعوا من أقاصيص عشقه ما شاء لهم
 الخيال ، ترويحاً لأنفس السامعين من الخلفاء والأمراء



مصائبها لعمر على هلك الحرائر

ولنذكر تلك القصة الطريفة التى رواها صاحب الاغانى فى اخبار
 ابن أبى ربيعة ، اذ نقل انه كان جالسا بمنى فى فناء مضر به وغلما نه حوله ،
 فأقبلت امرأة برزة عابها اثر النعمة ، فسلمت فردّا عليها السلام ، فقالت
 ٤ : انت عمر بن أبى ربيعة ؟ فقال لها : انا هو ، فما حاجتك ؟ قالت له :
 حياك الله وقرّبك هل لك فى محادثة أحسن الناس وجهاً ، وأتمهم خلقاً ،

وأكلهم ادبا ، وأشرفهم حسبا ؟ قال : ما أحبّ الىّ ذلك ! قالت : على شرط . قال : قولى . قالت : تمكّنى من عينيّك فأشدّها وأقودك حتى اذا توسّطت الموضع الذى اريد حلت الشدّ ثم أفل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهى بك الى مضربك . قال : شأنك . ففعلت ذلك به . فلما انتهت به الى المضرب الذى ارادت ، كشفت عن وجهه ، فرأى امرأة على كرسى لم ير مثاها قط جمالاً وكمالاً . فسلم وجلس . فقالت : أنت عمر بن أبى ربيعة ؟ قال : انا عمر . قالت انت الفاضح للحرائر : قال : وما ذاك ، جعاني الله فداك ! قالت : ألسن القائل :

قالت وعيش أبى وحرمة والدى لأنبيّن الحبيّ ان لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسّمت فعلمت أن يمينها لم تخرج^(١)
فتناولت رأسى لتعرف مسّه بمخضّب الأطراف غير مُشَنّج^(٢)
فأثمت فاتها آخذاً بقرونها شرب الزيف يبرد ماء الحشرج^(٣)
ثم قالت : قم فاخرج عني ! ثم قامت من مجلسها وجاءت المرأة
فشدّت عينيّه وقد دخله من السكّابة والحزن ما لا طاقة له به ، وبات

(١) من اخرج وهو الصيق . يريد انها لم تحلف معترمة الحرس على اليمين

(٢) مسح : مفض (٣) القرون : أفرع الشعر - والريف : كالمروى هو الخمان الذى حم لسانه من العطش . أو هو الحموم الذى منع الماء - والحشرج : القره فى الجدل يجمع فيها الماء ويصفو وبطبط

ليلته . فلما أصبح اذا هو بها . فقالت : هل لك في الدود ؟ فقال شأنك .
ففعلت به مثل فعلها بالأمس حتى انتهت به إلى الموضع ، فلما دخل اذا
بتلك الفتاة على كرسى . فقالت : إيه يا فضاح الحرائر ! فل : بماذا ؟
جعانى الله فدالك ! قالت : بقولك :

وناهدة المدين قات لها انكى على الرمل من جبانة له توسد
فقالت على اسم الله امرتك طاعة وان كنت قد كلفت مالم أعود
فلما دنا الاصبح قالت فضحتنى فقم غير مطرود وان شئت فازدد
ثم قالت : قم فاخرج عنى ! فقام فخرج ثم رُدَّ ، فقالت له : لولا وشك
الرحيل . وخوف الفوت . ومحبتى لمناجاتك والاستكثار من محادثتك .
لأقصيتك . هات الآن كلمنى وحدنى وأنشدنى ، فكلّم آدب الناس
واعلمهم بكل شىء . ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا له البيت . فأخذ
ينظر فاذا هو بتور فيه خلوق ^(١) فأدخل يده فيه ثم خبأها فى رُده ^(٢)
وجاءت تلك العجوز فشددت عينيه ونهضت به تقوده حتى اذا صار على
باب المضرب أخرج يده فضرب بها على المضرب ثم صار إلى مضربه
(١) التور : الماء العور . هل صاحب الاسن : ومررب باب العمود على امرأه يقول
لجارتها : أعزبنى بويربك . معنى بذلك لأنه يعاود ه ردد . له معنى التور
وهو الرسول الذى يتردد ويدور بين الناس . وماحدد من النار له ردد عند
هذا ودرة عدهدا (٢) الردين : الكي

فدعا غلامانه فقال : أَيْكُمْ يَقْنِي عَلَى بَابٍ مُضْرِبٍ عَلَيْهِ خَلُوقٌ كَأَنَّهُ أَثَرُ كَفٍّ
 فَهُوَ حَرٌّ ، وَلَهُ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ . فَلَمْ يَلِثْ أَنْ جَاءَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قُمْ ، فَهَضْ
 مَعَهُ فَإِذَا هُوَ بِالْكَفِّ طَرِيَّةٌ . وَإِذَا الْمَضْرِبُ الْمَضْرِبِ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ
 ابْنِ مُرْوَانَ ، فَأَخَذَتْ فِي أُهْبَةِ الرَّحِيلِ ، فَلَمَّا نَفَرَتْ نَفَرَ مَعَهَا ، فَبَصُرَتْ
 فِي طَرِيقِهَا بِقَبَابٍ وَمُضْرِبٍ وَهَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ ، فَسَأَلَتْ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهَا :
 هَذَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَسَاءَ هَا الْأُمُّ ، وَقَالَتْ لِلْعَجُوزِ الَّتِي كَانَتْ تَرْسَاهَا
 إِلَيْهِ : قَوْلِي لَهُ نَشِدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَصْحَبَنِي ، وَيَحْكُ : مَا شَأْنُكَ وَمَا
 الَّذِي تَرِيدُ ؟ انْصَرَفَ وَلَا تَفْضَحْنِي وَتُشْطِطَ بِدِمِّكَ ^(١) ، فَسَارَتْ الْعَجُوزُ
 إِلَيْهِ فَأَدَّتْ مَا قَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ . فَقَالَ : اسْتَ بِنَصْرَفَ أَوْ تَوَجَّهْ إِلَى
 بَقْمِيصِهَا الَّذِي يَلِي جُلْدَهَا . فَأَخْبَرَتْهَا بِفَعَامَاتٍ وَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِقَمِيصٍ مِنْ
 ثِيَابِهَا فَرَزَدَ ذَلِكَ شَغْفًا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُهُمْ لَا يَخَالِطُهُمْ حَتَّى إِذَا صَارُوا عَلَى
 أَمِيلٍ مِنْ دِمَشْقٍ انْصَرَفَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

ضَاقَ الْغَدَاةَ بِحَاجَتِي صَدْرِي

وَيُنْسَتْ بَعْدَ تَقَارُبِ الْأُمُرِ

وَذَكَرَتْ فَاطِمَةُ الَّتِي عَاقَبَتْهَا

عَرَضًا فِيمَا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ

(١) . أَسَاطُ دَمِهِ وَبِدْمِهِ : أَهْدَرْدَ وَعَرَّصَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ

ممكورة^(١) رَدْع العبير بها جمُّ العظام لطيفة الخصر^(٢)
 وكان فاهها عند رَقْدتها تجري عليه سُلالة الخمر
 شرقاً بذَوْبِ الشَّهْدِ يخلطه^(٣) بالزنجبيل وفأرة التجر^(٤)
 عرضت لنا بالخيْف في بقر

نَقَرُوا الكَبَاثَ ونَاضِرَ السُّدْر^(٥)
 وجَلَّتْ أَسِيلًا يَوْمَ ذِي خُشْبٍ رِيَّانٌ مِثْلُ فُجَاءَةِ البَدْرِ^(٦)
 فُسِبَتْ فَوَادِي إِذْ عَرَضَتْ لَهَا يَوْمَ الرِّحِيلِ بِسَاحَةِ القَصْرِ
 بِمُزَيْنٍ رَدْعِ العَبِيرِ بِهِ^(٧) حَسَنَ التَّرَائِبِ وَاضِحِ النَّمْرِ^(٨)
 وَبِجِيدِ آدَمَ شَادِنٍ خَرِقٍ يَرعى الرِّيَاضَ بِبِلْدَةِ قَفَرٍ^(٩)

(١) الممكورة : الحساء المسدرة السافس الخكمه السكوس . والرَدْع أثر الطيب في الخسد - والعبر الرغفران أو احرنط من الطيب . وحجم العظام : ذوقها . مذكورة للمحجم .
 والشمس أن تقول : حماء . ولكن اس أن ربيعة كسرت التسهيل في صوانط العرب .

(٢) البحر : جمع بحر والفأرة : الحلقه المسلك . قال صاحب الفاموس : أو العواص
 إبراد وزره انسان في صور لقوران رائحتها أو يحور همرها لأنها على هيئة الفأرة . وقد
 لاغراني : أنهم الفأرة فقال : أهزه همرها . وعرض الساعر من هذا البب والدى
 قبله وصف امر الخبويه بطيب السكه وعدوبه المداق (٣) نقرو : دبع - والكبات
 كسحب الضج من ثمر الأراك - والسدر : شجر السبي (٤) الاسل : الرفق - ودو
 خبب اضممت واد على مسيرة ليلة من المدسه له ذكر كثير في الحديث والمعاري

(٥) الترائب جمع ربة وهي موضع الفلادة من الصدر (٦) الجبد : العنق - والآدم
 من الطناء منافه أدمه وهو لون مشرب باضا . وهي في الاسان السمرة ويقال : رجل آدم
 اللون أى أسمره - والسادن : العطى الذى شدن أى قوى واستغنى عن أمه وهو أول
 العهد بالمرح وجنون الساب - والحرق هو الحائف المجهز

لَمَّا رَأَيْتُ مَطِيَّهَا حَزَقًا خَفَقَ الْفَوَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبْرٍ^(١)
وَتَبَادَرَتْ عَيْنَايَ بِمَدْمُومٍ وَانْهَلَتْ دُمُوعُهُمَا عَلَى الصَّدْرِ
وَمِنْ شَعْرَةٍ فِيهَا وَقَدْ جَدَّ بِهَا الرِّحِيلُ

كَدْتُ يَوْمَ الرِّحِيلِ أَقْضَى حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرِّحِيلِ
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ — دُودَمَعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلٍ
ذَرَفَتْ عَيْنُهَا فَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانَا يَأْتِي بِأَبِّ أَصِيلٍ
لَوْ خَالَتُ خَاتِي أَصَبْتُ نَوَالًا وَحَدِيثًا يَشْفِي مَعَ التَّنْوِيلِ
وَلِظَلِّ الْخَالِخَالِ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ حِيَةٍ مُقْتُولِ^(٢)
وَلَقَدْ قَالَتْ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثَرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْيِيلِ
لَيْسَ طَعْمُ الْكَافُورِ وَالْمَسْكِ شِدْبًا ثُمَّ مُعَلَّلًا بِالرَّاحِ وَالزَّنَجِيلِ^(٣)
حِينَ تَنْتَابُهَا بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا طُرُوقًا إِنْ شَدَّتْ أَوْ بِالْمَقِيلِ^(٤)

(١) الحَزَقُ جمع حَزَقَةٍ وهو الكَسْبُ وهو الجماعة (٢) الحَسَانَا جمع حَسَنَةٍ وهي الفَرَسُ
المَحْسُورَةُ وَأَثْنَاءُ الْحَيَاةِ مَطَاوِئُهَا وَبِصَاعُهَا إِذَا نَفَسَ وَجَرَى وَبِهِمَا مَذَكَّرٌ إِذَا كَانَتْ لَا تَقْصُرُ
عَلَى الْبَإْيِثِ (٣) شِدْبًا : مَرَحًا مِنَ السُّوْبِ وَهُوَ الْمَرْجُ — وَعَلَا : مِنَ الْعُلَلِ يَفْتَحُنَ وَهُوَ الشَّرْبُ
الْقَامَةُ أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاعًا . يَفْضُلُ الْبَهْلُ يَفْتَحُنَ وَهُوَ الشَّرْبُ الْأَوَّلُ — وَالْمُرَادُ مِنَ
عَلَى الْكَافُورِ وَالْمَسْكِ الرِّيحِ وَانْزَحْمِلْ أَسَافَهُ الْأَخْيَرِينَ إِلَى الْأَوَّلِينَ لِيَتَأَلَّفَ مِثْلُ الشَّرَابِ
(٤) نَبَاتِيهَا : نَوْرُهَا . مِنَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى — وَالطُّرُوقُ :
رِيَابُهُ اللَّيْلِ — وَانْقِلَبْ : رَاحَةُ الظُّهْرِ . وَالنَّاعِرُ يَصْفُ مَحْوَتَهُ بِغُضْبٍ لَقَمَ فِي وَفِّ
الْقِيلُولَةِ وَعِنْدَ هَذِهِ اللَّيْلِ لَا يَزَالُ هَذَا أَدْلَى عَلَى قُوَّةِ الصَّبْرِ إِذَا كَانَتْ الْأَفْوَادُ تَعْيِيرُ عَادَهُ عِنْدَ الْهَجْوِ

ذاك ظنى ولم أذق طعم فيها لا وما فى الكتاب من تنزيل
رَبْعَةٌ أو فُويق ذلك قليلاً ونؤوم الضحى وحق كسول^(١)
وقال فيها أيضاً هذه الرائية :

يا خليلي شفنى الذِّكرُ وُحْمول الحى إذ صدروا
ضربوا ثُمر القباب لها وأدبرت حولها الحُجُرُ
لو سُقى الاموات ريقتها بعد كأس الموت لا تتشروا
ويكاد الحجل من غصصٍ حين تستأنيه ينكسر^(٢)
ويكاد العجز ان نهضت بعد طول البهر ينبت^(٣)
أخيام البئر منزلهم أم هم بالعمره ائتمروا^(٤)
أم بأعلى ذى الأراك لهم مَرَبِعٌ قد جاده المطر^(٥)
سلكوا شعب النقباب بها زُمَرًا تحتثها زُمُرُ^(٦)

(١) ربعة ليست بالطولامة ولا القصيرة - ونؤوم الضحى : كناية عن البرق اذ لا تمام الضحى الا المراد المحذومه التى تقوى وناثها . ومنها من جانب الستون . وهى لثلاث مكسلا (٢) الحجل ، المكسر والفتح الحجلال - والعصص : الصبغ - استأنيه : سابه (٣) البهر : انقطاع النفس من الاعباء - والبئر : القطع (٤) البئر : اسم لعدة اماكس أكثرها ، النابيه . منها بئر رومة وبشر رناب و بئر غروه وبئر عدى ولم يعرف بالضبط ما يقصد الشاعر من بين هذه الآثار (٥) وادى الاراك قرب مكة . قال ياقوت : وادى أراك فى الاشعار (٦) الثياب موضع من أعمال المدينة يسحب منه ثياب يلبس الى وادى القرى . وادى المياه - ونعنب : اسود

وطرفت الحي مكتماً ومعى عضبٌ به أنز^(١)
 وأخ^(٢) لم أخش نبوته بنواهى أمرهم خبر^(٣)
 فإذا ريم^(٤) على فرش فى حجال الخز مخندر^(٥)
 حوله الأحراس ترقبه نؤم^(٦) من طول ماسهروا
 شبه القتلى وما قتلوا ذلك إلا أنهم سمروا^(٧)
 فدعت بالويل آونة حين أدنانى لها النظر
 ودعت حوراء آنسه حرة من شأنها الخفر^(٨)
 ثم قالت لآتى ممها ونج نفسى قد أتى عمر
 ماله قد جاء يطرقتنا ويرى الاعداء قد حضروا
 لشقائى كان علقنا ولحبنى ساقه القدر^(٩)
 قلت عرضى دون عرضكم ولئن ذواكم الحجر^(١٠)

(١) العصب: السيف المقاطع - وأنز السيف أفرنده (٢) النبوة: الحفوة - وخبر: خبير

(٣) الحجال: جمع حجلة، منحتين وهى فيه نزين للعروس - ومخندر: باعس

(٤) وسمروا من السمر وهو حديث اللال . وقد يراد به شرب الخمر

(٥) الحفر: شدة الجفاء (٦) الحين بالفتح اهلاك (٧) العرض ها النفس

ومنه قول حسان :

فإن أبى والوالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

وقد يراد به الحسد كما فى الحديث (يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك)

ونواؤكم : من الماواة وهى المعادة

أزواجها

كانت فاطمة بنت عبد الملك تحت عمر بن العزيز ، فلما مات عنها
تزوجها داود بن سليمان بن مروان ، وكان قبيح الوجه ، فقال في ذلك
موسى شهوات

أبعد الأغر بن عبد العزيز قريع قريش إذا يُذكرُ
تزوجت داود مخنارةً ألا ذلك الخلف الأعور

فكانت إذا سخطت عليه تقول : صدق والله موسى . إنك لا أنت

الخلف الأعور ١ - فيشتهمه داود

ولفاطمة بنت عبد الملك أحاديث في فتنة من عاصرها من
الشعراء ، كما نود ذكرها لولا إشار الایجاز .

هند بنت الحارث

هي إحدى جميلات ذلك العصر ، وهي التي أوحى إلى عمر عينيته التي قرنها القدماء إلى رأيته وفضلوه بهما على جميل ، ولنترك ابن أبي ربيعة يتكلم هذه المرة إذ كان حديثه عن هند يشبه ما يعرف بالاعتراف .

حدث مصعب بن عبد الله عن عثمان بن إبراهيم الخاطي قال ^(١) أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم . فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه وومي صاحب لي ظريف ، فقال : أعال حتى نهيجه على الغزل فنظر هل بقي في نفسه منه شيء ؟ فقلت : دونك ! فقال : يا أبا الخطاب ! لقد أحسن المذرى وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول .

(١) ورد هذا الحديث في زهر الآداب ج ١ ص ٢٢٨ وفي أمالي القائل ج ٢ ص ٥٠ وفي الأغانى ج ١ ص ١٧٤ . ومع أن المحدث واحد فقد اختلف العبارات في هذه الكتب الثلاثة ، وقد اخترنا ما رأناه أسبب بالساق من غير أن نتقيد نص بعينه

نُوْجُدُ بالسيفِ رَأْسِي فِي مَوْدَتِهَا لَمَرَّ يَهُوَى سَرِيغًا بِحَوْهَا رَأْسِي^(١)

وَلَوْ بَلِي تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدِي

لَكُنْتُ أَبْلَى وَمَا قَلْبِي لَكُمْ نَاسٍ

أَوْ يَقْبِضُ اللَّهُ رُوحِي صَارَ ذِكْرُكُمْ

رُوحًا أَعِيشُ بِهِ مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ

لَوْلَا نَسِيمٌ لَذَكَرَاكُمْ يَرْوِحُنِي لَكُنْتُ مُحْتَرَقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

فَارْتَحَ عَمْرٍاءُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ثُمَّ قَالَ : يَا وَيْحَهُ ! أَبْعَدَ مَا يُجَدُّ

رَأْسُهُ يَمِيلُ إِلَيْهَا !

فَقُلْتُ : وَلِلَّهِ دَرَجُودَةُ الْعَذْرَى ! فَقَالَ عَمْرٍاءُ : حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا

وَيَحْكُ ! فَقُلْتُ حَيْثُ يَقُولُ :

سَرْتُ لَعَيْنِكَ سَلَمِي بَعْدَ مَغْفَاها فَبِتْ مُسْتَنْبَهًا مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا^(٢)

فَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا مِنْ هَذَا لَنَا إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا

تَأْتِي الرِّيحُ الَّتِي مِنْ نَحْوِ بِلَدَتِكُمْ حَتَّى أَقُولَ دَنْتَ مِنَّا بَرِيَّاهَا

وَقَدْ تَرَاخَتْ بَنَاهَا نَوَى قَذَفٌ هِيَاهُ مُصْبَحَهَا مِنْ بَعْدِ مُنْسَاهَا^(٣)

مِنْ حُبِّهَا أَتَمْنَى أَنْ يَلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بِلَدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا

(١) جد : قطيع (٢) مستنه : مستيقظ (٣) نوى قذف : بعيد . ومثلها النوى

كَيْمَا أَقُولُ فِرَاقُ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضْمُرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا
وَلَوْ تَمَوْتَ لِرَاعَتِنِي وَقَلْتُ لَهَا يَا بُؤْسَ الدَّهْرِ لَيْتَ الْمَوْتَ أَبْقَاهَا
فَضَحَكَ عَمْرٌ ثُمَّ قَالَ : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَحْسَنَ وَأَجَادَ وَمَا أَبْقَى ^(١) وَلَقَدْ
هَيَّجْتُمَا عَلَيَّ سَاكِنَا ، وَذَكَرْتُمَانِي مَا كَانَ غَنَى غَائِبَا ، وَلَا أَحَدٌ ثَمَّكَمَا
حَدِيثًا حَلُولَا :

بَيْنَمَا أَنَا مِنْذُ أَعْوَامٍ جَالِسٌ إِذْ أَتَانِي خَالِدُ الْخُرَيْتِ ^(٢) فَقَالَ لِي :
يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، مَرَّتْ بِي أَرْبَعُ نِسْوَةٍ قَبِيلِ الْعِشَاءِ يَرْدُنَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا
لَمْ أَرْ مِثْلَهُنَّ فِي بَدْوٍ وَلَا فِي حَضَرٍ ، فَيَهْنُ هَنْدٌ بَذَتْ الْحَارِثَ الْمَرْيَةَ ، فَهَلْ
لَكَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ مَتَنَكِرًا فَتَسْمَعَ مِنْ حَدِيثِهِنَّ ، وَتَتَمَتَّعَ بِالنَّظَرِ الْيَهْنِ . وَلَا
يَعْلَمَنَّ مِنْ أَنْتَ ؟ فَتَمَلَّتْ لَهُ ، وَيَحْكُ : وَكَيْفَ لِي أَنْ أَخْفِيَ نَفْسِي ؟ قَالَ :
تَلْبَسْ لِبَسَةً أَعْرَابِيٍّ ثُمَّ تَجْلِسْ عَلَى قَعُودٍ فَلَا يَشْعُرَنَّ إِلَّا بِكَ قَدْ هَجَمْتَ
عَلَيْهِنَّ ، فَفَعَلْتُ مَا قَالَ وَجَلَسْتُ عَلَى قَعُودٍ فَسَلِمَتْ عَلَيْهِنَّ ثُمَّ وَقَفْتُ
بِقَرْبِهِنَّ ، فَسَأَلْنِي أَنْ أَنْشُدَهُنَّ وَأُحَدِّثَهُنَّ ، فَأَنْشُدْتُهُنَّ لِكَثِيرٍ وَجَمِيلٍ ،
وَالْأَحْوَصِ وَنَصِيبٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَقُلْنَ لِي : وَيَحْكُ يَا أَعْرَابِيٍّ ! مَا أَمْلَحَكَ
وَأَظْرَفَكَ ! لَوْ زِلْتَ فَتَحَدَّثْتَ مَعْنَايَاؤُنَا هَذَا فَإِذَا أَمْسَيْتَ انْصَرَفْتَ فِي حِفْظِ

(١) فِي دَهْرِ الْآدَابِ لَمْ يَهْسُ هَذِهِ الْآيَاتُ . وَهِيَ فِيهِ مَسْنُوءَةٌ إِلَى الْفَرِيدِ

(٢) هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ وَكَانَ يُرْسِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النِّسَاءِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ

الْعُبُثِ فِي صَبَاحٍ . وَالْحَرْبُ عَلَى وَرَنٍ سَكَيْتَ هُوَ الدَّلِيلُ الْحَادِقُ

الله ! فأنخت بعيري ثم تحدثت معهن ، وأنشدتهن ، فسررن لي وجذرن
 بقربي وأعجبهن حديثي . ثم تفاخرن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأنا
 نعرف هذا الاعرابي ! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهن :
 هو والله عمر ! فدت هندیها فأنزعت عمامتي فألقته عن رأسي ثم
 قالت : هيه يا عمر ! أترك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك ،
 واحتلنا عليك بخالد فارس ناد اليك لتأتينا في أسواق هيمه ونحن كما ترى .
 ثم أخذنا في الحديث . فقالت هند : ويحك يا عمر ! اسمع مني ، لو رأيتني
 منذ أيام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبی ، فلما نظرت
 إلى كعشي فرأيتہ ملء العين وأمنية المتعني ناديت : يا عمراد ! يا عمراد !
 فصحت : يا لبیکاه ! يا لبیکاه ! ثلاثا ، ومددت في الثالثة صوتي .
 فضحكت ، وحادثهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت ، فذاك حيث أقول :
 ألم تسأل الأطلال والمتربما بيطن حلیمات دوارس باقعا^(١)
 الى السرح من وادی المغس بُدلت مامله وبلا ونكباء زعزعا^(٢)

(١) المتربع : منزل القوم في الربع - حلمات اسم موضع قرب مكة - دوارس جمع
 دارس وهو البالي - بلقع : قفر (٢) السرح اسم موضع - وانغمس : موضع قرب
 مكة في طريق الطائف . مات فيه أبو رغال وفبره يرحم لانه كان دلال أثره صاحب
 الفيل - الوبل : المطر - النكباء : الرجم النى تنكب عن هبات الرياح - ورشح : دعرع :
 شديدة . وكذلك زعزاع وزعزوع

فِيخْلَن أَوْ يَخْبِرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا نَكَانَ فَوَادًّا كَانَ قَدَمًا مَفْجَمًا^(١)
لَهْنَدٍ وَأَتْرَابٍ لَهْنَدٍ إِذْ هَوَى جَمِيعٌ وَأَذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا^(٢)
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ

كَصَفَقِ السَّاقِ الرَّحِيقِ الْمُشْعَشَعَا^(٣)

وَإِذْ لَا نَطِيعَ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَوْضِعًا^(٤)
تُنَوِّعُنَّ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقْمُهُ وَحَتَّى تَذَكَّرْتَ الْحَدِيثَ الْمَوْدَّعَا^(٥)
فَقَاتِ لِمُطَرِّهِنَ بِالْحَسَنِ إِنَّمَا

ضُرُوتٌ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا^(٦)

وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَقَدْ كَانَ قَدْ صَحَا فَوَادُّ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوزَعَا^(٧)
وَهَيَّجْتَ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا وَأَشْيَاعَهُ فَاشْفَعُ عَسَى أَنْ تُشْفَعَا^(٨)

(١) نَكَانَ الْحَرْحَ أَدَمَاءُ مِنْ جَدِيدٍ . وَنَكَانَ الْقَلْبَ أَضْرَمَهُ بِالْحُبِّ قَبْلَ أَنْ يَخْبُو بِهِ الْوَجْدُ
(٢) هَوَى جَمْعٌ : مَحْتَمَعٌ وَجَمْعُوعٌ . وَمِثْلُهُ حَيَّ جَمِيعٌ - وَالتَّصَدُّعُ : انْتِفَاقٌ
(٣) صَفَقَ الشَّرَابُ : حَوَّلَهُ مِنْ إِبَاءٍ إِلَى إِبَاءٍ لِيَصْدُقَ - الرَّحِيقُ : الْحَالِصُ مِنَ الْحَمْرِ -
الْمُسْنَعُ : الْمَمْزُوجُ . بِخِلَافِ الصَّرْفِ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَمِزْجَ وَبِخِلَافِ الْمَقْتُولِ وَهُوَ الَّذِي زَادَ
مِزَاجَهُ فَذَهَبَتْ سَوْرَتُهُ . قَالَ حَسَّانُ :

أَنْ التَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدْتَنِيهَا قَتَلْتُ قَتْلَ فِهَاتِهَا لَمْ تَقْتُلْ
كَلَّتَاهَا حَلَبَ الْعَصِيرِ فَعَاظَنِي نَزَجَاجَةً أَرْخَاهَا لِلْمَنْصَلِ

(٤) الْكَاشِحُونَ : الْمُبْغِصُونَ - الصَّرْمُ : الْقَطِيعَةُ (٥) تَنْوَعُنَّ : فَعَلَ . مَبْنًى لِلْمَجْهُولِ

مِنْ النَّعْتِ وَهُوَ الْوَصْفُ - الْمَوْدَعُ : الْمَنْصُونُ (٦) الْأَطْرَاءُ : الْمُبَالَغَةُ فِي الْوَصْفِ

(٧) أَشْرَاءُ فَاسْتَشْرَى : أَغْرَاهُ فَهَاجَ - مُوزَعٌ : مَوْلَعٌ . وَقَدْ رَوَى الْبَيْتَ بِهِمَا مَعَا
كَذَاكَ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ (٨) أَشْيَاعُ الصَّبَا هُمْ إِخْوَانُهُ وَأَوْلِيَاءُ مَا فِيهِ مِنَ النَّزَقِ وَالْجُنُونِ

لَنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى

كَمَثَلِ الْأُولَى أُطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا

فَقَالَ تَعَالِ انْظُرْ فَقَاتِ وَكَيْفَ لِي	أَخَافُ مَقَامًا أَنْ يَشِيعَ فَيَشْنَعُوا ^(١)
فَقَالَ اكْتَفِلْ ثُمَّ التَّمَّ وَأَتَ بَاغِيًا	فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَتَوَرَّعًا ^(٢)
فَأَنْي سَأَخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى	مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيُسْمَعَا
فَأَقْبَتَ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالِ صَاحِبِي	لَمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُودًا مُوَقَّعًا ^(٣)
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلِمْتَ أَشْرَقَتْ	وَجُوهُ زَهَاهَا الْحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا ^(٤)
تَبَاهُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي	وَقَلْنَ أَمْرًا بَاغٍ أَضَلَّ فَأَوْضَعَا ^(٥)
وَقَرَّبَ بَنَ أَسْبَابِ الْهَوَى لِمَتِّمْ	يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلِمًا قِسْنًا إَصْبَعَا

(١) سَع: يَفْجَحُ (٢) اكْتَفَلَ الْعَيْرَ وَكَذَلِكَ أَنَا أَخَذْتُ كَسَاءً فَعِنْدَ طَرَفِهِ ثُمَّ إِلَى مَقْدَمِهِ عَلَى كَاهِلِهِ وَمُؤَخَّرِهِ عَلَى عَجْرِهِ ثُمَّ رَكَبَ بَيْنَ الْعِدَّةِ وَالسَّامِ . وَاسْمُ ذَلِكَ الْكَسَاءِ الْكِفْلُ بِالْكَسْرِ - الْمَاعِي : الطَّالِبُ (٣) أَرْحَى : أَسَوَفُ - بَعِيرٌ مَوْعٍ : أَنَّهُ كَ الرُّكُوبِ فَكَثُرَ آثَارُ الدَّرَسِ عَلَيْهِ . وَحَافِرٌ مَوْعٍ : وَقَعَتِ الْحِجَارَةُ فَفُطِفَ سَانِكُهُ (٤) يَرِيدُ أَنَّهَا وَجُوهٌ مَدْلَةٌ بِجَاهِهَا فَلَا تَتَقَنَّعُ فَتَسْتَرِ سُنَانًا عَنِ الْمَاطِرِ بَيْنَ الْبَهَا - وَفَدَّ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الشَّمَاخُ مِنْ صِرَارٍ إِذْ قَالَ سَفَّ بَاقَتِهِ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعٌ مَدْلَةٌ أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْخَبْرَا

(٥) أَضَلَّ بَعِيرُهُ : ذَهَبَ عَنْهُ - وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى : أَلَّ ، مِنْ الْكِلَالِ وَهُوَ الْإِعْبَاءُ - أَوْصَعُ : أَسْرَعُ

فلما تنازعنا الأحاديث قان لي أخفمت علينا أن نغرّ ونخذعنا
لبالأمس أرسانا بذاك خالداً إليك وبيننا له الشأن أجمعا
فما جئتنا إلا على وفق موعدٍ على ملأٍ منّا خرجنا له معا
رأينا خلاءٍ من عيون ومجاساً دميث الرثبي سهل المحلة ممرعا^(١)
وقلنا كريم نال وصل كرائم فحقّ له في اليوم أن يتمّعا^(٢)

ولعمري في همد شعر كثير ، منه هذه الرائية

يا صاحبيّ ففما نستخبر الدارا أقوت وهاجت لنا بالنعف تذكارا^(٣)
تبدّل الربع ممن كان يسكّمه أدم الظباء به يمشين أسطارا^(٤)
وقد أرى مرةً سرّباً به حسناً مثل الجاذر لم يُمسّسن أبكارا^(٥)
فيهنّ هندٌ وهندٌ لاشبيه لها فيمن أقام من الاحياء أوسارا
هيفاء مقبلةً عجزاء مُدبرةً تخالها في ثياب العصب دينارا^(٦)

(١) دميث : سهل - الرثبي جمع ربوه وهي ما ارتفع من الارض - ممرع : مخصب

(٢) وردت قصه عمر مع هند في الجزء التاسع عشر من الاعاني في أخبار خالد

القسري من طريق آخر يختلف عما أئبتناه بعض الاختلاف

(٣) أقوت : خلب (٤) أدم جمع ادماء وهي التي أسرب لونها بياضا - أسطارا

صفوف . مفردھا سطر . قال ابن مقبل

لهم ظعن سطر تخال رهامها اذا ماحزاهالآل من ساعة نخلا

(٤) السرب بالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها - الجاذر جمع جؤذر وهو

ولد البقر الوحسه (٦) العصب ضرب من البرود يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك

تَفَرَّ عَنْ ذِي غُرُوبٍ طَعْمَهُ صَرَبٌ تَخَالَهُ بَرْدًا مِنْ مَزْنَةٍ مَارَا^(١)

كَأَنَّ عَقْدَ وَشَاحِيهَا عَلَى رِشَاءٍ

يَقْرَوْنَ مِنَ الرُّوضِ رَوْضَ الْحَزَنِ أَثْمَارَا^(٢)

قَامَتْ تَهَادَى وَأَتْرَابٌ لَهَا مَعَهَا

هُوَ نَا تَدَافَعُ سَيْلَ الزُّلِّ إِذْ مَارَا^(٣)

يَمَنَّ مُورِقَةَ الْإِفْكَازِ دَانِيَةً وَفِي الْخِلَاءِ فَمَا يُؤْنَسُ دِيَارَا^(٤)

تَقُولُ لَيْتَ أَبَا الْخَطَّابِ وَاقِفَمَا كَيْ نَاهُو الْيَوْمَ أَوْ تَنْشُدُ أَشْعَارَا^(٥)

فَلَمْ يَرْعُهُنَّ إِلَّا الْعَيْسُ طَالِمَةً

بِحِمَاكِ النَّعْفِ رُكَّابًا وَأَكْوَارَا^(٦)

(١) غروب الاسان ماؤها . ونقول كأن غروب أسانها ومبص البرق - والضرب

العسل الأبيض - مار : سال (٢) يقرؤ : يتبع - والحزن : ما ارتفع من الارض

(٣) سبل الزل هو الذي تنزل منه الاقدام - ومار السبل اندفع (٤) الافكار جمع

فتن بالتحريك وهو الغصن - ماؤنس ديارا : لا يلبثن أحدا . ويقال : مانه داری

وديار ودورى ودبور : ليس فيه أحد (٥) واقفا : صادفنا (٦) النعف ما انحدر

من حزنونة الجبل وارتفع من منحدر الوادى . وهواسم لعدة أما كن منها نعف وداع

ونعف مياسر . ونعف سويقة . الذى يقول فيه الاحوس :

وما تركت أيام نعف سويقة لفلک من سلماتك دبرأ ولا عزما

ولم بين ابن أبي ربيعة النعف الذى يقصده . والمرح أنه يريد نعف محسرو وهو موضع

بن مكة وعرفة . فقد عينه بقوله من كلمة ثابيه :

وفارسٌ يحمل البازي فقلن لها

هاهم أولاء وما أكثرن إكثارا^(١)

لما وقفنا وعَنَّا ركائبنا بُدِّلن بالعرف بعد الرجع إنكارا^(٢)

قلن انزلوا نَعِمْتُ دارُ بقر بكم أهلا وسهلا بكم من زائر زارا

لما أَلَمْتُ بأصحابي وقد هجموا حسبتُ وسط رحال القوم عطارا

من طيب نشر التي تامتك إذ طرقت

ونفحة المسك والكافور إذ ثارا

فقلت من ذا المحيِّ وانتبِيت له وَمَنْ محدَّثنا هذا الذي زارا^(٣)

قالت محبٌ رماه الحب آونةً وهيَّجته دواعي الحب إذ ثارا

مُحَلِّ إزارك سُكِنِي غير صاغرة إن شئت واجزى محباً بادي سارا

ومقالها بالنصف نصف محسر لعتاتهما هل تعرفين المعرضا

هذا الذي أعطى موائق عهده حتى رضى وقلت لي لن يقضيا

والأكوار جمع كور وهو رحل الناقه بأدانه (١) البازي ضرب من الصقور .

وحمل الباري اشارة الى الخروج للصيد (٢) عنا ركائبنا : حبسناها بالأعنه

(٣) يلاحظ أن كلمة «مار» تكررت وكذلك كلمة «زار» وهو عيب في الشعر يسمى

الايطاء ، والعرب يستقبحه لدلالته على ضعف مادة الشاعر . ومن القدماء من أجاره

للعرب وحرمه على المولدين . ومهم من لا يستقبحه الا اذا كثر . على انه ينبغي أن نذكر

ما أشرنا اليه من أن ابن أبي ربيعة كثيراً ما يتسامح في ضوابط الشعر واللغة كما كثر

شعره العصر الاموي

فقد تَجَشَّمْتُ مِنْ طَوْلِ الشَّرَى تَعَبًا

وَفِي الزِّيَارَةِ قَدْ أَبَافْتُ أَعْذَارَا

إِنْ الْكَوَاكِبَ لَا يَشْبَهُنَّ صَوْرَتَهَا وَهَنَّ أَسْوَأَ مِنْهَا بَعْدُ أَخْبَارَا^(١)

وَفِيهَا أَيْضًا يَقُولُ :

هَاجَ الْقَرِيضَ الَّذِي كَرُّ لَمَّا غَدَوْنَا فَاثْبَكُرُوا

عَلَى بَغَالٍ مُشَجَّجٍ قَدْ ضَمِنَ السَّفَرَ^(٢)

فِيهِنَّ هَنْدٌ لَيْتَنِي مَا عُمِّرْتُ أَعْمَرَ^(٣)

حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا حَتَفْتُ أَتَانِي الْقَدْرُ^(٤)

وَمِنْ شَعْرِهِ فِي هَنْدٍ تِلْكَ الْبَالِيَّةُ الَّتِي اسْتَطَالَ بِهَا عَلَى الْحَزِينِ الْكِنَانِي

وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ الثَّرَيَا ، وَالَّتِي كَانَتْ فِيمَا بَعْدَ سَبَبِ الثَّوْرَةِ

الرَّشِيدِ بِالْأَبْرَامِكَةِ ، وَتَمْزِيْقُهُمْ كُلِّ مَمْزُقٍ ، حِينَ دَسَّ إِلَيْهِ خُصُومَهُمْ

مِنْ غَنَائِهِ :

لَيْتَ هَنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ وَشَفْتُ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ

(١) وَمَا هِيَ أَخْبَارُ الْكَوَاكِبِ يَا سَيِّدَا عَمْرُ ! (٢) شَحِجَّ جَمْعُ شَاحِجٍ . وَالسَّحَاجُ :

صَوْتُ الْبَغْلِ (٣) عَمْرُ : عَاشَ طَوِيلًا وَهُوَ مَبْنِي الْمَجْهُولِ . وَمِنْهُ : الْمَعْرُونُ

(٤) يَتِمَعْنَى أَنْ تَكُونَ حَيَاتِهِ وَفَوْقَ حَبَاةٍ مَحْبُوبَتِهِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي حِيرَةٍ نَعِيبٍ أَدَّ يَقُولُ :

أَهْمٌ بَدْعِدَ مَا حَيَبَ فَإِنْ أُمْتُ فَوَاحِرْنَا مِنْ دَايِمٍ بِهَا بَعْدِي

واستبدت مرة واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

فلنذكرها هنا كاملة لاهميتها في الادب والتاريخ — قال

زعموها سألت جاراتها وتمرت ذات يوم تبترد^(١)

أ كما ينعتني تبصرني عمر كن الله أم لا يتند

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

حسداً مُحمّله من أجاها وقديما كان في الناس الحسد

غادة تفتر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو برّد^(٢)

ولها عينان في طرفيهما حور منها وفي الجيد غيد^(٣)

طفلة باردة القيظ إذا مع معان الصيف أضجى يتقد^(٤)

(١) هذه رواية الديوان طبع ليسك . وقد أبتناه فيما سلف كإرواء الاغنى ؛

ولقد قال لجاراتها ذات يوم وتمرت تبترد

وابترد الماء : صه عليه باردا . أو شر به ليرد به كبده ، والمراد المعنى الاول

(٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة — والأشنب : من الشنب بالتحريك وهو برد ورقة

وعذوبه في الاسنان — والاقاحى جمع الاقحوان وهو زهر ابيض يشبه به الاسنان

— والبرد بالتحريك حب التهام (٣) الحور : شدة يباص العين مع شدة سوادها

أو هو اسودادها كلها كما في الظباء ، ولا يكون في الانسان وانما يستعار له — والغيد :

الميل ، وغيد كفرح مالت عنقه ولانت أعطافه . والفيداء : المتنية لنا . وتفايدت : تمايلت

والاغيد من البات الناعم المتنى . والاسان الاغيد هو الذى يتهادى من العومة واللين

(٤) الطفل بالفتح اخرج الناعم من كل شيء — القيظ : الحر . أو هو صميم الصيف .

وقاظ اليوم اشتد حره .

سُخْنَةُ الْمَشْتَى حَافٍ لَلْفَى تَحْتَ لَيْلٍ حِينَ يَغْشَاهُ الصَّرَدُ ^(١)
 وَلَقَدْ أَذْكَرَ إِذْ قُلْتُ لَهَا وَدُمُوعِي فَوْقَ خَدَيْ تَطَرَّدَ
 قُلْتُ مِنْ أَنْتَ فَقَالَتْ أَنَا مِنْ شَفَهُ الْوَجْدَ وَأَبْلَاهُ الْكَمْدَ
 نَحْنُ أَهْلُ الْخَيْفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمُقْتُولٍ قَتَلَنَاهُ قَوَدَ ^(٢)
 قُلْتُ أَهْلًا أَنْتُمْ بِفَيْتِنَا فَتَسْمِينَ فَقَالَتْ أَنَا هِنْدَ
 إِنَّمَا مُضَلَّلٌ قَلْبِي فَاحْتَوَى صَعْدَةً فِي سَابِرِي تَطَرَّدَ ^(٣)
 إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَمَنْ شَيْءٌ أَحَدُ
 حَدَّثُونِي أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقْدًا حَبِذَا تِلْكَ الْعَقْدَ ^(٤)
 كُلَّمَا قُلْتُ مَنَى مِيعَادَنَا ضَحَكْتَ هِنْدُ وَقَالَتْ بَعْدَ غَدَ
 وَيَنْسَابَةُ مَا كَانَ مِنْ سَعَى عَمْرِى إِلَى أَتْرَابِ هِنْدَ نَذَكِرْ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ
 الْأَغَانَى عَنِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ إِذْ قَالَ ^(٥) :

(١) الصرد : البرد (٢) القود : القصاص (٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت
 كذلك - والسابري : ثوب رقيق جيد - والشاعر يصف محبوبته بأنها قناة تتمايل في
 ثوب رقيق (٤) جاء في القرآن الاستعانة « من شر التفائات في العقد » وهن السواحر
 والنفث في العقدة يكون عند الرقية . والشاعر يحدثنا أنها سحرته وأنه بهدأ السحر
 مغتبط جذلان ، والنفث : النفخ ، والنفثاة بالضم ما ينفث المصدور من فيه . وهذا
 من نفاثات فلان : من شعره ، وكانوا يرون الشعر من نفث الشيطان

بلغنى أن الغريض خرج مع نسوة من أهل الشرف ليلا إلى
 بعض المتحدثات من نواحي مكة وكانت ليلة مقيمة ، فاشتقت
 اليهن وإلى مجالسهن ، وإلى حديثهن ، وخفت على نفسى لجماعة كنت
 أطالب بها ، وكان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره ، وكان
 منى قريباً ، فأتيته فقلت له : ان فلانة وفلانة وفلانة ، حتى سميتهن كلهن ،
 قد بعثتني ، وهن يقرأن عليك السلام ، وقد تشوقنا اليك فى ليلتنا
 هذه لصوت أنشدناه فَوَيْسَقُكُ الغريض — وكان الغريض يغنى هذا
 الصوت فيجيده ، وكان ابن أبى ربيعة به معجباً ، وكان كثيراً ما يسأل
 الغريض أن يغنيه ، وهو

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا^(١)
 كأن أحور من غزلان ذى بقر أهدى لها شبهة العيينين والجميدا^(٢)
 قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا لتنكأ القرح من قلب قداصطيدا
 كأننى يوم أمسى لا تكلمنى ذو بغية يبتغى مالىس موجودا^(٣)

(١) معمود : مقبول (٢) ذو بقر : واد بين أخيلة حمى الربرة

(٣) قال الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأصحابه ذات ليلة : أى بيت قلنه العرب أغرل ؟

فقال بعضهم قول حميل :

يموت الهوى منى إذا مالقتها ويحيا إذا فارقتها ويعود
 وقال آخر قول عمر بن أبى ربيعة :

أجرى على موعد منها فتخلفنى فما أملٌ وما توفى المواعيد
 قد طال مَطْلَى لو أن اليأس ينفعنى أو أن أصادف من تلقائها جودا
 فلما أخبرته الخبر قال : لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه
 الى ولكن صوت الغريص ، وحديث النسوة ، ليس له مترك ، ولا عنه
 محيص . فدعا بذيابه فلبسها وقال : امض ! فمضينا نمشى العَجَل حتى قربنا
 منهن . فقال لى عمر : خَفِّض عليك مشيك . فقعات ، حتى وقفنا عليهن ،
 وهن فى أطيّب حديث وأحسن مجلس . فسامنا ، فنهيبنا وتخفّرنا ،
 فقال الغريص : لا عليكى ! هذا ابن أبى ربيعة والحارث بن خالد جاء
 متشوّقين إلى حديثكن وغنائى . فقالت فلانة : وعليك السلام يا ابن
 أبى ربيعة ! والله ماتم مجلسنا الا بك ، اجلسا ، جلسنا غير بعيد ، وأخذن
 عليهن جلايبهن وتقنعن بأخمرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقان لعمر :
 كيف أحسست بنا وقد أخفيما أمرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءنى
 برسالتكن ، وكنت وقيذاً من غلة وجدتها ^(١) ، فأسرعت الاجابة ،
 ورجوت منكن على ذلك حسن الاتابة ، فرددن عليه : قد وجب

كأنتى حين أمسى لانسكلمنى دو نعبة دى ما لى موحودا
 فقال الوليد حسبك والله بهدا ! (١) الوفيد كالموقود هو الشدود المرص المنشرف
 على الهلاك

أجرك ، ولم يحب سميك ، ووافق منا الحارث إرادة . فحدثهن بما
 قلت له من قصة غناء الغريض فقال النسوة : والله ما كان ذلك
 كذلك ، ولقد نهتنا على صوت حسن ، يا غريض ! هاته ! فاندفع
 الغريض يغنى ويقول :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
 حتى أتى على الشعر كله ، إلى آخره ، فكل استحسنه ، وأقبل
 على ابن أبي ربيعة فجزاني الخير ، وكذلك النسوة ، فلم نزل بأنعم
 ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ، فقمنا جميعاً ، وأخذ النسوة
 طريقاً ، ونحن طريقاً ، وأخذ الغريض معنا ، وقال عمر في ذلك :

هل عند رسم برامةٍ خبرٌ أم لا فأى الأشياء تنتظر
 وقفت في رسمها أسائله والدمع مثل الجمان مُنحدر
 قد ذكرتني الديار إذ درست

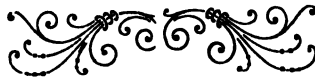
والشوق مما يهيجهُ الذِّكْرُ

لأنسَ طَولَ الحياة ما بقيت بطيبةٍ روضة لها شجر
 ممشى فتاة إلىّ تخبرني عنهم عشاءً يبعث ما ائتمروا
 ومجلس النسوة الثلاث لدى الخيمات حتى تبأج السَّحَر

فيهن هند والهم ذكرتها تلك التي لا يرى لها خطر^(١)
 ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهن لو طال ليانا وطر
 وقولها للفتاة إذ أرف ال بين أغادٍ أم رانحٍ عمر
 عجلان لم يقض بعض حاجته ألا تأنّي يوماً فينتظر
 الله جارئ له وإن نزحت دار به أو بدا له سفر

* *

وإلى هنا نكتفي بما قدمنا للقارئ من أخبار الملاح ، وإن يكن
 للحديث بقايا أطيب من عبث الشباب على ضفاف النيل !



رائية ابن أبي ربيعة

لقد بحثنا لنعرف فيمن قيات هذه القصيدة ، ولكننا لم نصل
بعد إلا إلى فروض بعضها يشبه اليقين . فمن الممكن أن تكون
قيات في عائشة بنت طاحه كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، فقد سهرت
ليلة لهم ألم بها فقالت : إن ابن أبي ربيعة لجاهل بإيلتى هذه حيث
يقول :

وأعجبها من عيشها ظلُّ غرفة وريّان ملثف الحدائق أخضر
ووال كفها كل شيء يهوها فليست لشيء آخر الليل تسهر
وقد قلنا إنه لو لم يعنها بهذه الإشارة لما رجعت لها حين قهرها
الحزن في هدأة الليل .

ولكن أستاذنا الدكتور طه يرى أنها إنما تمتث بهذا الشعر
لا أكثر ولا أقل . وفي الحق أن ما في القصيدة من الحوادث يُبعد
أن تكون قيات في عائشة بنت طاحه ، وإن لم يبعد أن يكون الشاعر
عناها ببعض أطراف الحديث ، فقد نهاه قومها عن ذكرها في شعره
وحمله وعيدهم على الاكتفاء بالتلميح

وقد ذكر صاحب الأغاني أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله

ابن عباس شعرد في الثريا ، فلما عدنا إلى حديث عمر مع ابن عباس وجدناه
لم ينشده إلا قصيدتين : أولاهما داليتة :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غدٍ أبعدُ
وأخراهما رائيته :

أمن آل نعم أنت غاد فبكرٍ غداة غد أم راحٍ فهجّر
أما الدالية فقد ذكر أنه قالها في فاطمة بنت محمد بن الأشعث
الكنندية ، ولم يقل فيمن قال الرائية : أفنحسبه قالها في الثريا ؛ المقدمات
ترجح ذلك ، ولكنها لا تفيد اليقين .

وقد نص صاحب الأغاني في الجزء الرابع^(١) أن قالها في امرأة
من قریش يقال لها نُعم كان كثيراً لذكرها في شعره ، وكانت تكنى
أم بكر وهي من بني مُجَح . ويؤيد هذا أن الشاعر ذكر نُعمًا هذه
في القصيدة ، وإن لم يبعد أن يكون نَتَى غيرها في أثناء القصيد



وقد حاولنا التثبت من نعم التي قيات فيها هذه الرائية فلم نجد
غير أخبار مقتضبة : منها أن ابن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين

بِفَنَاءِ الكعبة فمرت بهما امرأة من آل أبي سفيان فدعا عمر بكتاب
فكتب إليها وكنى عن اسمها

أَلِمَّا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَطَلَعَا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ وَدَهَا أُمُ تُصَرَّمَا
وَقُولَا لَهَا إِنَّ النُّوَى أَجْنَبِيَّةٌ^(١) بِنَا وَبِكُمْ قَدْ خَفْتُ أَنْ تَتِيَمَمَا^(٢)
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : سَبَّحَانَ اللَّهِ ! مَا تَرِيدُ إِلَى امْرَأَةِ مُسْلِمَةٍ
مُحَرِّمَةٍ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا مِثْلَ هَذَا ! قَالَ : فَكَيْفَ بِمَا قَدْ سَيَّرْتَهُ فِي النَّاسِ
مِنْ قَوْلِي :

لَقَدْ حَبَّبْتُ نَعْمٌ إِلَيْنَا بَوَاجِهَا مَسَاكِنَ مَا بَيْنَ الْوَتَائِرِ وَالنَّقْعِ^(٣)
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَاتُ نَاقِي كَلَّفَهَا سِيرَ الْكَلَالِ مَعَ الظُّلَمِ^(٤)
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ يَوْمَ لَقِيَتْهَا بِمَنْدَفِعِ الْأَخْبَابِ أَخْضَلَنِي دَمْعِي^(٥)
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ آلَفَ مَنَزَلًا أَحْلَ بِهِ لَا ذَا صَدِيقٍ وَلَا زَرْعٍ

(١) أجنبه : عصبية سمعه المراس (٢) الوتائر : موضع بين مكة والطائف - والنقع :
موضع قرب مكة في جنبات الطائف - ذكره العرجى اذ يقول :

لَحِينِي وَالْبَلَاءُ لَقَبَ ظَهْرَا بِأَعْلَى الْقَعِ أَخْبَنِي تَمِيمَ
فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ عَيْنَايَ مِنْهَا أَسْبَلَ الْحَدَمَ مِنْ خَلْقِ عَمِيمِ
حَتَّى أَتْرَاهَا دُونِي عَلَيْهَا حَنُوَ الْعَائِدَاتِ عَلَى السَّقِيمِ

(٣) الكلال : الإعياء - الظلم : الغمز في المشي أو هو العرج (٤) الأخباب : موضع
قرب مكة ، وقيل بلد يجنب السوارقه من ديار بني سليم - وأخضله الدمع : بلله

ومن أجل ذات الخال عدت كأني مخامر داء داخل أو أخور ربع^(١)
أما بذات الخال ان مقامها لدى الباب ز دال القاب صدعا على صدع
وأخرى لدى البيت العتيق نظرتها إليها تمشت في عظامي وفي سمعي
وحدث مصعب بن عبد الله أن عمر وافقها وهي تستلم الركن ،
فقرب منها ، فلما رآته تأخرت وبعثت إليه جارية فقلت له : تقول
لك ابنة عمك : إن هذا مقام لا بد منه كما ترى ، وأنا أعلم أنك ستقول
في موقفنا هذا ، فلا تقولن هُجرا^(٢) . فأرسل إليها : لست أقول إلا
خيراً . ثم تعرض لها وهي ترمي الجمار فأعرضت عنه واستترت فقال :
دين هذا القلب من نعم بسقام ليس كالسقم
إن نأما أقصدت رجلاً آمناً بالخيف إذ ترمي
وحدث مصعب أيضاً أنه قيل لعمر بن أبي ربيعة : ما أحب شيء
أصبتَه إليك ؟ قال : بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقتني رسول
مصعب بن الزبير بكتابته يقول : انه قد وقعت عندنا أثواب مما
يشبهك وقد بعثت بها إليك وبدنانير ومسك وطيب وبغلة . قال : فاذا
(١) خامر الداء لازمه - والرعب بالكسر الحمى يأخذ بوما وبدع يومين ثم تجيء في
اليوم الرابع (٢) الهجر بالضم الفحش . ويقال : من أكثر أهجر . أى نطق بالهجر .
ورماد بالهـ الجرات والمهجرات : بالفواحش . والهـ جرات : الكلمات الى فيها فحش .

بشباب من وشى وخزّ العراق لم أر مثلهما قط ، وأربعمائة دينار ومسك وطيب كثير وبغلة ، فلما أصبحت لبست بعض تلك الثياب ، وتطيبت ، وأحرزت الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لاعمّ لى قد أحرزت نفقة سنّى ، فما أفدت فائدة كانت أحبّ إلىّ منها ، وقلت فى ذلك :

ألا أرسلت نعمّ إلينا أن اتنا فأحبّ بها من رُسل ممصّب^(١)
فأرسلت أن لا أستطيع فأرسلت توكدّ أيمان الحبيب المؤنّب
فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل عليه بحزم وانظر الشمس تغرب
واسرج لى الدهماء واعجل بمطرى

ولا يعلمن خاق من الناس مذهبي^(٢)
وموءدنا البطحاء أو بطن يأجيج

أو الشعب ذو المسروح من بطن مغرب^(٣)
فلما التقينا سلمت وتبسمت وقالت مقال المعرض المتجنّب
أمن أجل واش كشح بنميمة مشى بيننا صدقته لم تكذب

(١) المتعصب: الذى شد العصابة وتقنع (٢) الدهماء: يرد بها الفرس. من الدهمة وهى السواد - والمطر والمطرة بكسرها ثوب صوف يتوقى به من المطر (٣) البطحاء فى الاصل المسيل الواسع فيه دقاق الحصى ، وهو اسم لعدة مواضع منها بطحاء مكة - يأجيج: مكان على ثمانية أميال من مكة

قطعت جبال الوصل منا ومن يطعم بذى وده قول المحرّش يعتب (١)
 قبات وسادى رثنى كفى مخضّب معاود عذب لم يكدر بمشرب
 إذا ملت مالت كالكثيب رخيمة منعمة حسانة المتجلبب (٢)
 وحدث أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة بلغه أن نهما اغتسلت في غدير
 فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضب . ولعل هذا الحديث من
 أظرف ما صاغ الخيال !

وقد روى أنها استقبلت عمر في المسجد الحرام وفي يدها خَلُوق
 من خَلُوق المسجد (٣) فسحت به ثوبه ومضت وهي تضحك ، فقال :
 أدخل الله ربُّ موسى وعيسى جنة الخلد من ملأني خَلُوقاً
 مسحته من كفهما في قميصي حين طافت بالبيت مسحاً رفيقاً
 غضبت أن نظرتُ نحو نساء ليس يعرفنني سالكن طريقاً
 وأرى بينها وبين نساء كنت أهدى بهن بوناً صحيحاً (٤)

ومن جيد شعره في نعم هذه الأبيات
 أيها القلب لا أراك تُفِيقُ طالما قد تملكتك العَلُوق

(١) المحرّش : المحرّص على الفساد (٢) الحسانه بالضم الجميلة

(٣) الخَلُوق : ضرب من الطيب (٤) بون صحيح : فرق بعيد

هل لك اليوم إن نأت أم بكر وتولت إلى عزاء طريق
 من يكن من هووى حبيب قريباً
 فأنا النازح البعيد السحيق^(١)

قدّر الحب بيننا فالتقينا وكلانا إلى اللقاء مشوق
 فالتقينا ولم نخف مالتقينا ليلة الخيف والنى قد تسوق
 وجرى بيننا فجدة وصلّا حوّل قلب اللسان رفيق
 لا تظنى أن التراسل والبذ ل لكل النساء عندي يليق
 إن منهن للكرامة أهلا والذي يبنهن بون سحيق

* *

أسلفنا أن عمر أنشد ابن عباس رائيته ، فلنذكر ما رواه صاحب
 الأغاني في ذلك ، قال :

بيننا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق
 وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين
 موردين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا
 فأنشده .

(١) ذكر صاحب الأغاني أن هذا البيت ليس من شعر عمر بل أضافه المغنون

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم راح فهجّر
 حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله
 يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك
 عن الحلال والحرام فتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مُتَرَف من مترى قريش
 فينشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر
 فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :
 رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضعى وأما بالعشى فيخصر

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ! قال : أجل ! وإن شئت
 أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها . قال : فاني أشاء ، فأنشده القصيدة
 حتى أتى على آخرها — ولأمه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة فقال :
 إنا نستجيدها .

وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى
 شيئاً بعدنا ؟ ^(١)

(١) حديث عمر مع ابن عباس روى من طرق مختلفة وعلى صور متعددة . وما
 أثبتناه هو أوضح صور ذلك الحديث

ولم يقف أثر هذه القصيدة عند إعجاب ابن عباس ، فقد أنشدها عمر طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب فوقف وما زال شائفاً بغلته حتى كتبت له . وكان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعر تهامى^١ إذا انجد وجد البرد ، حتى أنشد أبياتاً من هذه القصيدة فقال : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

وقال الرشيد للأصمعي : أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوّح السفر ، فأنشده :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحي وأما بالعشي فيخصر^٢

أخاسر جواب أرض تقاذفت به فلوات فهو أشعث أغبر قليلاً على ظهر المطية رحله^٣ سوى ما نقي عنه الرداء المحبّر

فقال الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . وكان هذا بمقب قدومه من بلاد الروم . فهذا دليل على أن أولئك الرجال كانوا يرون أنفسهم وحوادثهم مصورة في هذه القصيدة

وكان ابن أبي ربيعة نفسه يراها من خير شعره ، فقد حجّ في سنة من السنين ، فلما انصرف من الحج لقي الوليد بن عبد الملك وقد فُرش له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه فسلم عليه ، وجلس إليه ، فقال له

أنشدني شيئاً من شعرك . فقال يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولى غلامان هما عندى بمنزلة الولد ، وهما رويان كل ما قلت وهما لك ، قال : إئتني بهما . ففعل . فأنشدها هذه الرائية ، فطرب الوليد واهتز لذلك ، ولم يزل ينشدانه حتى قام ، فأجزل صلته ورد الغلامين إليه ونحسب أن ما أسلفناه يكفي للتمهيد لهذه القصيدة ، فلنقدمها للقارئ مصحوبة بالشرح والتفسير — قال :

أمن آل نَعَمْ أنت غاد فبكر غداة غَدٍ أم رَائِحٌ فهِجْرٌ^(١)
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتُبَلِّغْ عذراً والمقالة تُعْذِرُ^(٢)
تهميم إلى نعم فلا الشمل جامعٌ

ولا الحبل ، وصل ولا القلب مُقْصِر

ولا قرب نَعَمْ إن دنت لك نافع ولا نأيتها يُسْلِي ولا أنت تصبر
وأخرى أنت من دون نعم ومثاها نهى ذا النهى لو ترعى أو تفكر^(٣)

(١) غاد فبكر : من الغدوة والبكرة وهما الوقف بين طهور الفجر وطلوع الشمس . وفي القاموس : بكر عليه والبه وفبه بكورا . وبكر . واستكر . وأبكر . وبأكره : أناه بأكره . وكل من بادر إلى شيء فقد أسكر إليه فى أى وقت كان — والرائح : الذى يسير فى الرواح وهو العشى أو من الزوال إلى الليل . والمهجر الذى يسير فى الهجرة وهي شدة الحر (٢) تعذر : تظهير العذر (٣) النهى بالضم العقل . وبكون جمع نهية بالضم أيضاً وهي العقل — وارعوى الرحل أقصر عن غيره

إذا زرت نهما لم يزل ذو قرابة لها كلما لاقيتها يتنمر^(١)
 عزيز^(٢) عليه أن ألم^(٣) بيتها يسر^(٤) على الشحنةاء والبغض مظهر^(٥)
 ألكنى إليها بالسلام فانه يُشهر^(٦) إلماى بها وينكر^(٧)
 بآية ما قالت غداة لقيتها بمدفع أكنان^(٨) أهذا المشهر^(٩)
 أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المغيرى^(١٠) الذى كان يذكر^(١١)
 أهذا الذى أطريت^(١٢) نعتاً فلم أكن وعيشك أنساء إلى يوم أقبر^(١٣)
 فقالت نعم لاشك غير^(١٤) لونه سرى^(١٥) الليل يحى نصه والتهجر^(١٦)
 لأن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير^(١٧)

(١) يتنمر : يغضب ويشور ، والفعل فى الأصل مأخوذ من التشبه بالتمر لانه لا يلقى
 الا متسكراً غضبان (٢) ألم بيتها : أنزل به أو أمر عليه والشحنةاء : العداوة، وشاحنه : باغضه
 (٣) ألكنى إليها : احم إليها ألوكتى ومألكتى وهي الرسالة - ويشهر : يذاع ،
 يقال شهر بكذا واشتهر به واشتهر وشهره وشهره فهو مشهور وشهير ومشهر

(٤) مدفع اكنان : اسم موضع والمدفع فى الاصل مجرى الماء حيث يندفع السيل
 ويجمع على مدافع ، ومنه مدافع الريان فى قول لبيد

فمدافع الريان عرى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

(٥) هكذا روى صاحب الاغانى الشطر الاول من هذا البيت وفى الديوان « فنى
 فانظرى أسماء هل تعرفينه » والظاهر أن رواية الاغانى اصح اذ عرفها المتقدمون
 كذلك حيث قال حمير : امرأته طالق ان كانت أشارت اليه بمدراها الا لتفقأ بها
 عينه الخ (٦) الاطراء : حسن التواء ، والنعت : الوصف (٧) نص السرى :
 اسراعه - والتهجر : السير فى الهاجرة وهي شدة الحر

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحي وأما بالمشي فيخصر^(١)

أخاسفر جواب أرض تقاذفت به فلوات^(٢) فهو أشعث أغبر^(٣)

قليل^(٤) على ظهر المطية ظلّه سوى مانق عنه الرداء المحبر^(٥)

وأعجبها من عيشها ظل غرفة^(٦) وريّان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفها كل شيء يههما فليست لشيء آخر الليل تسهر



وليلة ذي دوران جشميني الشرى وقد يجشم الهول المحب المغرر^(١)

فبت رقيباً للرفاق على شفا^(٢) أجازر منهم من يطوف وأنظر^(٣)

إليهم متى يستمكن النوم منهم^(٤) ولي مجلس^(٥) لولا اللبانة أوعر^(٦)

وباتت قلوصى بالعرء ورحلها لطارق ليل أو لمن جاء معور^(٧)

(١) يضحى : تعسيه الشمس - ويخصر : يصيبه الخصر بالتحريك وهو البرد

(٢) جواب أرض : من الجوب وهو القطع - والفلوات جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة

(٣) المحبر : المحسن الجميل (٤) ذو دوران يفتح فسكون موضع بين قديد والجحفة

والتجشيم التكليف (٥) على شفا : على حذر (٦) اللبانة : الحاجة - والاوعر : من الوعورة

وهي الحشونة (٧) القلوص : الناقة الفتية - والعرء : الفضاء - ومعور : ظاهر يقال :

أعور الفارس إذا بدا منه موضع خلل للضرب

وبت أناجى النفس أين رجاؤها وكيف لما آتني من الأمر مصدر^(١)
 فدلّ عليها القلب ريتا عرفتها لها وهوى النفس الذى كاد يظهر^(٢)
 فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصاييح شبت بالمشاء وأنور^(٣)
 وغاب قمر كنت أهوى غيوبه وروح رعيان ونوم سمر^(٤)
 وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ حجاب وشخصى خشية الحى أزور^(٥)
 خفيت إذ فاجأتها فتولت وكادت بمخفض التحية تجهر^(٦)
 وقالت وعضت بالبنان فضحتنى وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر^(٧)
 أريتك إذ همتا عليك ألم تخف وقيت وحولى من عدوك خضر
 فوالله ما أدرى أعجيل حاجة سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
 فقلت لها بل قاذى الشوق والهوى إليك وما نفس من الناس تشمر

(١) المصدر يقابل المورد، وموارد الأمور : طرق الاقبال عليها . ومصادرها مسالك الانصراف عنها . والساعر يذكر كيف بات حيران لا يدري كيف يصدر اذا قدر له الورود (٢) الريا : هي الريخ البالغة التى رويت من الطيب . قال المتلمس :

فلو أن محموا بنجير مدنفا نشق رياها لأقلع صالبه

(٢) انور : جمع نار (٣) روح الرعيان عادوا الى بيوتهم - ونوم : نام، والتضعيف للبالغة لالتعديّة، ومثله قول ابن مقبل

ثم نومن ونمنا ساعة خضع الطرف سجودا في الخطم

(٤) والسمر : الذين يتحدثون بالليل (٥) الحجاب كغراب الحية - وأزور : مائل

(٦) تولت : قهرها الحزن (٧) تريد أن يسره عسر اذ كان هدفا للوقاء

فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَخَ رَوْعَهَا . كَلَّاكَ بِحَفْظِ رَبِّكَ الْمُتَكَبِّرِ^(١)
 فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَابِ غَيْرِ مُدَافِعٍ عَلَى أَمِيرٍ مَا مَكُنْتَ مُؤَمَّرٌ
 فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ تَقْاصِرُ طَوْلَهُ وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
 وَيَاكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ لَنَا لَمْ يَكْدِرْهُ عَيْنَا مَكْدَرُ
 يَمِجُّ ذِكِّي الْمَسْكَ مِنْهَا مَفْلَجٌ نَقَى الثَّنَايَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَسَّرٌ^(٢)
 تَرَاهُ إِذَا مَا افْتَرَّ عَنْهُ كَأَنَّهُ حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحَوَانَ مُنَوَّرٌ^(٣)
 وَتَرُونَهُ بَعِينِيهَا إِلَى كَمَا رَنَا إِلَى ظَلِيَةِ وَسْطِ الْحِمْلَةِ جُوْدَرٌ^(٤)

فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمُهُ تَتَغَوَّرُ^(٥)
 أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ عَزُورٌ^(٦)

(١) أفرخ روعها: هدا قلبها، والروع بالضم القلب، وفي أساس البلاغة للزخشي
 «أفرخ روعك: أي خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ. قال:

وقل للفؤاد ان نزابك نزوة من الروع أفرخ أكثر الروع باطله
 وهذا ظاهر وأما أفرخ روعك فيمن رواء بالفتح فوجهه أن يربد زوال ما يتوقعه
 المرتاع وإذا زال ذلك انقلب الروع أمنا»

(٢) مسك ذكي: سامع الرائحة - وثغر مفلج وأفلاج من الفلج بالتحريك وهو
 تباعد ما بين الأسنان - وغرب الثغر ماؤه وبريقه - ومؤسر: فيه أسر وهو حسنة
 وتحزيز أطرافه (٣) الأفحوان: زهر أبيض تشبه به الأسنان (٤) ترنو: تنظر في
 رقة وتكسر - والحملة: الموضع الكثير الشجر - والجوذر: هو ولد الظلية والبقرة
 الوحشية (٥) تتغور: تغيب (٦) عزور: ثنية بين مكة والمدينة. وقيل: جبل مقابل
 رضوى. وقد ورد ذكره في رائية لأخرى اذ يقول:

فما راعني إلا مُنادٍ ترحلوا

وقد لاح معروفٌ من الصبح أشقر^(١)

فلما رأت من قد تنبه منهم وأيقاظهم قالت أشير كيف تأمر

فقلت أباديهم فامّا أفوئهم وإما ينال السيّف ثاراً فيثأر^(٢)

فقلت أتحميقاً لما قال كاشحٌ علينا وتصديقاً لما كان يؤثر^(٣)

فإن كان مالا بد منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقصُّ على اختي بدء حديثنا ومالي من أن تعلماً مُتأخراً^(٤)

لعلها أن تطلباً لك مخرجا وان ترحبا سرباً بما كنت أحصر^(٥)

فقامت كئيباً ليس في وجهها دم من الحزن تذرى عبرةً تتحدّر^(٦)

فقامت إليها حُرّتان عليهما كساءً أن من خزٍ دمقسٍ وأخضر^(٧)

فلما أضاء الفجر عنا بدانا ذرى النخل والقصر الذى دون عزور

فقلت اعتزل زل الطريق فاننا متى نر تعرفنا العيون فنشهر

(١) الأشقر هو الذى تلو بياضه حمرة (٢) أباديهم : أجاهرهم بالعدوان

(٣) الكاشح : المبعض - يؤثر : ينقل ، ومنه الحديث المأثور (٤) متأخر : تأخر ، فهو

مصدر جاء على وزن اسم المفعول . قال دعبل

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم

(٥) السرب بالفتح الطريق ، ومنه أطلق الأسير وخلا سربه - وأحصر : من الحصر

وهو الضيق ، والمراد من رحب السرب هنا سعة الحيلة في العمل للخلاص (٦) كئيب :

من الكآبة وهى الحزن (٧) الدمقس : الديباج

فَقَالَتْ لِأَخْتِهَا أُعِينَا عَلَى فِى أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدِّرُ
فَأَقْبَلْنَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَا أَقْلَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشَى بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُظْهِرُ^(١)
فَكَانَ مَجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقِي ثَلَاثُ سُخُوصٍ كَأَعْيَانٍ وَمُعْصَرُ^(٢)

* *

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قَلْنَ لِي أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرُ^(٣)
وَقَلْنَ أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا أَمَا تَسْتَحْيِ أَوْ تَرْعَى أَوْ تَفَكِّرُ^(٤)
إِذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرَفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا

لَكِي يَحْسَبُوا أَنَّ الْهُوَى حَيْثُ تَنْظُرُ^(٥)
فَأَخَّرَ عَهْدِي لِي بِهَا حِينَ أَعْرَضْتُ وَلاَحَ لَهَا خَدُّهُ نَقِيٌّ وَحَجَرٌ

(١) يَفْشُو : يَذِيعُ (٢) المَجْنُ والمَجْنَةُ : التَّرْسُ والكَاغِبُ هِيَ الَّتِي نَهْدَتْ بِهَا -
وَالْمُعْصَرُ : هِيَ الَّتِي بَلَغَتْ تَمَامَ النِّسَابِ وَأَدْرَكَتْ (٣) جَازَ الْمَوْضِعَ وَأَجَارَهُ وَجَاوَزَهُ :
سَارَ فِيهِ وَخَلْفَهُ (٤) السَّادِرُ : الَّذِي لَا يَهْتَمُّ وَلَا يَبَالِي مَا مَنَعَ - وَارْعَى الرَّجُلُ :
رَجَعَ عَنْ غِيهِ (٥) حَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارْسِيُّ هَذَا الْبَيْتَ فَرَوَاهُ هَكَذَا

وَطَرَفَكَ إِذَا جِئْتَنَا فَاحْبِسْنَاهُ كَمَا يَحْسَبُونَ أَنَّ الْهُوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
لِيَصِحَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ «كَمَا» أَصْلُهَا «كَيْمَا» فَخُذَتْ إِلَيْهَا . فَتَعَبَهُ ابْنُ مَالِكٍ فَقَالَ : هَذَا
نَكَلْفُ بَلْ هِيَ كَافُ التَّعْلِيلِ وَمَا الْكَافَةُ ، وَنَصَبَ الْفِعْلَ بِهَا لِشَبْهِهَا بِكَى فِي الْمَعْنَى وَهَذَا
الْبَيْتُ بَعْدَ تَحْرِيفِهِ يَذْكُرُ بِقَوْلِ جَمِيلٍ :

وَطَرَفَكَ إِذَا جِئْتَنَا فَاحْفَظْنَاهُ فَزَيَّغِ الْهُوَى بِأَدْلَمَنِ يَتَبَصَّرُ
وَأَعْرَضْ إِذَا لَاقَيْتَ عَيْنًا تَحَافَهَا وَظَاهِرُ بَغْضٍ إِنْ ذَلِكَ أَسْتَرُ
رَاجِعُ حَرَفُ الْكَافِ فِي الْمَعْنَى وَحَوَاشِيهِ

سوى أننى قد قلت يا نعم قوله لها والعناق الأرحيات تُزجر^(١)
 هنيئاً لأهل العامرية نشرها الله - ذيد وريثاها التى أتذكر^(٢)
 فقمتم إلى عَنَسٍ تَخَوَّنَ نِيَمَهَا سُرَى الليل حتى لهما متحسر^(٣)
 وحسبى على الحاجات حتى كأنها بقية لوح أو شجار مؤشر^(٤)

وماء بمومةٍ قليلٍ أنيسه

بسابس لم يحدث به الصيف محضر^(٥)

به مُبْتَنًى للعنكبوت كأنه على طَرَفِ الارحاء خامٌ منشَر^(٦)
 وردت وما أدرى أما بعده، وردى من الليل أم ما قدمضى منه أكثر
 فقمتم إلى مغلاة أرض كأنها إذا التفتت مجنونة حين تنظر^(٧)
 تنازعنى حرصاً على الماء رأسها ومن دون ما تهوى قلبٌ مُعَوَّر^(٨)

(١) الارحيات : نسبة الى أرحب . وهو فحل ، أو قبيلة من همدان (٢) النشر
 الرائحة الطيبة وميله الريا (٣) العنس : الناقة الصلبة القوية . والنى : السحيم .
 والمتحسر الذى أضواء الدبر (٤) الشجار : خشبة يضرب بها السيرير . وعود يجعل في
 فم الجدى لئلا يرضع . والمؤشر : المرقق ، وأسر الحشب بالمئسار شقه (٥) المومة :
 الفلاة - والبسابس جمع بسبس وهو القفر الخالى (٦) الحام الحلد لم يدبغ ، أو لم يبلغ في دبغه
 (٧) مغلاة : قاطعة (٨) القلب : البئر قبل الطى ، فاذا طويت فهي الطوى . والقلب
 في الاصل التراب المقلوب . والقلب المعور : المطموس ، من قولهم : عور عين الركية
 اذا كبسها وأفسدها حتى نصب الماء . أو هو الممنوع ، من قولهم : عورت عن الماء اذا منعه

محاولة للماء لولا زمامها وجذبي لها كادت مراراً تنكسر
 فلما رأيت الضر منها وأنى ببلدة أرض ليس فيها مُعَصَّرٌ^(١)

قصرت لها من جانب الحوض منشأ
 جديداً كقَابِ الشبر أو هو أصغر^(٢)

إذا شرعت فيه فليس مللتقى
 مشافرها منه قَدَى الكف مُسَارٌ^(٣)

ولا دَلُوْ إلا القَعْبُ كان رشاءهُ
 إلى الماء نِسْعٌ والأديم المضفر^(٤)

فسافت وما عافت وما ردّ شربها
 عن الرى مطروق من الماء أكدر^(٥)

(١) المعصر: الملجأ والنجاة (٢) القاب: المقدار (٣) قدى الكف وقيدته بالكسر: قدره - والمسار: الباقي. وأسأره: أبقاه، من السور بضم فسكون وهو البقية والفضلة، ويقال للمرأة التي جاوزت السباب ولم يهرمها الكبر: ان فيها لسورة. قال حميد بن ثور:

إزاء معاش ما تحمل إزارها من الكيس فيها سورة وهي قاعد
 والمشافر جمع مشفر، وهو للبعير كالشفة للإنسان. وشرعت الناقة في الماء: وردته، من الشريعة وهي مورد الشاربة

(٤) القعب: القدح الضخم - والرشاء: الجبل. والنسع بالكسر: سير ينسج عريضا على هيئة أعنة النعال تنسد به الرحال، والقطعة منه نسعة. والأديم: الجلد (٥) سافت من السوف وهو الشم. يقال سافه واستافه إذا شمه.

لامية جميل

مرت الإشارة إلى هذه القصيدة في المحاضرة الثالثة ، ولكننا رأينا أن نثبتها هنا بجانب رائية عمر ، ليرى القارئ إلى أى حد صدق من قال : إن عمر أشعر من جميل في الرائية ، وإن جيلا أشعر منه في اللامية . وقد بحثنا عن نسخة كاملة لهذه القصيدة ، فلم نجد غير ما أثبتته صاحب الاغانى في ترجمة جميل ، ثم حاولنا الموازنة بين القصيدتين فلم نجد ما يبرر وضعهما في الميزان ، إذ كانت رائية عمر أجمل بلا مرأ . وجاء في الاغانى في أخبار الغريض : قال الزبير فيما اخبرنى به الحرمى ابن أبى العلاء عنه : من الناس من يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر . وأنا لا أقول هذا ، لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤلفة ، فيها طوالع النجد ، وخوالد المهدي ، وقصيدة عمر بن أبى ربيعة ملساء المتون . مستوية الأبيات ، آخذ بعضها بأذنان بعض ، ولو أن جيلا خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه ، وعثر كلامه به — قال جميل :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى

بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلاً يا جميلُ وإني لأقسمُ مالى عن بُثينة من مهل
أَحِلماً فقبل اليوم كان أوانه
أم أخشى فقبلَ اليوم أُوعدت بالقتل
لقد أنكمحوا جهلاً « نبيها » ظمينةً
لطيفةً طيَّ الكشح ذات شوًى خدل^(١)
وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ لا آخرَ لم يعمد بكف ولا رجل



ألا أيها البيت الذى حيلَ دونه بنا أنت من بيت وأهلك من أهل
ثلاثة أيبات فبيتٌ أحبه وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى
إذا ما تراجعنا الذى كان بيننا

جرى الدمع من عينيْ بُثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكى صباة إلى إلفه واستعجلت عبدةً قبلى
أيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها
واهل قريب موسعون ذوو فضل^(٢)

(١) نبيه: اسم علم، وهو نبيه بن الأسود العذرى - الكشح: الخصر، الشوى: الأطراف

(٢) الهلاك: الصعاليك الذين يتأبون الناس ابتغاء معروفهم

فلو تركت عقلى ممي ما طلبتها ولكن طلايها لما فات من عقلى

فيا ويح نفسي حسب نفسى الذى بها

ويا ويح أهلى ما أصيب به أهلى

وقالت لا تراب لها لا زعانف قصار ولا كُسُّ الثنايا ولا تُمل^(١)

إذا حميت شمس النهار اتقيتها بأ كسية الديباج والخز ذى الحمل^(٢)

تداعين فاستمعجن مشياً بذى الفضأ

ديب القطأ الكُذرى^(٣) فى الدمث السهل^(٤)

إذا ارتعن أو فُزَّعن أو قن حولها قيام بنات الماء فى جانب الضحل^(٥)

أجدى لا ألقى بثينة مرة من الدهر إلا خائفاً أو على رحل

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلى؟

على أن من الحق أن نكرر ما أشرنا اليه فيما سلف من أن عمر

(١) الزعانف جمع رغفة بالكسر والفتح وهى القصيرة - كس: جمع كساء وأكس

من الكسس بالتحريك وهو قصر الاسنان - مل جمع نعلاء وأمل من الثعل بالتحريك وهو زيادة سن أو دخول سن تحت سن مع اختلاف المنابت

(٢) الحمل: الهدب (٣) الكدرى ، كما فى القاموس ، ضرب من القطأ غير

الالوان رَقش الظهور صفر الحلو (٤) الضحل: الماء القليل على الارض لا عمق له ويجمع على أضحال وضحول وضحال

أقل صدقاً في الصبابة من جميل ، فإن لم تشهد هذه اللامية على سبقه فله قصائد ومقطوعات تجمله في الطراز الأول بين أصحاب العواطف والقلوب . أليس هو الذي يقول :

لما دنا البين بين الحى واقتسموا حبلى النوى فهو فى أيديهم قِطْعُ
جاءت بأدمعها ليلى وأعجبنى وشك الفراق فما أبقى وما أدع
ياقلب ويحك ما عيشى بذى سلم ولا الزمان الذى قد مرّ مُرتجع
أكلما بان حى لا تلامهم ولا يبالون أن يشتاق من فجموا
عاقمتى بهوى مُردٍ فقد جمعت من الفراق حصاة القلب تنصدع
بلى ! وهو الذى يقول :

وما زلتُم يا بَشَنَ حتى لو أنى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنتِ دعايا
وما زادنى النأى المفرق بعدكم سلوا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون إلا صبابةً ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن يفتالى الموت عنوةً وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وإنى لتثنيى الحفيظة كلما لقيتك يوماً أن أثبك مايا
ألم تعلمى يا عذبة الريق أنى أظلُّ إذا لم أسق ريقك صاديا

تأثير ابن أبي ربيعة

في شعراء اللغة العربية



عرف القارئ كيف أثر عمر بن أبي ربيعة في شعراء عصره ،
وكيف حملهم على الاعتراف بتفوقه عليهم في مذاهب النسيب .
فن الخير أن نعرف كيف أثر فيمن خلفه من الشعراء
وانما عيننا من خلف من بعده لأنه غلب على شعراء عصره ،
فأضاف إليه الرواة أثير القصائد التي وُسِّمَتْ بميسمه ، وطُبِعَتْ
بطابعه ، في حوار الملاح .

وكان طبيعياً أن نحاول معرفة من تأثر به ابن أبي ربيعة من
القدماء ، وإن كنا قد ألمعنا إلى ذلك في المحاضرة الثالثة ، فلنذكر الآن
أنه تأثر بامرئ القيس : فجراه في الحديث عن حوادث الليل ،
ومدافعة الأحراس ، ومطاوعة الصبا والحب في هصر أعواد الحسان .

وفى الحق أن أكثر ما مرَّ من شعر ابن أبي ربيعة يذكرنا
فى الغرض والأسلوب بقول امرئ القيس :

وبيضة خدرٍ لا يُرام خباؤها تمتعت من لهُوبها غير مُعجل^(١)
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على حراساً لو يُسرُّون مقتل^(٢)
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل^(٣)
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى السرِّ إلا لبسة المتفضل^(٤)
فقال يمين الله مالك حيلةٌ وما إن أرى عنك الغواية تمجلى^(٥)
خرجت بها أمشى تجرُّ وراءنا على أثرينا ذيلٍ ورطٍ مرحل^(٦)
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحت بنا بطن خبت ذى حفاف عقمقل^(٧)

- (١) بيضة الخدر كناية عن العقيلة المخدرة المحجبة - غير معجل: غير مضطر الى العجلة
(٢) الاحراس والحراس معناها واحد - حراس: جمع حريص - يسرون مقله:
يضمرونه (٣) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عانقها وكسحها
- والفصل: هو المرصع بالذهب أو الزبرجد (٤) نضت ثيابها: ترعتها - والمتفضل هو
الذى يلبس ثوبا واحدا حين يأوى الى فراشه (٥) مالك حيلة: هي كلمة نسائية يراد بها
الدعابة لالتحقير (٦) المرط: كساء من صوف أو خز - المرحل: الذى فيه صور
رحال، كالشجر وهو الذى يحمل صور الاشجار (٧) جرت المكان وأجزته وجاوزته
وتجاوزته: قطعه وخلقه - انتحت: قصدت - الحب: الفضاء الواسع - الحفاف
والاحفاف جمع حقف وهونقا يعوج ويدق - العققل: الوادى العظيم والكثيب المراكم

هصرت بفودى رأسها فما يلت	على هضم الكشح ريبًا المخاض ^(١)
مهففة ^٢ بيضاء غير مفاضة	ترائبها مصقولة كالسجنجل ^(٣)
كبكر المقناة البياض بصفرة	غذاها نمير الماء غير المحلل ^(٤)
تصدُّ وتبدى عن أسيل وتنقى	بناظرة من وحش وجرة مطفل ^(٥)
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش	إذا هي نصته ولا بمعطل ^(٦)
وفرع يزين المتن أسود فاحم	أثيث كقمو النخلة المتشكل ^(٧)

(١) هصرت فوديهها وبفوديهها : أملتها إلى - والفودان : جانب الرأس - هضم الكشح : دقيقة الحصر - ريبا المخاض : بضة الساق - والمخلخل : موضع الخلخال (٢) مهففة : ضامرة البطن - غير مفاضة : غير مسترخية اللحم ، واسترخاء اللحم من عيوب النساء - الترائب موضع القلادة من الصدر - السجنجل : المرأة المجلوة (٣) المقناة : الحلط . تقول : قوفى بياضها بصفرة ، أى خلط . والشاعر يشبه خيلته ببضة النعام لأول عهدها بمزج الصفرة بالبياض - نمير الماء : صافيه - المحلل : الذى كدرته الابل - وهذا البيت يذكرنا بابن أبى ربيعة اذ يصف معشوقاته كثيرا بالتurf ولين العيش (٤) أسيل : رقيق ، صفة لموصوف محذوف هو الحذ - وجرة : مرب للوحش بين مكة والبصرة . قال بعض الاعراب :

وفي الحيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحمر المقلتين ريب
فلا تحسبى أن الغريب الذى نأى ولكن من تسأين عنه غريب

ومطفل : ذات طفل : يريد أن نظرتها فيها عطف وحنان (٥) الجيد : العنق الريم : الظبي - نصته : رفعته - ومعطل وعاطل : لا حلية فيه (٦) الفرع : الشعر المتن : الظهر - فاحم : شديد السواد - أثيث : غزير - متشكل : ذو عناكيل - وهي في النخيل كالعناقيد فى الاعتاب

غداثره مستشزرات إلى العلى تفضل المدارى فى مثنى ومرسل^(١)
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقى المذل^(٢)
وأضحى فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل^(٣)
وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسجل^(٤)
تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسئ راهب مبتل
إلى مثلها يرنو الحليم صباة

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^(٥)
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواها بمنسل^(٦)

(١) الغداثر : خصل الشعر — مستشزرات : مرنفعات — المدارى : الامشاط
(٢) الجدیل : الوشاح — مخصر : دقيق — السقى على وزن غنى بات بسقى كثيراً
ويسمى البردى — المذل : الابن (٣) لم نتطق : لم تابس المنطق أو انطق ،
وهو شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل وينجر الاسفل على
الارض — والفضل : لبس الثوب الواحد — وعن ، هنا ، بمعنى بعد — أى لم نلبس
المنطق بعد المفضل . يريد أنها أصيلة الترف لم تكس بعد عرى (٤) تعطو : تناول —
رخص : لين ناعم — شئن : خشن — أساريع : جمع أسروع وهو دود أبيض أحمر
الرأس تشبه به الانامل الخضة الاطراف — وظبى : اسم واد — والاسجل : شجر
يستاك به (٥) اسبكرت : طابت واعتدل — والدرع القميص — والمجول على وزن
منبر ثوب تلبسه الفتاة وتجول فيه قبل أن تحدر (٦) منسل : سال

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فَيْكَ أَلْوَى رَدَدَتْهُ

نصيح على تعذاله غير مؤتل^(١)

فملى هذا المنهج جرى ابن أبي ربيعة في محاكاة امرئ القيس ، ولكن أستاذنا الدكتور طه حسين يعكس القضية : فيقرر أن امرأ القيس هو الذى حاكى ابن أبي ربيعة ، إذ يفترض أن شعر امرئ القيس منجول ، وضعه شاعر إسلامي تأثر بعمر ابن أبي ربيعة فخا كاه ، وأجاد المحاكاة والتقليد . وعنده أن هذا النحو من القصص الغرامى فى الشعر هو فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكره احتكاراً ، ولم ينازعه فيه أحد ، وأن من الغريب أن يسبق امرؤ القيس إلى هذا الفن ، ويتخذ فيه هذا الأسلوب ، ويُعرف عنه هذا النحو ، ثم يأتى ابن أبي ربيعة فيقلده فيه ولا يشير أحد من النقاد إلى أن ابن أبي ربيعة قد تأثر بامرئ القيس ، مع أنهم قد أشاروا إلى تأثير امرئ القيس فى طائفة من الشعراء فى أنحاء الوصف ، وأنه يبعد أن يكون امرؤ القيس هو منشئ هذا الفن من الغزل الذى عاش عليه ابن أبي ربيعة والذى كوّن شخصية ابن أبي ربيعة الشعرية ولا يُعرف له ذلك^(٢)

(١) خصم ألوى : عسر يلتوى على خصمه — غير مؤتل : غير مقصر

(٢) راجع ص ٢٢٢ من الادب الجاهلي

وقد يُلاحظ أن ابن أبي ربيعة أذاع في شعراء عصره فكرة
تقَارُض المودة بين المحبين ، وأظهر ما يكون ذلك في شعر العرجي^(١)
إذ يقول :

وما أنسَ مَلاشيءَ لا أنسَ موقفا	لنا ولها بالسَّفحِ دونِ ثبير ^(٢)
ولا قولها وهنًا وقد بلَّ جيبها	سوابقُ دمعٍ لا يجفُّ غزير ^(٣)
أأنتَ الذي خَبَرْتَ أنك باكرٌ	غداة غدٍ أو راحٍ بهجير ^(٤)
فقلت يسيرٌ بعضَ شهرٍ أغيبه	وما بعضَ يومٍ غبته يسير
أحين عصيت العاذلين إليكم	ونازعت حبلى في هواك أميري
وباعدني فيك الأقاربُ كلهم	وباح بما يخفى اللسان ضميري
وقلت لها قول امرئٍ شفه الهوى	اليها ولو طال الزمان فقير
فما أنا إن شطت بك الدار أو نأت	في الدار عنكم فاعلمي بصبور

(١) العرجي هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان ينزل بعرج
الطائف فنسب إليه (٢) ثبير : من جبال مكة (٣) الوهن : نحو من نصف الليل
أو بعد ساعة منه (٤) يرى أستاذنا الدكتور طه حسين أنه لا يصح أن نقول : أنت
الذي فعلت هذا ، وإنما نقول : أنت الذي فعل هذا ، فإن القرآن يقول : يا أيها الذين
آمنوا ولا يقول يا أيها الذين آمنتم . ونرى أنه لا مانع من أن نقول : أنت الذي
فعلت هذا ، بدليل قول العرجي هنا (أأنت الذي خبرت) وقول ابن الدمينية
وأنت التي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وقول كثير :

وأنت التي حبيت شغبا إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواها

ولنرجع فنذكر أننا بحثنا طويلا عن شاعر سَلَكَ مسلك عمر
ابن أبي ربيعة في مخاطبة النساء فلم نجد من يقاربه غير بشار بن برد ،
الذى شهد آخر أيام بنى أمية وصدر دولة بنى العباس ، ففي شعر بشار
قرب من منهج ابن أبي ربيعة في محاورة الغواني والتودد إلى الملاح ،
وفيه كذلك تأثُّق في وصف الجوانب الحسِّية من المرأة المجدولة
الخلق ، المشرقة الجبين . وهو الذى يقول :

وبيضاء يضحك ماء الشبا ب في وجهها لك إذ تبسم
رواء العذارى إذا زرتها أطفنَ بحوراء مثل الصنم
يرخن فيمسخن أركانها كما يمسح الحجر المستلیم
وفي هذا الشعر على يسره وسهولته نفحة من عبادة الجمال ، وهو
يذكرنا بقوله من كلمة ثانية

تُلقي بتسيحة من حُسن ما خُلقت وتستفز حشا الرأى بارعاد
كأنما صُورت من ماء لؤلؤةٍ فكل جارحةٍ وجه بمرصاد
وقوله من كلمة أخرى يتحدث فيها عن ليلة وصل :

ومرتجة الأرداف مهضومة الحشا تمر بسحرٍ عينها وتدورُ
إذا نظرت صبت عليك صباةً وكادت قلوب العالمين تطيرُ
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا إلى الصبح دوني حاجب وستور

وذكر صاحب زهر الآداب أن بشاراً لما قال :
 لا يؤيسنك من مخبأة قولٌ تغلظه وإن جرحا
 عُسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا
 بلغ ذلك المهدي فغاضه ، وقال : يجرّض النساء على الفجور ،
 ويسهل السبيل إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري :
 يا أمير المؤمنين ، قد فتن النساء بشعره ، وأى امرأة لاتصبو إلى
 مثل قوله .

عجبت فطمة من نعتي لها
 هل يُجيد النعت مكفوف البصر ؟
 بنت عشر وثلاث قسّمت بين غصن وكثيب وقر
 دُرّةٌ بحريّةٌ مكنونةٌ مازها التاجر من بين الدرر
 أذرت الدمع وقالت ويلتي من ولوع الكفركاب الخطر
 أمّي بدّد هذا لُعي وشاحي حلّه حتى انتثر
 فدعيني معه يا أمّي علّنا في خلوة نقضي الوطر
 أقبلت في خلوة تضربها واعتراها كجنون مُستعر
 بأبي والله ما أحسنه دمعُ عين غسل الكحل قطر
 أيها النوام هبّوا ويحكم وسلوني اليوم ما طعم السهر

فأمره المهدي أن لا يتغزل ، فقال أشعاراً في ذلك ، منها هذه التائية :

يا منظرًا حسنًا رأيته من وجه جارية فديته

لمعت إلى تسومني ثوب الشباب وقد طويته^(١)

والله رب محمد ما إن غدرت ولا نويته

أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته

إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئًا أبيت

ويشوقني بيت الحبيب إذا غدوت وأين بيته

قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته

ونهانى الملك الهما م عن النساء فما عصيته

لا بل وفيت ولم أضع عهدًا ولا رأيًا رأيته

وفي الحق أننا نجد في القصيدة الأولى شبهًا قويًا بشعر إعرابن

أبي ربيعة ، وإنه ليحاكيه حتى في التغزل بنفسه والتحدث عن أسرته

لقلوب النساء . ولو بقي شعر بشار لاستطعنا التثبت مما نراه من التشابه

بين شعر هذين الشاعرين ، ولكن شعر بشار ضاع فلم يبق إلا الاعتماد

على تلك الشواهد الضئيلة في تأييد ما ذهبنا إليه ، وإن كنا على يقين

من أن لهذا الرأي حظًا من الصحة غير قليل

(١) لمعت الى : أشارت .

والخلاصة أننا لانجد شاعراً بعد عمر بن أبي ربيعة وقف حياته
وشعره على التشبيب بالنساء ، وإن كنا لاننكر أن كثيراً من الشعراء
نحو منجاء في القصص الغرامية ، وإن لم يعرفوا بذلك ، فأننا لانشك
في أن الأبيوردي حاكاه حين قال :

تنور سناها من بعيد ولا ترع	فليس على من آنس النار من باس
ومن مؤقديها عادةً دونها الظبي	تلوح بأيدي غلمة غير أنكاس ^(١)
وكا رديني كآف سنانها	يعط رداء الليل عنهم بنبراس ^(٢)
مهفهفه غرثي الوشاحين دونها	تحرش عذال ورقبة حراس
يضى لها وجه يرق أديمه	فاضرها لورق لي قلبها القاسي
سموت لها والليل حارت نجومه	على أفق عارٍ بظل الدجى كاسي
فهبت كما ارتاع الغزال وأوجست	من ابن أبيها خيفة أي إيجاس

تشير إلى مهورى حذار صهيله

وتستكتم الارض الخطي خشية الناس

فقلت لها لا تفرق وتشبني بنهاس أفران ومناع أخياس^(٣)

(١) الانكاس جمع نكس بالكسر وهو الضعيف (٢) الرديني : الرمح ، نسبة الى
ردينة وهو رجل كان يقف، السلاح - يعط رداء الليل : يشقه . وقرىء (فلما رأى
قبضه عط من دبر) أى قد - والنبراس المصباح (٣) النهس في الاصل أخذ اللحم بمقدم
الاسنان - ومن أسماء الاسد النهاس - والاخياس جمع خيس بالكسر وهو موضع الاسد

ترد يديه عن وشاحك عفة^١ وعرض صقيل لايزن^٢ بأدناس^(١)
وطوقتها يمني يدي^٣ وصارمي يسراي فارتاحت قليلا لا يناسي
وذقت عفا عنا الآله وعنكم^٣

جنى ريقة تاهي أخاكم عن الكاس^(٢)

فلما استطال الفجر مال بعطفها وداعى كهاز الصبا قُضِبَ الآس
ويمكن الحكم بأن أبا نواس جارى ابن أبي ربيعة فى النسب ،
لولا أنه غير مجرى الحديث ، فنقله من النساء إلى الغلمان ، وجارى
أبا نواس فريق من شعراء الاندلس ، أشهرهم ابن خفاجة الذى يقول
فى وصف ليلة قضاها بين ضلال الهوى وجنون الصهباء

وليلَ تماطينا المدام وبيننا حديث^٣ كهاهب^٣ النسيم على الورد
نعاوده والكأس يعبق^٣ نفحه^٣ وأطيب منه ما نعيد وما نبدى
وتقل^٣ أقاح الثغر أو سوسن الطلى ونرجسة الاجفان أو وردة الخد^(٣)
إلى أنسرت فى جسمه الكأس والكرى

ومالا بعطفه فقال على عضدى

(١) لايزن : لا يهتم (٢) نقبل الله دعاء الشاعر ونعفا عنا وعنه انه سميع مجيب !

(٣) النقل بالفتح ما يتناول على مائدة الشراب

فَأَقْبَلْتُ أُسْتَهْدِي لَمَّا بَيْنَ أَضْلَعِي مِنْ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الضَّلُوعِ مِنَ الْبَرْدِ

وَعَايَنْتُهُ قَدْ سُلِّ مِنْ وَشَى بُرْدِهِ

فَعَايَنْتُ مِنْهُ السَّيْفَ سُلِّ مِنَ الْغَمْدِ

لِيَأْنِ مَجَسِّ وَاسْتِقَامَةً قَامَةً وَهَزَةَ أَعْطَافٍ وَرَوْنَقٍ إِفْرَنْدِ

أُغَازِلُ مِنْهُ الْفَصْنَ فِي مَغْرَسِ النِّقَا

وَأَتَمُّ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَانْه أَخُوهَا كَمَا قَدْ الشَّرَاكَ مِنَ الْجَلْدِ

تَسَافِرُ كَلَّتَا رَاحَتِيَّ بِجِسْمِهِ فَطَوْرًا إِلَى خَصَرٍ وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ

فَتَهْبِطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفَى تَهَامَةً وَتَصْعَدُ مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ



مصعب بن عبد الله الزيري

وعدنا في مقدمة هذه الطبعة بكتابة فصل عن مصعب بن عبد الله الزيري الذي قدم شعر ابن أبي ربيعة إلى القدماء ، وقد رأى القارئ أننا نقدناه في المحاضرة الثانية تقدراً رآه أستاذنا الدكتور طه حسين إلى الظلم أقرب منه إلى الانصاف ، فلنف بما وعدنا به ، ولنحدد بعد ذلك رأينا في ذلك البحث الطويل الذي كتبه مصعب عن عمر ورآه أستاذنا الدكتور طه من ذخائر الأدب القديم ^(١)

مصعب الزيري هو ابن عبد الله بن مصعب أحد الشعراء المجيدين والخطباء المفوهين ، الذين نادموا أوائل الخلفاء من بني العباس ، وتولّوا لهم أعمالاً . وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قتل محمد استتر إلى أن حج أبو جعفر المنصور ، وأمن الناس جميعاً فظهر . وكان يُلقب « عائد الكلب » لقوله :

مالي مرضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ منكم ويمرض كلبيكم فأعودُ
وأشدُّ من مرضي على صدودكم وصدود عبيدكم على شديد
وذكر الربيع بن يونس أنه دخل على المهدي وإذا هو يكتب على

الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب
 فإن يحجبوها أو يحلّ دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
 فلن يحجبوا عيني من دائم البكا ولن يخرجوا ماقد أجن ضميري
 وما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور
 إلى الله أشكو ما ألاقى من الجوى ومن نفس يعتادني وزفير
 ويقول : أحسن والله عبد الله بن مصعب ماشاء ^(١)

ونعود إلى مصعب بن عبد الله فنذكر أننا لما نصّل إلى الوقوف
 على تفاصيل حياته الأدبية ، وإنما عرفنا مما ينقل عنه صاحب الأغاني
 انه كان من كبار الكتاب في القرن الثالث ، واليه يرجع الفضل في تدوين
 أكثر أخبار المغنين والشعراء ، وعبارته نقية واضحة سليمة لا يشوبها
 تكلف ولا غموض . وله شعر جيد لم يبق منه إلا القليل ، وفيه على
 نزارته دليل على أنه كان من المبدعين

ويظهر مما قرأناه من أخباره المتفرقة انه كان يعيش في جماعة لها حظ
 من المال والجاه والجمال . فكانت حياته لذلك فيها نفحة وجدانية لا يظفر بها
 إلا من استظل بأعطاف الحسن الجامح والدّل الغضوب . كان متصلا
 بأحمد بن هشام أخى على بن هشام الذى كتب إليه اسحق الموصلى :
 جعلت فداك ، بعث إلى أبو نصر مولاك بكتاب منك إلى يرتفع

عن قدرى ، ويقصر عنه شكرى ، فلولا ما أعرف من معانيه ، لظننت
أن الرسول غلط بي فيه ، فمالنا ولك يا أبا عبد الله تدعنا حتى إذا نسينا
الدنيا وأبغضناها ورجونا السلامة من شرها ، أفسدت قلوبنا ، وعلقت
أنفسنا ، فلا أنت تريدنا ، ولا أنت تتركنا ، فبأى شئ تستحل هذا ؟
أما ما ذكرته من شوقك إلى فلولا أنك حافت عليه لقلت :
يامن شكا عبثا إلينا شوقه شكوى المحب وليس بالمشتاق
لو كنت مشتاقا إلى تريدنى ما طببت نفسا ساعة بفراقى
وحفظتنى حفظ الخليل خيله . ووفيت لى بالمهد والميثاق
هيئات قد حدثت أمور بعدنا وشغلت بالآذات عن إسحق
قد تركت جعلت فذاك ما كرهت من العتاب فى الشعر وغيره
وقلت أيبانا لا أزال أخرج بها إلى ظهر المرید^(١) واستقبل الشمال ،
وأنتسم أرواحكم فيها ، ثم يكون ما الله أعلم به ، وإن كنت تكرهما
تركها إن شاء الله
ألا قد أرى أن الثواء قليل وأن ليس يبق للخليل خليل

(١) المرید بالكسر ثم السكون وفتح الباء اسم موضع كان أهم أسواق البصرة ثم
صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . والمرید
فى الأصل كل شئ حبست فيه الابل ، وأنشد الأصمعى :

بيت بأبواب القوافى كأننى أصيد بها سرى من الوحش نزعا
عواصى إلا ما جعلت وراءها عصا مرید يغشى نخورا وأذرا

وإني وإن ملّيت في العيش حقبةً كذى سفر قد حانَ منه زحيل
 فهل لى إلى أن تنظر العين مرةً الى ابن هشام فى الحياة سبيل
 فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة وفى النفس منه حاجة وغليل
 وقد تورط مصعب فى صحبة هذه الجماعة ولحقه من تقلبها بعض
 الشر والسوء ، حين وقعت الجفوة بين احمد بن هشام واسحق بن ابراهيم ،
 فقد لقي احمد مصعباً فقال له : أما تستجى أنت وصباح بن خاقان المنقرى
 وأتما شيخان من مشايخ المروعة والعلم والأدب أن يشيد بذكركما اسحق
 فى شعره فيقول :

قد نهانا مصعبٌ وصباحٌ فمصينا مصعبا وصباحا
 عدلاً ما عدلاً ثم ملا فاسترحنا منهما واستراحا
 فقال له مصعب : ان كان قد فعل بما قال إلا خيراً . انما ذكر
 أننا نهيناه عن خمر شربها ، أو امرأة عشقها ، وقد أشاد باسمك فى الشعر
 بأشد من هذا . قال : بماذا ؟ قال بقوله :

وصافية تُعشي العيون رقيقة رهينة عام فى الدنان وعام
 أدرباها الكأس الروية موهناً من الليل حتى انجاب كل ظلام
 فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا من العي نحكى احمد بن هشام
 وكان صباح بن خاقان نديماً لمصعب بن عبد الله . فقال عبدالرحمن
 ابن أبى عبدالرحمن وكان خليعاً من أهل البصرة

من يكن إبطه كإبط ذا الخذاق فإبطاى فى عداد الفقاح^(١)
 لى إبطان يرميان جليسى بشبيه السلاح بل بالسلاح
 فكأنى من نثن هذا وهذا جالس^٢ بين مصعب وصباح
 وقد ظل مصعب وفيا لاسحق الموصلى إلى أن مات فرثاه
 بتصيدة بليغة نفتطف منها الكلمة الآتية :

أندرى لمن تبكى العيون الذوارف^٣ وينهل^٤ منها واكف ثم واكف
 نعم لامرئ لم يبق فى الناس مثله مفيد لعلم أو صديق ملاطف
 تجهز اسحق^٥ إلى الله غاديا فله ما ضمت عليه اللقائف
 وما حمل النعش المزجى عشية إلى القبر إلا دمع العين لاهف
 صدورهم^٦ مرضى عليه عميدة^٧ لها أزمة من ذكره وزفاف^(٢)

ذهبت وخليت الصديق بعولة^٨ به أسف من حزنه مترادف^٩
 إذا خطرأت الذكر عاودن قلبه^{١٠} تتابع منهن الشئون النوازف^{١١}
 حبيب^{١٢} إلى الاخوان يرزون ماله^{١٣} وآت لما يأتى امرؤ الصدق عارف
 هو المن^{١٤} والسلولى لمن يستفيده^{١٥} وسم^{١٦} على من يشرب السم زاعف
 بكت داره من بعده وتنكرت^{١٧} معالم من آفاقها ومعارف
 هى الدار إلا أنها قد تخشعت^{١٨} وأظلم منها جانب فهو كاسف

وقد كان فيها للصديق معرّسٌ وملتمسٌ إن طاف بالدار طائف

سريعٌ إلى إخوانه برضائه وعن كل ماساء الأخلاء صارف
أرى الناس كالنسناس لم يبق منهم خلافاً إلا حشوةٌ وزعانف



أراء مصعب في النفر

كان مصعب من الكتاب والنقاد الممتازين ، ولكن نقده لم يصل
إلينا بطريقة تفصيل ما كان له من قواعد وأصول ، فلم يبق إلا الاستئناس
بما تفرق من آرائه لنرى كيف كان يفهم الشعر ، وكيف كان يحكم على الشعراء .
رأيناه يقضى في شعر العباس بن الأحنف وعمرو العراف فيقرر
أنهما « ما ابتذلا شعرهما في رغبة أو رهبة ، ولكن فيما أحباه ، فلزما فنا
واحداً لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه »

وهذا نظر بعيد من مصعب ، فإن الشاعر الذي يكثر في فن واحد
ويجيد مع الإكثار أولى بالتقدمة ممن يجيد في طائفة من الفنون ، وفي
كلامه تقدير لصدق العاطفة التي تعد أساساً لجودة الشعر البليغ

وقيل له : إن الناس يستبدون شعر العباس بن الأحنف ، فقال .

لقد ظلموه ! أليس هو الذي يقول :

قالت ظَـلُومٌ سَمِيَّةٌ الظلم مالى رأيتك ناحل الجسم
 يا من رى قلبى فأقصده أنت العليم بموقع السهم
 وهو فى هذا يذكرنا بكثير من القدماء الذين كانوا يحكمون
 للشعراء أو عليهم بشواهد من شعرهم من غير أن يبينوا مواطن الضعف
 ومواقع القوة ، وكذلك كان يرى أبا العتاهية أشعر الناس إذ قال .

تعلقت بآمال طوال أى آمال
 وأقبلت على الدنيا مُلِحًّا أى أقبال
 أيا هذا تجهّز لـ فراق الأهل والمال
 فلا بد من الموت على حال من الحال

ولعل أظهر آثار مصعب فى النقد هو كلمته المطولة فى خصائص
 شعر عمر بن أبى ربيعة ، وقد تكلمنا عنها فى المحاضرة الثانية ، وأشار
 أستاذنا الدكتور طه فى حديث الاربعاء إلى أننا أسرفنا فى نقده ، وأن
 مصدر هذا الاسراف أننا لم نقدر كما ينبغى اختلاف المثل الأدبية
 باختلاف العصور والاجيال

وهذا حق ، إذ كان النقد يتأثر باختلاف الازواق ، وأنه لا يجب
 أن يرضينا ما كان يرضى أسلافنا من قبل ، ولكن أليس فى كلام
 مصعب بعد نقدنا له شىء يستحق التقدير ؟

لقد بحثت في ذلك طويلاً ، فرأيت في كلمة مصعب ناحية لها حظ
عظيم من الاهمية ، وذلك أنه أراد التنويه بما أبدع ابن أبي ربيعة من
التعابير ، وأحدث من الصور : من ذلك تحيير ماء الشباب في قوله :
وهي مكنونة^١ تحيّر منها في أديم الخدين ماء الشباب
وغم الطير في قوله :

سراعاً نعم الطير إن سنحت لنا وان تلقنا الركبان لا تنخبّر
ومحالفته بسمعه وطره في قوله :

سمى وطرفي حليفاً على جسدي فكيف أصبر عن سمي وعن بصري
وإغلاقه رهن^٢ مني وإهداره قتلاه في قوله

فكم من قتيل ما يباء به دم^٣ ومن غارق رهنًا إذا لفه مني^(١)
وجنيه الحديث في قوله

فاجتني من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمر ك جاني
وقياسه الهوى في قوله

وقربن أسباب الهوى لمريم يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا
وتشكيه الذي أشجى فيه إذ يقول

(١) ما يباء به دم : لا يؤخذ له بثأر — وغلق الرهن في يد المرتن إذا لم يقدر
الراهن على اقتساكه في الوقت المشروط

لعمرك ما جاورت غمدان طائماً وقصر شعوب أن أكون به صبياً^(١)
 ولكنّ حمى أضرعتنى ثلاثة مجرّمة ثم استمرت بنا غيباً^(٢)
 وحتى لو أنّ الخلد يمرض إن مشت إلى الباب رجلى ما نقلت لها إرباً^(٣)
 فانك لو أبصرت يوم سويقة^(٤)
 مناخى وحبسى العيس داميةً حُداً^(٥)
 ومصرع إخوان كأنّ أنينهم أنين مكّاكى فارقت بلدأ خصباً^(٥)
 إذاً لا قشعرّ الجلد منك صبايةً ولا ستفرغت عيناك من عبرة سكباً
 وكلمة مصعب مثبتة في الجزء الاول من الاغانى فليرجع اليها القارىء
 فقد يرى غير ما نراه

(١) غمدان : قصر باليمن كان من أعاجيب عصره . وقصر شعوب كذلك من قصور
 اليمن (٢) أضرعتنى : أضعفتنى وأذلتنى . مجرّمة : كاملة — والغب من الحمى ما تأخذ
 يوماً وتدع يوماً (٣) ما نقلت لها إرباً : ما حركت لها عضواً (٤) حذب جمع
 حدباء وهى الدامية التى تقوس ظهرها هزّالا (٥) المكّاكى جمع مكاء وهو طير يشبه
 القرة أبلق الجناحين

الجوانب الجديدة

في حياة عمر بن أبي ربيعة

لقد أسلفنا القول في حب ابن أبي ربيعة وشعره ، وقدمناه للقارئ في صورته التي ألفها الناس في حياته ، وتمثلوها بعد مماته . فلم يبق إلا أن نقف قليلا عند الجوانب الجديدة من حياة ذلك الشاعر الغزل الذي لم يره الناس إلا تَبَعَ نساء .

ولنُعِد مرة ثانية ما أشرنا إليه من قبل : فقد قلنا إن كثيراً من حوادثه الغرامية من صُنع الخيال ، وقد قبلناه على علاته ، واكتفينا بتلك الإشارة عند التمهيد لأخبار الملاح ، إذ كانت حوادث ابن أبي ربيعة التي أضيفت إليه تدلنا على شيئين : فهي أولاً علامة على أن المتقدمين أنسوا بروحه ، وأسلموا قلوبهم لوحيه ، فأبدعوا في ظلال ذكراه ما شاء الخيال من أحاديث الحب الظافر ، والهوى الغلاب . وهي ثانياً دليل على أنه كان للمتقدمين ميلٌ إلى القصص الغرامي وحظ من الاجادة فيه . فكان من الخير أن نستغل تلك الباكورة القصصية ونحن نتحدث عن هوى هذا الشاعر من حسان النساء .

ومن العجيب أنه لم يلتفت أحد من القدماء ولا المحدثين إلى

حياة هذا الشاعر الجدية ، ولم يخطر ببال باحث منهم أن الدنيا في أحداثها وتصاريقها وأعاجيبها قد تكون ألأم من أن تسمح لشاعر بأن يظل عمره يمرح ويلعب في ميادين الحب ، وملاعب الجمال .

لقد عاش ابن أبي ربيعة سبعين سنة ، وقد حدثونا أنه ودّع لهواه وهواه بعد الابعين ، فبالت شعري كيف قضى الثلاثين الباقية ، على فرض أنه أمضى أربعين الأولى ناعم القاب ، وادع الروح ؛ ثلاثون سنة بلا لهو ولا عبث ، ولا تذكر ولا التبايع ؛

هذا والله كثير على شاعر روى شبابه بصهباء الرضاب ، وقضى فوق ترائب الملاح ليالى وأياماً كانت كل لحظة فيها خيراً من ألف سنة مما تعدون !

أصحح أن ابن أبي ربيعة لم يقل كلمة واحدة في بكاء شبابه ، والتوجع من مشيبه ، وأنه ودّع الشعر وداعاً أبدياً بعد الأربعين ؟ أم كانت له مواقف شعرية لها لونٌ غير ذلك اللون المشرق ، وأن الرواة نسوها أو تناسوها لأن هوام كان يقضى ببقاء تلك الشخصية الجذابة في مرحها ولهوها لينظر متعة بين نكت السمر ، وأطايب الحديث ؟ نحن إذاً لانعرف شيئاً عن الفصل الأخير من تلك الرواية ، لأنهم أسدلوا الستار بعد انقضاء الفصل الثانى حين حلف الشاعر

لا يقول بيتاً إلا أعتق رقبة . فلنبحث أ كان الفصل الأول الذى مثل
لنا الشاعر وهو يعمث فى مناسك الحج صحيحاً فى جلته ، أم كان فصلاً
غير محكم الوضع ، ولا متقن التصوير ، أراد واضعه أن يبرز ما فيه
من الجوانب الغرامية ، وأن يغفل الجوانب الجدية ، لحاجة فى
نفس يعقوب ؟ !



أكتب هذا وأنا أذكر كلمة الثريا وقد توسل إليها رسول عمر أن
تمطف عليه ، فقد قالت :

« ابن أبى ربيعة فارغ ونحن فى شغل »

وهي كلمة تقرأها باسمين لأنها كلمة نسائية مألوفة من ربات الحجال ،
فانه إذا فرغ عمر وشغلت الثريا فقد حق لنا أن نرتاب فيما نُسب إليه
من الفراغ !

ومن العجيب أن هذا الشاعر الذى اتفق القدماء والمحدثون على
فراغه وبطالته هو صاحب هذا البيت :

كُتِبَ القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذبول
وهو بيت عميق الأثر فى النفوس العربية ، وطالما كان لهباً تقبِسُ

منه عزائم الثائرين—وهو كذلك صاحب هذين البيتين :

ليت همدًا أنجزتنا ماتعد وشفّت أنفسنا مما تجبد
واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

والقارىء يعلم أن خصوم البرامكة دسّوا إلى الرشيد من غناه بهذا الشعر فتار بالبرامكة ، ومزّقهم كلّ ممزق ، بفضل روح عمر بن أبي ربيعة الذى ظنوا شعره بردًا وسلامًا ، وفيه لو يعلمون أنفاس السّعير :

ولقد حدّثونا أن أخاه الحارث كان ينهائهم عن قول الشعر فيأبى أن
يقبل منه ، وأنه أعطاه ألف دينار ، على ألاّ يقول شعرًا ، فأخذ المال
وخرج إلى أخواله بالحجج وأبين ^(١) مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول
الشعر ، فطرب يوماً فقال :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن ^(٢)
واحتلّ أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكّر أو حظّ من الحزن ^(٣)
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته من أن يفرّد قريّة على فنّ ^(٤)
إذاً رأت غير ما ظننت بصاحبها وأيقنت أن لحجاً ليس من وطني

(١) الحجج وأبين من مخالفين اليمين (٢) سيف البحر ، بكسر السين ، هو ساحله

(٣) أجياد : موضع بمكة (٤) القمري ، بضم القاف ، ضرب من الحمام ، والأثني

قمريّة ، والجمع قارى

ما أنس إلا أنس يوم الخيف موقفها وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن^(١)
بالله قولى له فى غير معتبة ماذا أردت بطول المكث فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن
وأن القصيدة سارت حتى سمعها أخوه الحارث فقال : هذا والله
شعر عمر ، قد فتك وغدر !

وأنا لا أصدق أن ابن أبى ربيعة ذهب إلى أخواله باليمن ليفر من
نساء الحجاز ، ولا أقبل أن يكون ابن أبى ربيعة قبل الرشوة من أخيه
ليتوب يوماً أو يومين قبل أن يموت !

فلا بد إذاً أن يكون قد ذهب إلى اليمن فى شأن من الشؤون
الجدية . ولكن ما هو هذا الشأن ؟ نحن لانعرفه لأن الرواة لم يحدثونا
عنه ، إذ كان من هواهم أن يخترعوا لهذه القصيدة سبباً طريفاً يضاف
إلى ماله من شهي[ۛ] الاقاصيص

وقد حدثنا صاحب الأغاني أن مسعدة بن عمرو أخرج عمر بن
أبى ربيعة إلى اليمن فى أمر عرض له ، وتزوجت الثريا وهو غائب ، فليتنا
نعلم أى عرض هذا الذى أخرج من أجله عمر بن أبى ربيعة إلى اليمن ؟

فقد يكون أنشأ هذه النونية في هذه السفرة ، إن لم يكن ذهب إلى
اليمن مرتين لغرضين مختلفين

على أن صاحب الاغانى ذكر في أخبار جميلة أنها لما قضت حجها
سألها المكيون أن تجعل لهم مجلساً ، فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا :
لها جميعاً . فقالت : ما كنت لأخلط جداً بهزل ، وأبت أن تجلس
لलगناء ، فقال عمر بن أبى ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب
لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة ، فاب خارج ، فعزم جماعة من
الاشراف والشعراء على الخروج ، فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها
وأشرفها من الرجال والنساء ، فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم
ونزل أهل مكة على اقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين ، فلما مضى
لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، وقالت لعمر بن أبى ربيعة : إني جالسة
لك ولأصحابك ، وإذا شئت قعد الناس لذلك اليوم ، فغضت الدار
بالاشراف من الرجال والنساء ، فابتدأت جميلة فغنت :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن .
فضج القوم من حسن ما سمعوا ، ودمعت عينا عمر حتى جرى
الدمع على ثيابه ولحيته ، وما راوه كذلك من قبل

وهذه القصة تدلنا على أن ابن أبى ربيعة كان لا يزال يلهو ويتبع

النساء بعد قصيدته التي قالها في اليمن شوقاً إلى الحجاز ، فلم يكن إذاً بالرجل الذي يقبل الرشوة من أخيه ليودع قرّة عينه في الحياة !

*
* *

وهناك فرض آخر لتوبة ابن أبي ربيعة ، فقد ذكروا أن عمر ابن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والاحوص فكتب إلى عامله على المدينة :

« قد عرفت عمر ، والاحوص ، بالخبط والشر ، فاذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملاهما إليّ »

فلما أتاه الكتاب حمأهما إليه فأقبل على عمر فقال له : هيه فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليلالي الحج أفلتن ذا هوى وكم مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرّة البيض كالدمى فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فتى يفتنون ؟ أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك — ثم أمر بنفيه . فقال يا أمير المؤمنين ، أو خير من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أعاهد الله أن لا أعود إلى مثل هذا الشعر ، ولا أذكر النساء في شعر أبداً ، وأجدد توبةً على يدك . قال . أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على التوبة وخلاه

ولم تقف قصة هذا الشعر عند عمر بن عبد العزيز ، فقد ذكروا
أيضاً أن سليمان بن عبد الملك حج وهو خليفة فأرسل إلى عمر بن
أبي ربيعة فقال له : أأست القائل :

وكم من قتيل ما يُبَاء به دمٌ ومن غَلِقِ رهنا إذا لفَّه مِنى
قال نعم ، فقال : لاجرَم ، والله لا تحضر الحج مع الناس هذا
العام ، وأخرجه إلى الطائف ،

أفكان هذا الشعر بعينه مُشَوِّماً على صاحبه إلى هذا الحد :
فَيُمنع من الحج مرة ، وينفى مرة ؟ ١

أما أنا فأستبعد ذلك ، وأرجح أن أنصار بني أمية أرادوا أن
يبالغوا في وصف خلفائهم بالحزم والغيرة على الحرمات فصوروا ابن
أبي ربيعة طريداً لعبد الملك بن مروان ^(١) وسليمان بن عبد الملك
وعمر بن عبد العزيز

(١) وفد عمر على عبد الملك فادخل عليه فسأله عن نسبه فانتسب له ، فقال :

لأنعم الله بعين عينا تحية السخط اذا التقينا

أنت لأم لك القائل :

نظرت إليها بالمحبص من منى ولى نظر لولا التخرج عارم
فقلت أشمس أم مصايح بيعة بدت لك تحت السجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم
ثم قال له : قاتلك الله فإلا أمك ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات

وهذا ليس بغريب في بابه : فقد اخترع أشياع عمر بن الخطاب
حكايةً جازت على الناس إلى اليوم حتى ادخلها شاعرنا حافظ بك إبراهيم
في قصيدته العمريّة ، وهي حكاية نصر بن حجاج ، إذ زعموا أن عمر
سمع امرأة تتغنى في هدأة الليل :

هل من سبيلٍ إلى خمر فأشربها أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاج
فغضب وطلب نصر بن حجاج فاذا هو فتي وسيم الوجه ، أجمَل
ما فيه شعره ، فأمرَ أن يُخلق لُتَّتَق فتنته ، ولكنه نظر فاذا هو أفتن
الناس وهو حليق ، فأمر بنفيه من المدينة !

وأنا لأشك في أن هذا من حديث خرافة ، فما كنت لأصدق
أن عمر بن الخطاب يفرغ لهذه السفساف أو ينفى فتي لاذنب له إلا
أنه جميل ، وهو يعلم أنه ينقل فتنته إلى غير المدينة من أمصار المسلمين

* * *

عمك ؟ فقال عمر : بئست والله هذه النحية يا أمير المؤمنين لابن العم على شحط الدار ،
وتنأى المزار

وله مع عبد الملك موقف آخر أشرنا إليه في المحاضرة الثالثة . وفي كلا الموقفين يتنكر
عبد الملك ويقف من الشاعر موقف المسيطر الغضبان . ولهذا النحو من الحديث دلالة
على حرص أشياع بني أمية في تصوير خلفائهم بصورة الجد والوقار في معاملة الغزيرين
من الشعراء

وقد استقصيت أخبار عمر بن أبي ربيعة لأحدد ما كان في حياته من الجوانب الجدية ، فرأيت مثلاً أنه كان يشتغل بالدفاع عن قومه بني مخزوم ، وأنه كان يقارع خصومهم ، وله في ذلك حديثه المشهور يوم نازع اللهبي في المسجد الجامع^(١) . ورأيت أيضاً أنه كان حريصاً مسرفاً في الحرص على الاستبداد بالحياة الأدبية : فكان يعارض جميلًا وجبريراً والفرزدق والأحوص ومالك بن أسماء ، وهذا نوع من الجد لو دوّنت أخباره لكان أمتع وانفع من أخباره في أيام الطواف . ورأيت كذلك أنه تزوج غير مرة ، وكان له بنون وبنات ، وهذه شئون جدها جد ، وهزلها جد ، لو عُنى بها الرواة لأرونا كيف كان يقابل هذا الشاعر مصاعب الحياة

وقد مرت بالقارئ اشارات إلى مواقفه مع جميل والفرزدق ونُصيب وكثير ، وله معهم حديث آخر سيجيء في باب المُلح والفكاهات فلنذكر هنا حديثه مع مالك بن أسماء ، فقد كان مفتوناً بشعره ، وكان يتشوق إليه منذ سمع قوله

ان لى عند كل نفحة بستاً ن من الورد أومن الياسميناً
نظرةً والتفاته أتمنى أن تكونى حلت فيما يليننا

فلما تلاقيا وتعارفا وتناشدا قال له عمر : ما أحسن شعرك لولا
أسماء القرى التى تذكرها فيه . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك :
ان فى الرفقة التى شيعتنا بجويريسما لزين الرفاق
ومثل قولك :

حبذا ليلتى بثلّ بَوْتَا حيث نُسقي شرابنا ونُغْنَى
فقال له مالك : هى قرى البلد الذى أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره
فى شعرك من أرض بلادك : قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك
حتى المنازل قد دثرن خرابا بين الجوين وبين ركن كسابا
ومثل قولك :

ما على الرسم بالبلبيين لويّة - ن رجع السلام أولو أجابا
وفى هذا الحديث نحو من الجد فى نقد الشعر ، ونظن أنه كانت
له اتجاهات أدبية فى النقد لم يدونها الرواة إذ صرفوا همهم إلى
حياته الغرامية

قلت إنه تزوج غير مرة ، وكان له بنون وبنات ، فلا ذكر أنى
لم أستطع التثبت من عدد زوجاته ولا أبنائه ، لأن الرواة أغفلوا
الإفاضة فى هذا الجانب من حياته الجديدة ، فلم يبينوا كيف كان يعامل

زوجاته ، ولا كيف كان يربي أولاده ، ولا كيف كان يتصرف في تسيير أمواله ، وتقويم عبيده وإمائه ، ولم يعمّنوا « الحوائج » التي ذكروا في غير موطن انه كان يعتمد في قضائها على الخلفاء

ومع أن الرواة حدثونا أنه هجر الشعر بعد الأربعين فقد حدثونا أيضا أنه نظر في الطواف إلى امرأة شريفة فرأى أحسن خلق الله صورة ، فذهب عقله عليها وكلها فلم يجبه ، فقال فيها شعراً جزعت منه فقيل لها اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله ، فقالت : كلا والله ، لا أشكوه إلا إلى الله ، ثم قالت : اللهم ان كان نوّه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فاستجيب دعوتها إذ غدا يوماً علي فرس فهبّت ريح فنزل فاستتر بسلمة ، فعصفت الريح نخدشه غصن منها فدمى وورم به ومات من ذلك . والاختلاق ظاهر في هذا الحديث

ومن الرواة من حدّث أنه مات في غزوة . والعجيب أن تدون حوادثه الغرامية بما رأى القارئ من التفصيل ، ولا يتفق الرواة في حديثهم عن وفاته .

أفترام أنصفوا يوم رأوا الموت غير خليق بعناية الأحياء . !

الملح والفكاهات

رأينا أن نختم هذا الكتاب بطائفة من المَلَحّ والفكاهات التي
تتصل بعمر بن أبي ربيعة ليرى القارئ كيف كانت تجري النادرة على
أسنة الحجازيين في ذلك الزمان

— ١ —

أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله :

لم تر العينُ للثريا شبيهاً بِمَسِيلِ التَّلَاعِ يومَ التَّقِينَا ^(١)

فلما بلغ الى قوله

ثم قالت لاختها قد ظلمنا أن رددناه خائباً واعتدينا

قال : أحسنت الهدايا ^(٢) واجادت ، ثم أنشد ابن أبي عتيق

متمثلاً :

أرني جواداً مات مُهْزَلاً لِعائِي أرى ما تَرَيْنِ أو بِخَيْلا مَخْلَداً

(١) التلاع جمع تلة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي الى بطون الارض

(٢) الهدايا جمع هدية والمراد بها ههنا ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتتحرر

برا بالفقره

فلما بلغ عمر إلى قوله :
 في خلاء من الانيس وأمن
 قال ابن أبي عتيق : أمكنت للشارب الغدر^(١) ، من عال بعدها فلا
 انجبر^(٢) .

فلما بلغ إلى قوله :
 فكشنا كذاك عشراً تباعا فقضينا ديوننا واقتضينا
 قال : أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضيتها إياه ،
 فلا عرفكم الله قبيحاً .
 فلما بلغ إلى قوله :

كان ذا في مسيرنا إذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا
 قال : إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه ، فأورد التفسير ، ولئن مت
 لا موتن معك ، أفٍ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب ! فقال له عمر : بل عليها
 بعدك العفاء يا أبا محمد !

— ٢ —

حدث محمد بن سلام قال : كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر
 ابن أبي ربيعة ، وكانت من مولدات مكة ، فلما ورد على أهل المدينة

(١) الغدر جمع غدير وهو مجرى صغير من بقايا السيل (٢) عال : افتقر

نعى عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك ، واشتد عليهم ، وكانت السوداء أشدّهم حزناً وتسليباً^(١) وجعلت لاتمر بسكة من سكك المدينة إلا نذبتة فلقبها بعض فتيان مكة فتمال لها : خفضى عليك فقد نشأ ابن عمّ له يشبه شعره شعره ، فقالت أنشدني بعضه ، فأنشدها قوله

إني وما نحرّوا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل^(٢)

لو بُدّلت أعلى منازلها سفلأ وأصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الاقواء والمحل^(٣)

لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل

فجعلت تسمع عينها من الدموع وتقول : الحمد لله الذى لم يضيع حرّمه !

كذلك روى صاحب الاغانى^(٤) : أما صاحب زهر الآداب فقد

قال^(٥) : لما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولدات مكة وكانت

بالشام فبكت وقالت : من لأباطح مكة^(٦) ومن يمدح نساءها ، ويصف

محاسنها ، ويبكى طاعتها ، فقبل لها : قد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان

على طريقته ، فقالت أنشدوني له ، فأنشدها :

(١) التسلب : الحداد ، وتسلبت المرأة وسلبت على ميتها فهي مسلب إذا احدث عليه

(٢) تؤودها : ثقّلها - العقل : جمع عقال (٣) الاقواء : الاقفار

(٤) ج ٣ ص ١١٤ طبع بولاق (٥) ج ٢ ص ٢٤٠ (٦) جمع ابطح وهو مسيل واسع

لقد أرسلت ليلي رسولا بأن أقم ولا تقربنا فالتجنب أمثل
لعل العيون الرامقات لودنا تُكذِّبُ عنا أو تنام فتغفل
أناس أمنّا فنشوا حديثنا فلما كتمنا السر عنهم تقوّلوا (١)
فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا
فقلت وقد ضاقت بلادي برحبها على بما قد قيل فالعين تهمل
سأجنب الدار التي أنتم بها ولكن طرفي نحوها سوف يعمل
ألم تعلمي أني - وهل ذاك نافعي لديك، وما أخفى من الود أفضل
أرى مستقيم الطرف ما الطرف أمكم وإن أم طرفي غيركم فهو أحول
فقلت وقالت : هذا أجلّ عوض ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي
خلف على حرمة وأتمه مثل هذا

وفي هذا الاختلاف بين رواية القصة كما ذكرها صاحب الاغانى
وصاحب زهر الآداب ، دليل على أن فيها أثراً للوضع ، أو التحريف ،
وهي تدلنا على أنه كان معروفاً في ذلك العصر أن في شعر الحارث ابن
خالد ، وفي شعر العرجى ، مشابةً بينة لشعر عمر بن أبي ربيعة ، وقرباً
لمنحاه في التشبيب بالنساء

(١) نث الحديث : أذاعه . والنث : المغتابون ، وهو تمثيل للغبية بالنثية وهي رشح

وقد ذكر موريس دونيه في حياة ألفريد دى ميسيه الفرامية أنه
 رويت سيدة تنتحب في القطار فسألها الناس عن سبب بكائها فقالت :
 يا ويحكم ! ألم تعلموا أن ألفريد دى ميسيه قد مات !
 وكذلك تتشابه الحياة الوجدانية على اختلاف البقاع والأجيال

— ٣ —

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة : أنت القائل :
 أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة ؟ إني إذا لصبور ^(١)
 فقال : نعم ! فقال : بئس المحب أنت ، توكتها وبينها وبينك
 غدوة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها من غدوات سليمان ، غدوة هاشم ،
 ورواحها شهر !

— ٤ —

قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة من أجل امرأة من أهلها فأقام
 بها شهراً ، فذلك قوله :

بعد هذا البيت

هوني أمراً منكم أضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير
 وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير
 وينسب هذا الشعر أيضاً لأمي دهل الجحى ومجنون بنى عامر (ان صح أنه وجد)
 وفي ذلك تأييد لما أشرنا اليه من أن ابن أبي ربيعة غلب على شعراء عصره فأضاف اليه
 الرواة كثيراً من شعرهم

يا خليلي قد ملئت ثوائي بالمصلّي وقد شئتُ البقيعا^(١)
 بلغاني ديار هند وسلمى وارجمابي فقد هويت الرجوعا
 ثم خرج إلى مكة وخرج معه الاحوص واعتبرا . ثم مرّ أبو دّان^(٢)
 في رواحها فحبسها نصيب وذبح لهما وأكرمهما ، وكان لحقها سائب راوية
 كثير ، ثم خرجوا وخرج معهم نصيب . فلما جاؤا كُليّة^(٣) عدلوا جميعا
 إلى منزل كثير فقيل لهم هبط قديداً^(٤) وذكر لهم أنه في خيمة من
 خيامها . فقال ابن أبي ربيعة لسائب : اذهب فادعه لى . فقال النصيب
 هو أحمق وأشدّ كبراً من أن يأتيك . فقال عمر اذهب كما أقول فادعه لى .
 فجاءه فبهض له . وقال : اذكر غائباً تره . لقد جئت وأنا أذكرك .
 فأبلغه رسالة عمر ، فحدّد إليه نظره وقال : أما كان عندك من
 المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ؟ فقال : بلى والله !
 ولكنى سترت عليك فأبى الله إلا أن يهتك سترك . فقال له : انك والله
 يا ابن ذكوان ما أنت من شكلي . فقل لابن أبي ربيعة : ان كنت قرشياً
 فأنا قرشى . فقال له : لا تترك هذا التلصق وأنت تفرق عنهم كما تفرق
 الصمغة ؟ فقال كثير : والله لا أنا أثبت فيهم منك فى سدوس . ثم قال :

(١) البقيع : الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وهو اسم لعدة مواضع
 بالمدينة (٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة يكثر ذكره فى شعر نصيب
 (٣) كُليّة على وزن سمية واد بقرب الحجة (٤) قديد : اسم موضع قرب مكة

وقل له إن كنت شاعراً فأنا أشعر منك ! فقال له : هذا اذا كان الحكم اليك ، فقال : والى من هو ؟ ومن أولى بالحكم منى اليوم ؟ فرجع سائب إلى عمر فقال : ما وراءك ؟ فقال : ما قال لك نصيب . وأخبره الخبر فضحك وضحك صاحبه ، ثم نهضوا معه اليه ، فدخلوا عليه في خيمة فوجدوه جالساً على جلد كبش . فلم يوسع لابن أبي ربيعة . فلما تحدثوا ملياً وأفاضوا في ذكر الشعراء أقبل على عمر فقال له : أنت تنعم المرأة فتشيب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك ، أخبرني يا هذا عن قولك

قوى تصدّي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم استطيرت تشتد في أثرى^(١)
أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ، ألم تكن قد قبحت ، وأسأت ،
وقلت الهجر ؟ انما توصف الحرة بالحياء والاباء ، والبخل والامتناع ،
كما قال هذا — وأشار إلى الأحوص —

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى اذا لم يُزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر واني إلى معروفها لفقير
فدخلت الاحوص أبهة ، وعُرفت الحلياء فيه ، فلما استبان ذلك

(١) استطيرت ؛ بالبناء للمجهول : أسرع في الجرى . وروى : اسبطرت ، والمعنى واحد

كثير قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك :

فان تصلى أصلك وان تبينى بصرمك بعد وصلك لا أبالى
ولا ألفى كمن إن رسمَ صرماً تعرّض كى يُردّ الى الوصال
أما والله لو كنت فحلاً لما باليت ولو كسرت أنفك ! ألا قلت كما
قال هذا الأسود - وأشار إلى نصيب - :

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تمانينا فما ملك القلبُ
فانكسر الأحوص ، ودخلت النصيب أبهة ، فلما نظر أن الكبرياء
قد دخلته قال له : وأنت يا ابن السوداء فأخبرني عن قولك

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدى
أهمك من ينيكها بعدك ؟

فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع
يامذبوب^(١) أخبرني عن تخيرك لنفسك ، وتخيرك لمن تحب ، حيث تقول .
ألا ليتنا يا عز كما لذى غنى بعيرين نرعى فى إخلاء ونعزب^(٢)
كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنهما جرباء تُعدى وأجرب^(٣)
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما تنفك نرعى ونضربُ
وددتُ وبيت الله انك بكرة^(٤) هجان^(٥) وأنى مُصعب ثم نهرب^(٦)

(١) المذبوب : المجنون (٢) نعزب : نبعد (٣) العر ، بالفتح والضم : الجرب

(٤) الهجان ، على وزن كتاب : هي من الابل البيض - والمصعب : الفحل

فكون بميرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
 والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُوت به على نفسك .
 خفق كثير كما يخفق الطائر ، فأقبل عليه نصيب فقال : أقبل على
 . يا زب الذباب ^(١) فقد تمت معرفة غائب عندى علمه فيك حيث تقول
 وددت وما تغني الودادة أنى بما في ضمير الحاجبية عالم
 فان كان خيراً سرّني وعلمته وان كان شراً لم تلمني اللوام
 انظر في مرآتك ، واطّلع في جيبك ، واعرف صورة وجهك ،
 تعرف ما عندها . فاضطرب كثير اضطراب المصفور وقام القوم
 يضحكون ^(٢)

— ٥ —

واعدت الثريا عمر بن ابى ربيعة ان تزوره . فلما جاءت في الوقت
 الذى ذكرته صادفت أخاه الحارث قد زاره فأقام عنده ووجه به في حاجة
 له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعر الا بالثريا قد ألتقت نفسها
 عليه تقبله ، فاتتبه وجعل يقول : اعزبى عنى فلست بالفاسق أخزأ كما الله !
 فلما علمت بالقصة انصرفت وجاء عمر فأخبره الحارث بخبرها ،

(١) يرميه بالضعف والضئولة (٢) الاغانى ج ١١ ص ١٨ طبع بولاق

فأغتم لما فاته منها، وقال : أما والله لا تمسك النار أبدا وقد ألتقت نفسها عليك ! فقال الحارث : عليك وعليها لعنة الله !

— ٦ —

كان لابن أبي ربيعة ابن صالح يقال له «جوان» وفيه يقول العرجي :
شهيدي جُوانٌ على حبها أليس بعدل عليها جُوانُ
وقد جاء جوان هذا الى زياد بن عبد الله الحارثي وهو اذ ذاك
أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة ، فتمثل

شهيدي جوان على حبها أليس بعدل عليها جُوانُ !
ثم قال : قد أجزنا شهادتك

وقد غضب جوان من هذا الشعر وجاء الى العرجي فقال له : يا هذا،
مالي ولك تشهرني في شعرك ! متى أشهدني على صاحبتك هذه ! ومتى
كنت انا أشهد في مثل هذا !

— ٧ —

عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة فربه رجل من أهل
الشام معه ثُرسٌ مَخْلَقٌ سَمِجٌ ، فنظر اليه يزيد وضحك وقال له : ويحك !
ثُرسٌ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك ! يريد قول عمر
فكان مجننى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومُعَصِر

حدث بُدَيْحٌ قال : حجت بنت محمد بن الاشعث الكنديه فراسلها
 عمر بن ابى ربيعة ووعدھا ان يتلقاھا مساء الغد ، وجعل الآیة بینھ و بینھا
 ان تسمع ناشدا ینشدُ یعلمھا بمصیره الى المكان الذى وعدھا . قال بدیح :
 فلم أشعر به الا متلما فقال لی : یا بدیح ، ائت بنت محمد بن الاشعث
 فأخبرھا انی قد جئت لموعدها . فأیئت أن أذهب وقلت : مثلی لا یعین
 علی مثل هذا . فغیب بغلته عنی ثم جاءنی فقال لی : قد أضللت بغلتی
 فانشدھا لی فی زقاق الحاج ، فذهبت فنشدتها ، فخرجت علی بنت محمد
 ابن الاشعث وقد فهمت الآیة ، فأتته لموعده ، وذلك قوله :

وآیة ذلك ان تسمى اذا جئتكم ناشدا ینشدُ

قال بدیح : فلما رأیتھا مقبلة عرفت انه قد خدعنی بنشدی البغلة
 فقلت له : یا عمر ! لقد صدقت التی قالت لك :

فهذا سحرک النساء ن قد خبرتني الخبرا

قد سحرتنی وانا رجل ! فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأیهن !
 وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت انك دخلته لبلیة . قال :
 وحدها بحديثی فا زالا لیتھما یفصلا ن حدیثهما بالضعك منی

انشد ابن ابي ربيعة قوله :

يا خليلي من ملام دعاني وألماً الغداة بالاطمان

لاتلوما في آل زينب ان الـ قلب رهن بآل زينب عاني

فبلغ ذلك ابا وداعة السهمي فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن ابي

عتيق وقيل له : ان ابا وداعة قد اعترض لابن ابي ربيعة دون زينب

بنت موسى وقال : لأقر لابن أبي ربيعة ان يذكر امرأة من بني

هصيص في شعره ، فقال ابن ابي عتيق : لاتلوموا ابا وداعة أن يُنعِظَ

من سمرقند على أهل عدن !

قال ابن ابي عتيق لابن ابي ربيعة : يا عمر ! ألم تخبرني انك ما أتيت

حرماً قط ؟ قال : بلى . قال فأخبرني عن قولك

وما نلت منها محرماً غير اننا كلاًنا من الثوب المورد لابس

ما معناه ؟ فقال : والله لأخبرنك : خرجت اريد المسجد وخرجت

زينب تريده ، فالتقينا فاعمدنا لبعض الشعاب ، فلما توسطنا الشعب

أخذتنا السماء فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر فيقال لها : ألا

استترت بسقائف المسجد إن كنت فيه ! فأمرت غلماني فسترونا بكساء
خز كان على ، فذلك حين أقول :

كلانا من الثوب المورد لابس

فقال له ابن ابى عتيق : يا عاهر ! هذا البيت يحتاج الى حاضنة !

— ١١ —

خرج عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد وأبو ربيعة المصطلق
ورجل من بنى مخزوم يشيعون بعض خلفاء بنى أمية ، فلما انصرفوا
نزلوا بسرف فلاح لهم برق ، فقال الحارث : كلنا شاعر ، فلهوا نصف
البرق ، فقال أبو ربيعة :

أرقت لبرق آخر الليل لامع جرى من سناه ذوالرُبي فينباع^(١)
فقال الحارث :

أرقتُ له ليل التمام ودونه مهامة مومة وأرض بلاقع^(٢)
فقال المخزومي :

يضىء عضاء الشوك حتى كأنه مصاييح أوجر من الصبح ساطع^(٣)

(١) ينباع اسم مكان أو جبل أو واد في بلاد هذيل

(٢) ليل التمام هو أطول ليالى الشتاء - والمهامة جمع همة وهو الصحراء الواسعة
الارضاء - والمومة الفلاة الواسعة الملاء - وأرض بلاقع : خراب

(٣) العضاء : كل شجر يعظم وله شوك

فقال عمر :

أيارب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال : مالى ولا برق والشوك !

— ١٢ —

لقى عمر ليلي بنت الحارث وهى تسير على بغلة لها وكان قد شبب بها
فقال : جماني الله فذاك ! عرجى ها هنا أسمعك بعض ما قلته فيك .
فقلت : أو قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفت وقالت : هات ، فأنشدها
ألا ياليلَ ان شفاء نفسى نوالك ان بخلت فنوّلينا
وقد حضر الرحيل وحان منا فراقك فانظري ما تأمرينا
فقلت : أمرك بتقوى الله وإيثار طاعته ، وترك ما أنت عليه !
ثم صاحت يبغلتها ومضت

— ١٣ —

حدث سفيان ابن عيينة قال :

بيننا انا ومسر بن ركدام مع اسماعيل بن أمية بفناء الكعبة واذا
بمعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لحييها

على الآخر ، فوقفت على اسماعيل فسلمت عليه ، فرد عليها السلام ،
وسألها فأحبنى المسألة ، ثم انصرفت . فقال إسماعيل : لا إله إلا الله ،
ماذا تفعل الدنيا بأهلها ! ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا
والله . ومن هي ؟ قال : هذه «بغوم» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها
حَبْدًا أَنْتِ يَا بَغُومِ وَأَسْمَا ۖ وَعِصْمٌ يَكُنُنَا وَخَلَاءٌ (١)
انظرا كيف صارت ، وما كان بمكة امرأة مه أجمل منها ! فقال له
مسعر : لا ورب هذه البنية ، ما أرى أنه كان عند هذه خير قط !

— ١٣ —

حدثت ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنت عند
أمة الحميد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنيد الذي في بيت سكيئة بنت
خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان : يقال لاحداهما
البغوم ، والآخرى أسماء ، وكانت أمة الحميد بنت عمر تحت محمد ابن
مصعب بن الزبير ، فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنيد
حَصَرَمْتُ حَبْلَكَ الْبَغُومِ وَصَدْتُ عَنْكَ فِي غَيْرِ رِبِيَّةٍ أَسْمَاءُ

(١١) العيص : الشجر الكثير الملتف

والغواني إذا رأيتك كهلاً كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بنوم وأسماء وعيصٌ يكننا وخلا
فلما انتهى إلى قوله

ولقد قلت ليلة الجزل لما أخضلت ريطى على السماء
خرجت البنوم ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيت أ كذب منك يا عمر
تزعم أنك بالجزل وأنت في جُنيد محمد بن مصعب ، وتزعم أن السماء
أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة ^(١)
فقال عمر : هكذا يستقيم هذا الشأن



أما بعد فهذا كتابٌ أشعر بأن خيرهُ رَفَايَةُ شرهِ ، وأن ما فيه من
هُدًى أَسِيرُ ما فيه من ضلال ، وإني لأقول :
ضاق الفضاء على من عبث الصبا ورحمت فضلى من هواه المائث
فأغث فديتك يا مشيب كرامتي إني سئمت من الشباب العابث

وسبحان من لو شاء لهجّل التوب ، وعفا عما تسلف من ذنوب

زكى مبارك

أغلاط مطبعية

صحح هذا الكتاب بغاية العناية ، ولكننا بعد الفحص الدقيق
عثرنا فيه على أغلاط قليلة رأينا إثباتها هنا ليصححها القارى في نسخته إن شاء

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الاحوص	الاحوص	٤٨	١١
أحبك	أحب	٨٩	١٤
الحجال حجلة	الحجال جمع حجلة	١٠٧	١٤
أما ترحنى	أما ترحنى	١٠٩	٣
تحلف	تحلف	١٢٣	١٧
وأوعده	وواعدته	١٣٦	٨
بذلا	بزلا	١٦٣	٧
يستفيد	يستفيد	١٦٤	١٧
فولاه اياها	فولاه اياها	١٦٦	١١
الاخشبات	الاخشبان	١٧٦	١٦
الارائحة	الارائكة	١٧٦	١٧
الذى يرضى	الذى لا يرضى	١٨٥	٧
فى قصة	قصة	٢٠٠	٣
يمن	بمن	٢٤٣	٦

فهرس

ص	ص
١٩٣ جالها	٣ الاهداء
١٩٥ أخلاقها	٥ كلمة الشيخ مصطفى القاياتي
١٩٨ صلتها بابن أبي ربيعة	٧ كلمة الدكتور طه حسين
٢٣٠ الثريا بنت علي	٩ مقدمة الطبعة الاولى
٢٠٦ ظرف ابن أبي عتيق	١١ من النفس إلى النفس
٢٠٩ الثريا وسهيل	١٥ مقدمة الطبعة الثالثة
٢١٢ الثريا عند الوليد بن عبد الملك	٣٥ المحاضرة الاولى : حب ابن أبي ربيعة
٢١٤ شعر عمر في الثريا	٥٩ المحاضرة الثانية : رأى مصعب الزبيدي
٢١٧ جنابة الثريا على ثنايا عمر	٩١ المحاضرة الثالثة : شعر ابن أبي ربيعة
٢١٨ بكاء الثريا	١٢٣ أخبار الملاح
٢١٩ زينب بنت موسى	١٢٩ أيام الطواف
٢٢٦ فاطمة بنت عبد الملك	١٤٣ عائسة بنت طلحة
٢٢٧ حسابها لعمر على هتك الحرائر	١٤٤ جالها
٢٣٥ أزواجها	١٥٠ أخلاقها
٢٣٦ هند بنت الحارث	١٦٠ عقلها
٢٥٢ رائية ابن أبي ربيعة	١٦٦ جاهها
٢٧٠ لامية جميل	١٦٥ أخبارها مع الحارث بن خالد
٢٧٤ تأثير ابن أبي ربيعة في شعراء اللغة العربية	١٧٣ ما كان بينها وبين عمر
٢٨٦ مصعب بن عبد الله الزبيدي	١٨٠ سكينه بنت الحسين
٢٩٥ الجوانب الجدية في حياة ابن أبي ربيعة	١٨٣ حياتها الادبية
٣٠٧ الملح والفكاهات	١٧ عنایتها بالغناء
	١٩٠ أزواجها

فهرس القوافي

ص	ص
٢١٢	رجع السلام أو لو أجبنا
٢١٥	واعترفتي نوائب الاطراب
٢٢٦	يوم الرحيل فهماج لي أطرابي
٢٥٦	فأحجب بها من مرسل متعصب
٢٩٤	وقصر شعوب أن أكون به صبا
	حرف التاء
٣٣	ولو رضى رشع استه لاستقرت
٣٩	هوانى ولكن للعليك استذلت
٥٥	خليلى مادونه لمعجتا
٧٨	فلو جن انسان من الحسن جنب
٨٠	إذا مامشت ولا بذات نلفت
١٦٢	به زينب في نسوة عطرأت
١٨٤	وأحسن شئء مابه العين قرت
٢٨٢	من وجه جارية فديته
	حرف الجيم
٧١	نوى يوم صحراء الغيم لجوج
١٧٦	أن ترحمى عمرا لا ترهقى حرجا
١٨٨	انك لا تقعلى تخرجى
٢٢٨	لأنهين الحى ان لم تخرج
٣٠٣	أمهل سيل إلى نصر بن حجاج
	حرف الالف
٤١	فيه حكى أوقضائ
٦٩	غيرها وصلها اليها أداء
٨٤	إنه ينفع الحب الرجاء
	حرف الباء
١٥	رب جد جره اللعب
٣٩	عدوا ولم نسمع به قيل صاحب
٥١	ولا هو يسليه رخاء ولا كرم
٤٢	وأبرهمى والاحاديث زينف
٦٩	وأنى لا أركاك حين أغيب
٨٢	ولا يحسون الشر ضربة لازب
٨٣	تمزج الجد مرارا باللعب
٨٩	بين خمس كواعب أنراب
١٠٥	وأكرم ان لاقيت يوما لكم كلبا
١٧٠	على الكريم وحق الضيف فدوجا
١٧٥	عجب وهل في الحب من متعجب
١٨٩	وكففت عن ذم المشيب الآيب
١٩٣	بكل قى رجب الذراع أريب
١٩٨	منها على الحدين والجلاب
١٩٩	صفيا لفسى ولا صاحبا
٢٠٦	أنحب القتل اخت الرباب

٢٤٥	وشفت أنفسنا مما تجد
٢٤٨	إذا أقول صحا يعتاده عيدا
٢٨٠	ونستفز حشا الرائي بارعاد
٢٨٤	حديث كما هب النسيم على الورد
٢٨٦	منكم ويمرض كلبكم فاعود

حرف الراء

٣٢	هواك فليم فالتأم الفطور
٤٤	في أعين الغيد موقوف على الخطر
٤٥	فان كرهته فالسلام على الاخرى
٤٧	وما اهل له الحجاج واعتمروا
٤٨	لها نسق على الحدين يحبرى
٤٨	باياتكم مادرت حيث أدور
٤٨	دون قيد الميل يعدو بى الاغر
٥٣	حملت بلا ترة لنا وترا
٥٦	جديد ما حيت لكم يميز
٥٦	صحيا فامسى لايطيق لها هجرا
٦٧	أهذا المغيرى الذى كان يذكر
٧٠	أو ابنت جبل ان قلبك طائر
٩٩	مشى الضعيف يؤوده البحر
١٠٠	مس البطون وان تمس ظهورا
١٠١	كإضى ظلام الخدس القمر
١٠٤	وبمثل وجهك نستقى الامطارا
١٠٥	صدفت فلا بذل ولا ميسور
١١٣	وقليل لو عرجوا أن تزارا
١٢٩	قد قضى من تهامة الاوطار

ص	حرف الحاء
٢١	فان كريما من تضم الصفائح
٢٨١	قول تغلفه وإن جرحا
٢٨٩	فعضينا مصعبا صباحا
٢٩٠	فابطاى في عداد الفقاح

حرف الدال

٢٧	رطب العجان وكفه كالجامد
٣٢	لكننت اليوم أشعر من ليد
٤١	وحل بين عينها وبين فؤادى
٤٧	قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
٥٠	وترعنى ذا ملة طرفا جلدا
٥١	قد أتانا ما قلت في الانشاد
٥٣	رب لا صبر لى على هجر هند
٨٧	فكن حجرا من يابس الصخر جامدا
٨١	أين المصادر والمورد
٩٨	وتعرت ذات يوم تبتد
٩٩	سجيرا وقفقف الصرد
١٠٤	كتاب موله كمد
١١٧	على الرمل من جبانة لم توسد
١٢٣	وللدار بعد غد أبعد
١٥٤	وشطت نواها فالنزار بعيد
١٦٧	ان المطايا عاجل غدها
١٧٢	وما بيننا من حزن أرض ويدها
١٧٥	قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
١٨٤	فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى

ص	ص
حرف الضاد	١٥١ مضطرب المتن منبر الحصر
٢٢٢ للتعدى وما بها الابطاض	١٥٧ عذافرة تستخف العفارا
حرف العين	١٧٢ فلقد عهدتلك اهلا معمورا
٧٣ قدغنى لى شرا لم يطع	١٨٦ ولزرت قبرك والحبيب يزار
١٠٥ ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع	٢٢٣ صباه ولم يكن ذكرا
١٣١ وعن شتم أقوام خلائق أربع	٢٢٤ حتى رأيت النقصان في بصرى
٢٣٩ ببطن حليات دوارس بلقا	٢٢٥ يهذى بنحود مريضة النظر
٢٤٤ مساكن ما بين الوتائر والنقع	٢٣٠ ويئست بعد تقارب الامر
٢٧٣ جبل النوى فهو في أيديهم قطع	٢٣٣ وحول الحى إذ صدروا
حرف القاء	٢٣٥ قريع قريش اذا يذكر
٤٢ فأننا الذى بوصاله لا أكفى	٢٣٧ فبت مستنبا من بعد مسراها
١٠٠ فلنا من وجهها عنها خلف	٢٤٢ أقوت وهاجت لنا بالنعف تذكارا
١٦٧ فالقلب بما أحدثوا يحف	٢٤٥ لما غدوا فابتكروا
٢٩٠ وينهل منها واكف ثم واكف	٢٥٠ أم لا فأى الاشياء تنتظر
حرف القاف	٢٦١ غداة غد أم رائح فهجرا
٢٨ من قلب صب وصدر ذى حق	٢٧٩ لنا ولها بالسفح دون ثير
٥٧ ورب الهدايا المشعرات صدوق	٢٨٠ تمور بسحر عينها وتدور
١٠٠ وغيب عنا من نحاف ونسفق	٢٨١ هل يجيد التعت مكفوف البصر
١٠٨ وقول الناصح الادنى الشفيق	٢٨١ مقالة واش أو وعيد أمير
١٤٥ نهض الضعيف ينوء بالوحق	حرف السين
١٥٠ وانبذ برملة نبذ الجورب الحلوق	٢٦ طويلا كأيبر الحارث من سدوس
١٦٤ وغدوا بلبك مطلع الشرق	٢٣ ان تصدق الطير نك ليسا
١٨٤ ليلا إذا نجم الثريا حلقا	٢١٧ اهكذا كسرا من غير ما باس
٢٢٥ رأيت وشاحها قلقا	٢٢٢ لزينب نجوى صدره والوساوس
٢٥٧ جنة الخلد من ملائى خلوقا	٢٢٧ لمر يهوى سريعا نحو هاراسى
٢٥٧ ايها القلب لأراك تفيق	٢٨٣ فليس على من أنس النار من باس

ص	ص
١٤٦	٢٨٨ شكوى المحب وليس بالمشاق
١٧٥	حرف الكاف
٢٠٣	وقلت لها خذى حذرك
٢١٠	٨٢ خرج العراق ومزبر الملك
٢١٦	١٥٩ لولا أبوها ما اهتدى أبوك
٢١٧	١٦١
٢٣٢	حرف اللام
٢٤٠	عرقوها مثل شهر الصوم في الطول
٢٧٠	٣٣ فن المطالب والقتيل القاتل
٢٧٥	٤١ فلسنت بناس ما هدت قدمى نعلى
٢٨٨	٤٧ لا تمحجى من قولنا بفيتل
٢٩٢	٤٨ ماتا مريم فان القلب قد تبلا
٢٩٧	٤٩ وأعطيت منى يا ابن عم قبولا
	٥٠ والرغ من أسماء والمزلا
حرف الميم	٦٧ ولكن ليقتلن البرى المغفلا
٢٨	٦٩ تمجلى باللوم حتى تسالى
٥٦	٧٥ وغرة السابق المختال اذ سهلا
٥٦	٧٧ اليها فانى واصل جبل من وصل
٧٥	٧٩ ان المهمات فيها يعرف الرجل
٨٩	٨٢ لو أبصره الواشى لقرت بلائله
١٣٢	٨٥ قليل ولا أرضى له بقليل
١٤٢	٨٦ ونظرت غفلة كاشح أن يعقلا
١٤٨	١٠٢ اذا استقل عمود الصبح فاعتدلا
١٥٨	١٠٣ عني اذا أردت ارتحالا
١٦٦	١١٠ فقربنى يوم الحصاب الى قتلى
١٧٠	١٤١ وصبا فلم ترك له عقلا
١٧٢	
١٧٤	

١٨٥	على ومن زيارته لمأ	١٣٩	مقصداً يوم فارق الظاعينا
١٩٣	يرى الموت إلا بالسيف حراما	١٥٤	الى اليوم أخفى حبا وأداجن
٢٠٤	وبين لو يستطيع أن يتكلما	١٦١	لازلت ماعشت كذا تحجين
٢٤٤	على العهد باق ودها أم تصرما	١٦٨	جلل الله ذلك الوجه زينا
٢٥٤	باعلى النقع اخت بنى تميم	١٧١	فالاخوانه منا منزل قن
٢٥٥	بسقام ليس كالسقم	١٧٧	للهى والقلب متباع الوطن
٢٨٠	في وجهها لك اذ تنسم	١٧٨	مستكينا قد شفه ما أجنا
٢٨٩	رهينة عام في الدنان وعام	١٧٨	فأتمر أمر رشيد مؤتمن
٢٩٢	مالى رأيتك ناحل الحسم	١٨٦	قتلنا ثم لم يحين قتلانا
٣٠٢	ولى نظر لولا التخرج عارم	١٩١	حصان عليها نظم در يزينا
	حرف التون	٢٠٩	عمر ك الله كيف يلتقيان
	من نيلك الجزل أو من رأيك الحسن	٢١٩	وأما الغداة بالاطعان
	هووا وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا	٢٢٠	وتذكرت ميعتى في زمانى
	إذا ما انتفى من لينة فضح الغصنا	٢٢٤	تزحزح فهاها الهجران
	وجدى عليك أشجاني فأضناني	٢٩٨	إذا حللنا بسيف البحر من عدن
	وإيانا فذاك لنا تدان	٣٠٤	من الورد أو من الياسمين
	ولا أحدث الامور اثنان		حرف الهاء
	ولم تر العين شيئاً بعدكم حسنا	٨٨	من حبيب أمسى هواها هواه
	عمر ك الله كيف يلتقيان		حرف الواو
	فنفتينا غليلنا واشتفتينا	٣٠١	ولا كليلي الحج افلتن ذا هوى
	ظهر الحب بجسمى وبطن		حرف الياء
	طربت وكنت قد أقصرت حينا		من الشوف أستبكي الحمام بكى ليا
	أو بعده أفلا تشيعنا	١٣٦	

فهرس الاماكن والاعلام

س	س
٢٨٤	ابن خفاجة
٢٤٢	ابن مقبل
٢٣٥	أبو حيه النيرى
١٩٠ و ٢٨٩ و ٦٢٧ و ٢٠٢	اسحق الموصلى
١٣٢	اضم
١٥٨	أم اسحق بنت طلحة
١٤٧ و ١٤٥	أم القاسم بنت زكريا
١٤٩	أم كلثوم
١٥٧	أم كلثوم بنت أبي بكر
١٩٧ و ١٥١	أشعب
٢١٢	أم البنين
١٥٤ و ١٥٣	ابن سلام
٢٥٨	ابن عباس
١٢٩	أم عمر وبنت مروان
٢٩٨	أمة الوهاب
١٤٢	أم الحكم
٢٧٥ و ١٠٦	امرؤ القيس
٢٠٨ و ٢٠٥	أم نوفل
٢٠٤	أم عثمان (أخت الرباب)
١٩٦	أمنة بنت وهب
١٩٣	أسد بن عبد العزى
١٨٤ و ١٦٨ و ٧٨ و ٤٨	الاحوص
١٧٥	الاشخب
١٧٥	أبو قيس
	حرف الالف
	أبو بكر بن أبى الجهم
١٩٧	أبو بكر الصديق
١٥٧ و ٢٥	أبو على الفارسى
٢٦٧	أبو فديك
١٦٠	أبو الفرج الاصبهانى (صاحب الاغلى)
٢٤	و ٦٣ و ٦٤ و ٦٩ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٤٩ و ١٥٢
٢٨٣	الايوردي
٢٩ و ٢٤	أبو نواس
٦٧	أبو الحارث جيز
١٣١ و ١٣٠	أبو الاسود النؤلى
٢٤٤	الاجاب
٢٠٨ و ٢٠٦ و ١١٣ و ٨١ و ٥٢ و ٤٨	ابن أبى عتيق
١٠٨	ابن أسماء
١٠٧	ابن جريج
٤١	ابن الاخنف
٩٢ و ٢٨	ابن الرومى
٣٣	ابن سيرين
١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠	ابن سريج
٤٢	ابن الفارض
٢٦ و ٢٤	ابن قتيبة
١٩٥ و ١٥١	ابن قيس الرقيات
٢٤	ابن منظور

ص	حرف الثاء	ص	إبنة الحميد
		١٩٢	أبوب بن مسلمة
	الثرية بنت علي ١٠٤ و ١٠٥ و ١١٨ و	٢٠٣	أبو السائب المخزومي
	٢٠٦ و ٢٠٥ و ٢٣٠ و ١٥٤ و ١٤٠ و ١٣٩	٣٣	أنتول فرانس
	٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢١٧ و ٢٩٧	٣٨	أحمد بن هشام
٢٤	الثعالبي	٢٨٩	الأصمعي
	حرف الجيم	٢٦	أحمد صيف
٢٤	الجاحظ	٩٨ و ١٠ و ١١ و ١٦ و ٩٨	أسماء
٤٢	جحدر	٢٤٨ و ٦٧ و ٥٣	
٢٦ و ١٨٣ و ٢٦٠	جبرير	حرف الباء	
١٦٨	جعفر بن الزبير	٣٨	بافنيس
٧٥	جليلة بنت مرة	٨٥	بثينة
١٤٦	جل	٢٢٣	بجاء مولى عثمان
٣٠٠	جميلة	٢٥	بديل بن ورقاء
١١١ و ١١٠ و ١٠٩ و ٩٣ و ٨٤	جميل	٢٨٠	بشار بن برد
١٨٤ و ١١٣ و ١٢٦ و ١٥٤ و ١٨٣ و ١٨٤	و ٢٦٧ و ٢٧٠	١٧٢	بسرة
٢٣٧	جنادة العذري	١٣٨	البصرة
١١ و ٩ و ٧	الجامعة المصرية	٢١٢	البليان
٢١٥	الجدد	٢٠٧	بلال مولى ابن اب عتيق
	حرف الحاء	٨٢	البها زهير
١٤٤ و ١١٣	الحارث بن خالد المخزومي	٣٦	بور سعيد
١٧٢ و ١٦٨ و ١٦٧ و ١٦٥ و ١٦٤ و ١٥٧	و ١٧٩ و ٢٤٧	١٢٦	بيرون
٢٩٨	الحارث (أخى عمر)	٣٠ ، ٢٣	توفيق دياب
٢٦	الحارث بن سدوس	١٢٩	تهامة
١٦٣ و ١٦٢	الحجاج	١٧٤ ، ١٥٧	تيم بن مرة
١٨٨ و ١٨٩	الحجاز	٣٨	تيموكلين

ص	ص
عبد الرحمن بن ابي عبد الرحمن ٢٨٩	حرف الشين
عبد الله بن عبد الرحمن ١٥٧ و ١٤٥	الشافعي ٣٢
العباس بن الاخنف ٢٩١	شبيب بن البرصاء ٧١
عبد الله بن ابي فروة ١٥٦ و ١٥٢	الشعبي ٢٦ و ١٤١ و ١٤٥
عبد الله بن قيس ٢٠٣	الشمخ ٢٤١
عبد الملك بن مروان ١٠٠ و ١٦١ و ١٦٥	الشنفرى ٧٧ و ٨٠
٣٠٢ و ١٦٦ و ١٩١ و ١٩٢	حرف الصاد
عيد بن حنين ١٨٨	صاح بن خاقان ٢٨٩
العبلات ١٤٤	صريم ١٠٨
عثمان بن ابراهيم الحاطبي ٢٣٦	الصوران ٤٧
عزة الميلاء ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨	حرف الطاء
العراق ١٣٤ و ١٣٨ و ١٨٨ و ١٨٩ و ٢٠٦	طه حسين ٧ و ١٠ و ١٧ و ١٤ و ١٢٤ و ١٤٣ و ٢٥٢
عمر بن عبد العزيز ١٩٦ و ٢٣٥ و ٣٠١	الطائف ١٦٢ و ٢٠٤ و ٢٠٥
عيد الله بن عبد الله بن عتبة ٣٢	طرفة بن العبد ٧٩
عبد الجواد رمضان ١٥	طلحة بن عبد الله ١٥٧ و ٢٦٠
عبد السلام مبارك ٣	طلحة بن عبيد الله ١٧٤
عبد الوهاب النجار ٥٤ و ٩	حرف الظاء
عمر بن الخطاب ١٠١	ظية ١٠٦
عنى بن ابي طالب ٢٦ و ١٠١	حرف العين
على بن هشام ٢٨٧	عائشة ام المؤمنين ١٤٤ و ١٥٧ و ١٦٠
على عبد الرازق ١٠	عائشة بنت عثمان ١٤٥ و ١٤٧
العرجي ١٦٨ و ٢٤٤ و ٢٧٩	عائشة بنت طلحة ٩٨ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٤٦
عبد الله بن عباس ٣٢ و ٣٣ و ٦١	و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦١ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٧١
عبد الملك بن صالح ٢٨	و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢٠٣
عبد الله بن عمر ١٢٩	٢٥٢.
عبد الله بن مصعب ١٠٦ و ٢٨٦	عائكة بنت يزيد
عمر بن عبيد الله ١٥٨ و ١٦٠ و ١٧٣ و ٢٠٦	١٦١ و ١٦٩ و ١٧١

حرف القاف	ص	عزة
٣٦	القاهرة	٤٤
٢٢١	قدامة بن موسى	٥١
١٨٨ و ١٦٥ و ١٣٩ و ١٠٨ و ٦٢	قريش	٥٣
٢٠٥	قرن المنازل	٥٤
١٦٤	القس	١٦٤
١٧٥	قعيقعان	٢٠٥
حرف الكاف	٢٩١	عمرو العراف
١٣٧ و ٩٣ و ٥٨ و ٤٧ و ٤٤ و ٣٩ كثير ١٩١ و ١٨٣	حرف الغين	الفريض ١٥٤ و ١٦٧ و ١٦٩ و ١٧٣ و ١٨٨ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢١٨ و ٢٤٨
٢٠٤	كداء	١٨٠ و ٣٨ و ٣٤
١٣٨	الكديد	٨٢
١٩٢ و ٦١	الكوفة	٢٩٤
٣١	الكوثر	١٣٤
حرف اللام	١٩٩ و ٧١	غمرذى كندة القيم
٢٩	لكسمبور وغابة بولونيا	حرف الفاء
٣٠٤	اللابي	فاطمة بنت عبد الملك ٢٣٦ و ٢٢٧ و ٢٣٥
١٧٩ و ١٥٤ و ٨٧ و ٥٠	ليلى	فاطمة بنت عمر بن مصعب ١٠٦
حرف الميم	فاطمة بنت محمد بن الاشعث ١٣٣ و ١٣٥ و ٢٥٣	فنج
٣٠٤	مالك بن أسماء	١٦٣
٢٦٤	المتاس	١٩٩
٢٠	المتنبى	الفرزدق ٢٦ و ٣٣ و ٦١ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٨٣
٢٨٦	محمد بن عبد الله بن الحسن	و ١٨٥
١٠	محمد المهدي	١٠٨
١٣٨	مر	١٦٤
١٧٥	مزاحم العقيلي	٢٣
		فرعون الفرما فينوس

س		مذحج	١٨٨
حرف النون		مسألة بن ابراهيم	٢٠٣
١٠٤ و ٨٢ و ٢٧	النافعة	مصطفى القاياتي	٥ و ٩ و ١٠ و ٥٤
٢٥٨	نافع بن الازرق	مصعب بن الزبير	١٤٥ و ١٤٨ و ١٥١
٢٩٢ و ١٨٤ و ١٨٣ و ٩٨	نصيب	و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٧٣ و ١٩٠ و ١٩٢	
٢٥٦ و ٢٥٣	نعم	١٩٣ و ٢٥٥	
١٦٣	نعمان	مصعب بن عبد الله الزبيري	٢٢ و ٦٤ و ٢٣٦
٣٠٣	نصر بن حجاج	٢٥٥ و ٢٨٦	
١٦٥ و ١٦٣ و ١٦٢	الخميري	مسعدة بن عمرو	٢٠٩
١٤١ و ١٤٠ و ١١٣ و ٥٣	النوار	المدينة	١٦٢ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٨٥ و ٢٠٠ و ٢٩٠
حرف الواو		المزبد	٢٨٨
٢٦٠ و ٢١٢	الوليد بن عبد الملك	المحبص	٥٥ و ١١٠
٢٢٣	الوليد بن عقبة	مصر الجديدة	٣٤
٢٤٨	الوليد بن يزيد	مضرس بن قرط المزني	٥٧
١٣٤	وجرة	موسى شنوات	٢٣٥
حرف الهاء		مونتين	٩٢
١٠٨	هامان	ميسيه (الفريد دى ميسيه)	١٢٦ و ١٢٧
١٤١ و ١٢١ و ٧٢ و ٤٣	هند بنت الحارث	معاوية بن ابى سفيان	١٤٤
	٢٣٨ و ٢٣٦	معبد	١٨٨
	هنام ١٦٠ — الهاء ١٦٢	مكة	١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٥ و ١٧٦ و ٢٠٠ و ٢٠٧
حرف الياء		منى	١٨٨
٢٠٣ و ١٧٦	ياقوت الحموي	المنصور	٢٨٦
٢٨١	يزيد بن منصور الحميري	المهدي	٢٨
٢٠٥	اليمين		

سرائر الروح الحزين

شعرونثر

بقلم

زكى مبارك

بمؤن الله يظهر هذا الكتاب بعد قليل

